BRANDON SANDERSON

LEGION

THE MANY LIVES OF STEPHEN LEEDS

براندون ساندرسون

الفيلق

الحيوات المتعددة لستيفن ليدز

رواية

ترجمة: إيناس التركي

الفيلق

براندون ساندرسون

ترجمة: إيناس التركي

ساندرسون، براندون.
الفيلق : رواية/ براندون ساندرسون.
ترجمة : إيناس التركي.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
536 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-172-7
ا- القصص الأمريكية.
أ- التركي ، إيناس (مترجم).
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 19399 / 2023
الطبعة الأولى : أكتوبر 2024.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2018 by Dragonsteel, LLC.
"Published in agreement with JABberwocky Literary Agency Inc."
through Bears Factor Literary Agency, FZC.

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 201000405450+ – 201001872290+
بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com
• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الناشرين**.
©جميع الحقوق محفوظة، وأيّ اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©

مكتبة ضاد الإلكترونية

t.me twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد

https://t.me/twinkling4

إلى دانييل ويلز، وجريج كرير

مقدمة

إن علم النفس كقوة خارقة، تيمة متكررة في أعمالي. لطالما اعتقدت أن السمات الشخصية التي تجعل كلًّا منا مميزًا (كيفية معالجتنا للمعلومات، وكيفية تحفيزنا لأنفسنا، والطريقة التي نحمي بها نفسيتنا من الشرور، بينما نتعلم الاعتزاز بالخير) يمكن أن تكون إما أعظم نقاط قوتنا، أو أشد أوجه قصورنا درامتيكية. غالبًا ما تكون الطريقة التي ترى بها نفسك، إلى جانب كيفية استغلالك لِما لديك، أكثر أهمية من المواهب والمهارات، أو حتى القدرات الخارقة للطبيعة.

مع ذلك، لم تستكشف أيُّ سلسلة كتبتُها هذه الفكرة بوضوح أكثر من حكايات «الفيلق». بدأتُ كتابة ما سيصير الجزء الأول من بين ثلاث روايات قصيرة (تم جمعها كلها في هذا المجلد) في عام 2011. كانت الفرضية التي قامت عليها الرواية بسيطة: ماذا لو ثبت أن هلاوس المرء تفيدُه في حياته، بدلًا من كونها تشكل إلهاءً كما هو معتاد؟ لم يكن ما تلا ذلك استكشافًا فعليًّا لأي ظاهرة نفسية حقيقية، بل نظرة على كيفية تأثير الجوانب المختلفة لشخصيَّاتنا على الطريقة التي نتفاعل بها مع العالم.

كما ثبت أيضًا أنِ ذلك مُمتع للغاية. هذه الروايات قائمة جزئيًّا على المغامرات والحركة، بالإضافة إلى جزءٍ من الكوميديا، وجزءٍ من الخيال العلمي في المستقبل القريب. عبر السنوات، لم أتمكن من أن أدع ستيفن ليدز وشأنه. وحتى وقتِ كتابة هذه السطور، فإن «الفيلق» هي روايتي الوحيدة التي لها حكاية مبتكرة، والتي كتبتُ لها أجزاءً أخرى. كان هناك

شيء مُثير في المزيج الذي ستجدونه بين هذه الصفحات. بطريقةٍ ما، كانت هذه ألغازًا عابرة خفيفة، واستكشافًا لنفسيتي في الوقت ذاته. كانت كتابتها بمثابة التطهير الوجداني، ومثَّلت استراحةً مطلوبة من مشروعات الكتابة الأخرى. ومن بعض النواحي، فهي أكثر القصص التي بها لمسة شخصية بين جميع كتاباتي على الإطلاق (خاصة الجزء الثالث).

على الرغم من أن هذه ثلاثُ روايات قصيرة منفصلة، إلا أنني كتبتُها لتُشكِّل معًا حكايةً مترابطة، بحيث تختتِمُ آخِرُها السلسلة بنهايةٍ مكتملة. ومع أنني أحسست بالرضا خلال كتابتها، لكن من المرضي بصورة أكبر معرفة أنني انتهيت منها، وأن الحكاية اختُتِمت، وأنه بات بوسعي أخيرًا تقديم هذا المجلد. الحكاية التامَّة والكاملة بالفعل لستيفن ليدز.

براندون ساندرسون

مارس، 2018

شكر

كالعادة، تستحق زوجتي الرائعة إيميلي تحيةً كبيرة لتعامُلها مع الحياة المتقلّبة أحيانًا لكاتبٍ محترف. وأودُّ أن أشكر موشيه فيدر، مُحرري في تور، لدعمِه لهذا المشروع منذ أيامه الأولى. وقد قام بيتر آلستروم، الغامض الذي لا غِنى عنه، بعملِه الممتاز كالمعتاد، كمساعدِ تحريرٍ لي، كما يستحق وكيلي جوشوا بيلمز الثناء بنفس القدر.

أتوجَّهُ بشكرٍ خاص لسابتيرينيان بريس، لقيامهم بمنح ستيفن ليدز أول إصدار مطبوع له. كان العمل رائعًا مع كلٍّ من بيل شايفر، وياني كوزنيا، ومورجان شليكر، وجايل كروس.

في تور، أودُّ أن أشكر كلًّا من ديفي بيلاي، ورايتشيل باس، ورافال جيبيك، وباتي جارسيا، ولوسيل ريتينو، وجريج كولينز. كان المدقق اللغوي هو تيري ماكجاري، ومُصححا التجارب المطبعية هما كيرستين برينك وجانين بارلو. كما قدَّمَت ميراندا ميكس الفن الجميل الذي يزين الغلاف.

كما ساعدني هاورد تايلور أيضًا في العصف الذهني أثناء تناول الغداء ذات يوم، فله مني تحية، من كاتبٍ لآخَر.

قدمت أنات إيريل الكثير من العون فيما يتعلق بالتفاصيل الخاصة بالقُدس. ومن بين القراء الذين قرءوا هذا العمل أثناء كتابته وقبل إصداره: كايلين زوبيل، دانييل وبين أولسون، كارين وبيتر آلستروم، دان ويلز، إيثان سكارستيدت، دارسي وإريك جيمز ستون، آلان لايتون، إيميلي

ساندرسون، كاثلين دورسي ساندرسون، براين. ت. هيل، دومينيك نولان، ميشيل وجوش والكر، كالياني بولوري، راهول بانتولا، رافي بيرسود، بيكا ريبيرت، دارسي وبراندون كول، جاري سينجر، تيد هيرمان، ديانا كوفيل ويتني، روس نيوبيري، مارك ليندبيرج، بيدج فيست، سوميجا موراتاجيك تاديتش، جوري فيليبس، أنتوني بيرو، تايلر باتريك، درو ماكافري، تراي كوبر، برايان ماجنانت، بيدج فيليبس، أليس أرنيسون، باو فام، ويليام هوان، جاكي هوبسون، إيفجيني كيريلوف، ميجان كان، وك. أبيجيل بارسونز. ومن بين القراء الذين ساعدوا في تصحيح الأخطاء المطبعية: كريس جانر ماكجراث، جلين فوجيلار، ريتشارد فايف، هيلاري أرجايل، نيكي رامزي، وإيريك بيتري.

لم أكن لأنجحَ في هذا من دون آدم هورن، وكارا ستيوارت، وإيميلي جرينج، وكاثلين دورسي ساندرسون، وكل الآخرين في دراجونستيل انترتينمينت.

مرة أخرى، أتوجَّهُ بجزيل الشكر لأسرتي الرائعة، بما في ذلك أبنائي الثلاثة الصغار المتحمسون جدًّا، والممتلئون حيوية للغاية.

الحيوات المتعددة
لستيفن ليدز

1

اسمي ستيفن ليدز، وأنا عاقل تمامًا. لكنَّ هلاوسي كلها في غاية الجنون.

انفجرت الطلقات الآتية من غرفة جي سي مثل المفرقعات النارية. أبديتُ تذمُّري، والتقطتُ واقي الأذنَين المعلق خارج باب غرفته - تعلمت أن أُبقيه هناك - وولجتُ إلى الداخل. كان جي سي يرتدي واقيَ الأذنَين الخاص به، ومسدَّسه مرفوع بين يدَيه، بينما هو يتأمل صورة أسامة بن لادن المعلقة على الحائط.

صدحَت موسيقى بيتهوفن بصوتٍ مرتفع للغاية.

صحت قائلًا:

- كنت أُحاول إجراء محادثة!

لم يسمعني جي سي. أفرغ خزانة مُسدَّسه في وجه بن لادن، مُحدِثًا مجموعةً متنوعة من الثقوب في الجدار. لم أجرؤ على الاقتراب؛ فقد يُطلق عليَّ النار بطريق الخطأ إذا فاجأته.

لم أكن أعرف ما سيحدث في حال ما إذا أطلقتْ عليَّ إحدى هلاوسي الرصاص. كيف سيُفسِّر عقلي ذلك؟ لا شك في أن هناك عشراتٍ من علماء النفس الذين يرغبون في كتابة الأبحاث حول ذلك الموضوع. لكنَّني لم أكن أمِيل إلى منحهم الفرصةَ لذلك.

صحتُ حين توقَّف ليُعيد تعمير سلاحه:

- جي سي!

التفتَ نحوي ثم ابتسم، وهو يخلع واقيَ الأذنَين. تبدو أي ابتسامة من جي سي وكأنَّه متجهِّم إلى حدٍّ ما، لكنني تعلمتُ منذ زمن ألا أخشاه.

قال وهو يرفع مسدسه:

- مرحى يا سكيني. أتودُّ أن تفرغ مشطًا أو اثنَين من الذخيرة؟ أنت بحاجة إلى التمرين.

تناولتُ منه المسدس.

- لقد أنشأنا ميدانَ رمايةٍ في القصر لغرضٍ مُحدَّد يا جي سي. فلتستخدِمْه.

- لا يعثر عليَّ الإرهابيون عادة في ميدان الرماية. حسنًا، لقد حدث ذلك مرةً واحدة. كانت صدفةً بحتة.

تنهدتُ، وتناولت جهاز التحكُّم عن بُعد من الطاولة الجانبية، ثم خفضتُ صوت الموسيقى. مدَّ جي سي يدَه، ورفع فوهة المسدس إلى الأعلى، وحرَّك إصبعي بعيدًا عن الزناد.

- السلامة أوَّلًا، يا فتى.

قلت وأنا أُعيده إليه:

- إنه مُسدس وهمي، على أي حال.

- أجل، بالتأكيد.

لم يكن جي سي يؤمِن أنه مجرد هلوسة، وهو أمرٌ غير معتاد. كان معظمهم يتقبَّلون الأمر، بدرجةٍ أو بأخرى، ما عدا جي سي. كان ضخم الجثة من دون أن يكون زائد الوزن، ذا وجهٍ مربع، لكنه غير مُميز، وكانت لدَيه عينا قاتل. أو هكذا كان يدَّعي. ربما كان يحتفظ بها في جيبِه.

ركّب مشط ذخيرة جديدًا للمسدَّس، ثم تأمل صورة بن لادن.

حذرتُه قائلًا:

- لا تفعل.

- لكن ...

- إنه ميت على أي حال. لقد قتلوه منذ زمنٍ طويل.

أغمَدَ جي سي المسدس.

- هذه مجرد حكاية أعلنَّاها للعامة، يا سكيني. كنت سأشرح لك الأمر، لكن ليس لديك تصريح.

أتى صوت من مدخل الباب:

- ستيفن؟

التفتُّ إلى الوراء. كان توبياس، هلوسة أخرى من هلاوسي، أو أحد «جوانبي»، كما كنتُ أطلق عليهم في بعض الأحيان. كان نحيلًا له بشرة بلون الأبنوس، وقد تناثر النمَش الداكن على وجنتيه المغضَّنتَين بفعل السن. كان يُبقي شعره الأشيب قصيرًا للغاية، ويرتدي بدلةً فضفاضة غير رسمية من دون ربطة عنق.

قال توبياس:

- كنت أتساءل فحسب، إلى متى تنتوي إبقاء ذلك الرجل المسكين منتظرًا؟

قلتُ وأنا أنضمُّ إلى توبياس في الردهة:

- إلى أن يرحل.

بدأنا نسير مبتعِدين عن غرفة جي سي. قال توبياس:

- لقد كان مُهذبًا للغاية، يا ستيفن.

عاود جي سي إطلاق النار وراءنا ثانية، فتأوهتُ.

قال توبياس بنبرة هادئة:

- سأذهب للتحدث إلى جي سي. إنه يحاول الحفاظ على مهارته فحسب، ويريد أن يكون نافعًا لك.

- حسنًا، لا يُهم.

تركتُ توبياس، وانعطفت حول أحد الأركان في القصر الفارِه. كان لديَّ سبع وأربعون غرفة، وكانت كلها ممتلئة تقريبًا. في نهاية الرواق، ولجتُ غرفة صغيرة تُزينها سجادة فارسية، وتكسو جدرانها ألواح خشبية. ألقيتُ بنفسي على الأريكة الجلدية السوداء في منتصف الغرفة.

جلستْ آيفي في مقعدها بجوار الأريكة. رفعَتْ صوتها فوق صوت الطلقات وسألتني:

- هل تنوي الاستمرار في هذا؟

- سيتحدَّث توبياس معه.

قالت آيفي وهي تُدوِّن ملحوظة في دفترها:

- فهمت.

كانت ترتدي بدلةً رسمية داكنة، مؤلفة من بنطلون وسترة، وشعرها الأشقر مرفوع في كعكة أعلى رأسها. كانت في أوائل الأربعينيَّات من عمرها، وكانت من أقدم الجوانب التي ظهرت لديَّ. قالت:

- ما هو شعورك، وقد بدأتْ تهيؤاتك في عصيانك؟

أجبتُها بنبرة دفاعية قائلًا:

- معظمهم يُطيعونني. لطالما لم يُعِر جي سي أي انتباهٍ لِما أقوله له. لم يتغير ذلك.

- هل تُنكر أن الأمر يزداد سوءًا؟

لم أنبس بكلمة.

دونتْ ملحوظة في دفترها.

سألتني آيفي:

- لقد رفضتَ طلب ملتمسٍ آخر، أليس كذلك؟ إنهم يأتونك بحثًا عن المساعدة.

- أنا مشغول.

- مشغول بماذا؟ الاستماع إلى طلقات الرصاص؟! الانغماس في الجنون أكثر وأكثر؟

قلت:

- أنا لا أزداد انغماسًا في الجنون. لقد استقرت حالتي. بل كدت أصيرُ عاديًّا تمامًا. حتى طبيبتي النفسية الحقيقية التي ليست وليدة هلاوسي تُقرُّ بذلك.

لم تنبس آيفي بكلمة. أخيرًا، توقف دويُّ طلقات الرصاص الآتي من بعيد، وتنهدتُ في ارتياح، رافعًا أناملي إلى صدغي. قلت:

- في الواقع فإن التعريف الرسمي للجنون مائع للغاية. فقد يُعاني شخصان من نفس الحالة تمامًا، وبنفس الشدة بالضبط، لكن يمكن اعتبار أحدِهما عاقلًا تبعًا للمعايير الرسمية، بينما يُعدُّ الآخَر مجنونًا. يَعبُر المرء عتبة الجنون عندما تمنعه حالته العقلية من القدرة على أداء وظائفه، والقدرة على أن يعيش حياةً عادية. تبعًا لتلك المعايير، فأنا لستُ مجنونًا على الإطلاق.

سألَتْني:

- أتُسمِّي هذه حياةً عادية؟

- إنها تسير على ما يُرام بما فيه الكفاية.

ألقيتُ نظرةً جانبية، فوجدتُ آيفي قد غطَّت سلةَ المهملات بحافظة الأوراق كالمعتاد.

دخل توبياس بعد عدة لحظات قائلًا:

- لا يزال ذلك الملتمِس هنا يا ستيفن.

قالت آيفي وهي ترمِيني بنظرةٍ غاضبة:

- ماذا؟ أجعلتَ ذلك الرجلَ المسكين ينتظر؟ لقد مرَّتْ أربع ساعات!

نهضتُ بسرعة من على الأريكة قائلًا:

- حسنًا، إذن! سأجعلُه ينصرف.

خرجتُ من الغرفة بخطواتٍ واسعة، وهبطتُ الدرج إلى الطابق السُّفلي، حتى المدخل الرئيسي.

كان ويلسون، كبير خدمي - والذي كان شخصًا حقيقيًّا، وليس وليد هلاوسي - واقفًا خارج الباب المغلَق لغرفة الجلوس. ألقى إليَّ بنظرةٍ من فوق نظاراتِهِ ذات البُعد البؤري المزدوَج. سألته:

- حتى أنت؟

- أربع ساعات يا سيدي؟!

- كان عليَّ أن أتمالك نفسي يا ويلسون.

- أنت تُحب اللجوء إلى ذلك العُذر يا سيد ليدز. يتساءل المرء ما إذا كانت مِثل هذه اللحظات مسألةَ كسَل، أكثر منها محاولة لتمالُك النفس.

قلت:

- أنت لا تتقاضى راتبَك لتتساءل عن مثل هذه الأشياء.

رفع أحدَ حاجبَيه، فشعرتُ بالخجل. لم يكن ويلسون يستحقُّ التعامُل معه بضيقِ خلق. كان خادمًا رائعًا، وإنسانًا رائعًا. لم يكن من السهل العثور على عامِلِين على استعدادٍ لتحمل ... مُميزاتي الخاصة.

قلت:

- أنا آسف. لقد بِتُّ أُعاني من الإرهاق مؤخرًا.

قال:

- سأجلب لك بعضًا من عصير الليمون، يا سيد ليدز. لـ ...

قلت:

- لثلاثتنا.

أومأت نحو توبياس وآيفي، اللذَين لم يكن ويلسون يستطيع رؤيتَهما بالطبع، وواصلت قائلًا:

- وللمُلتمِس أيضًا.

قال توبياس:

- لا أريد مكعبات ثلج في شرابي، من فضلك.

أضافت آيفي قائلة:

- سأتناول كأسًا من الماء بدلًا من عصير الليمون.

قلتُ وأنا أفتح الباب بشرود:

- لا يرغب توبياس في مكعبات ثلج، وتريد آيفي الماء.

أومأ ويلسون، وانصرف ليفعل ما طلبتُه منه. كان كبيرَ خدمٍ جيدًا بالفعل، وأعتقد أنني كنتُ سأصاب بالجنون من دونِه.

كان هناك شابٌّ ينتظر في غرفة الجلوس، مُرتديًا قميصًا وسروالًا. وثبَ قائمًا من أحد المقاعد قائلًا:

- سيد الفيلق؟

جفلتُ لتلك الكُنية. كان مَن اختارها هو طبيبٌ نفسي موهوب على وجه الخصوص. أعني أنه موهوب في المبالَغات المسرحية، لكنه لم يكن موهوبًا بدرجةٍ كبيرة في مجال الطب النفسي.

قلت وأنا أُمسك الباب لأُبقِيه مفتوحًا من أجل آيفي وتوبياس:

- نادِني باسم ستيفن. ما الذي يُمكننا أن نفعله من أجلك؟

سألني الفتى:

- نفعله؟

ولجتُ الغرفة وجلستُ على أحد المقاعد أمام الشاب، وقلت:

- إنه مجرد تعبير فحسب.

- أنا ... آه ... لقد سمعتُ أنك تُقدم العونَ إلى الناس، حينما يرفضُ الآخرون ذلك.

ازدرد الشابُّ ريقَه وواصل قائلًا:

- لقد جلبتُ ألفَين. نقدًا.

ألقى على الطاولة بمظروفٍ مُدوَّنٍ عليه اسمي وعنواني.

قلتُ وأنا أفتح المظروف وأعدُّ ما بداخله بسرعة:

- سيُؤمِّن لك هذا ثمنَ استشارة.

ألقى توبياس إليَّ بنظرة. كان يكره أن أطلب من الناس ثمن ما أُسدِيه لهم من خدمات، لكن لا يمكن توفير قصرٍ به ما يكفي من الغُرَف لاحتواء كل الهلاوس من خلالِ العمل من دون مقابل. علاوةً على ذلك، فقد كان هذا الفتى يستطيع تحمُّل التكلِفة، تبعًا لما يبدو من ملبسِه.

سألتُه:

- ما المشكلة؟

أجابني الفتى وهو يُخرج شيئًا من جيبه:

- إنها خطيبتي. لقد كانت تخونني.

قلت:

- أُقدِّم لك تعازيَّ، لكننا لسنا جهةَ تحرٍّ خاص، ولا نقوم بأعمال المراقبة.

تجوَّلَت آيفي في الغرفة من دون أن تجلس. دارت حول كرسي الشاب، وهي تتفحَّصه.

أسرع الفتى قائلًا:

- أعرفُ هذا، أنا فقط ... حسنًا، لقد اختفت.

بدت البهجة على توبياس. كان مُولعًا بالألغاز الغامضة.

عقدَت آيفي ذراعَيها وأخذت تنقر بأحد أصابعها على ذراعِها الآخر، وقالت:

- إنه لا يُصارحنا بكلِّ شيء.

سألتُ:

- أكيد؟

افترض الفتى أنني أوجِّهُ حديثي له، فأجاب قائلًا:

- أوه، أجل. لقد اختفت، لكنها تركت هذه الرسالة.

فرَدَها ووضعها على الطاولة. واصل الحديث قائلًا:

- الغريب حقًّا في الأمر هو أنَّني أعتقد أنها قد تكون مكتوبة بشفرةٍ ما. انظر لتلك الكلمات. لا معنى لها.

التقطتُ الورقة، وألقيتُ نظرةً على الكلمات التي أشار إليها. كانت على ظهر الورقة، وقد دُوِّنت على عجل، كقائمةٍ من الملحوظات. استُخدِمَت نفس الورقة لاحقًا لكتابة رسالة وداع من خطيبته. أظهرتها لتوبياس.

قال وهو يُشير إلى الملحوظات المدوَّنة على ظهر الورقة:

- هذه كلمات أفلاطون. كلٌّ منها عبارة عن اقتباسٍ من محاورة فيدروس. آه، أفلاطون، إنه رجل رائع كما تعلم. لا يعرف سوى قليلٍ من الناس فحسب أنه كان عبدًا في وقتٍ ما، باعَه طاغية في سوق العبيد لاختلافِهِ مع آرائه السياسية، علاوة على أنَّ شقيق الطاغية تحوَّل وصار واحدًا من تلامذته. لحُسن الحظ، كان مَن اشترى أفلاطون شخصًا مُطلعًا على عمله، ويمكنك القول إنه كان معجبًا به، فأعتقه. من المجدي أن يكون لدى المرء مُعجبون يُحبونه، حتى في اليونان القديمة ...

واصل توبياس حديثه. كان يتمتَّع بصوتٍ عميق يبعث على الراحة، أُحب الاستماع إليه. تفحصتُ الرسالة، ثم رفعتُ عينيَّ إلى آيفي، التي هزَّت كتفَيها.

انفتح الباب، ودخل ويلسون حاملًا عصير الليمون، والماء لآيفي. لاحظتُ جي سي واقفًا بالخارج، وقد أخرج مُسدسه وهو يختلس النظر داخل الغرفة ويتفحص الشاب. ضاقَتْ عينا جي سي.

قلتُ وأنا أتناول عصير الليمون:

- ويلسون، هلَّا تكرمتَ بالإرسال في طلب أودري؟

قال كبير الخدم:

- بكل تأكيد يا سيدي.

كنتُ أعرف في أعماقي أنه لم يجلب أكوابًا بالفعل لآيفي وتوبياس، على الرغم من أنه تظاهر بكونه يُناول شيئًا ما للمقاعد الخالية. تولَّى عقلي ملء الفراغ، فتخيلتُ المشروبات، وتخيلتُ آيفي وهي تخطو نحو ويلسون لتتناولَ كوبَها من يده، بينما كان يحاول أن يُناولها إياه حيث كان يعتقد أنها جالسة. ابتسمتْ له بود.

انصرف ويلسون.

قال الشاب:

- حسنًا؟ هل تستطيع ...

توقف عن الحديث عندما رفعتُ إصبعي. لم يكن ويلسون يستطيع رؤية هلاوسي، لكنه كان يعرف غرفةَ كلٍّ منهم. كان علينا أن نأمُل بوجود أودري؛ إذ كان لدَيها عادة زيارة شقيقتها في سبرينجفيلد.

لحُسن الحظ، ولجتْ الغرفة بعد بضع دقائق، لكنها كانت ترتدي روب حمَّام. قالت وهي تُجفف شعرها بالمنشفة:

- أفترض أن الأمر هام.

رفعتُ إليها الرسالة، ثم المظروف الذي يحوي المال، فمالت أودري إلى الأسفل. كانت امرأةً لها شعر داكن، وتميل إلى البدانة بعض الشيء. انضمَّتْ إلينا منذ بضع سنوات، عندما كنتُ أعمل على إحدى قضايا التزوير.

همهمت لنفسِها لدقيقةٍ أو دقيقتين، ثم أخرجتْ عدسة مكبرة -وجدتُ الأمر مسليًّا لكونها تحتفظ بواحدة في روب الحمَّام، لكن هذه هي طبيعة أودري - وشرعت تتبادل النظر ما بين الرسالة والمظروف. كان من المفترَض أن أحدهما خطه الشاب، بينما خطَّت خطيبتُه الآخر.

أومأت أودري قائلة:

- مِن المؤكَّد أن الخط لنفس الشخص.

قلت:

- إنها ليست عينةً كبيرة بدرجةٍ كافية.

سأل الفتى:

- إنها ماذا؟

قالت أودري:

- إنها كافية في هذه الحالة. المظروف مُدوَّن عليه اسمك الكامل وعنوانك. إن مَيل الخط، والمسافات بين الكلمات، وتشكيل الحروف، كلها تؤدي إلى نفس الإجابة. كما أنه يكتُب حرف الـ«إ» بصورة مميزة للغاية. إذا استخدمنا العينة الأكبر كنموذج، فيمكن حينَها القطع بأن عينة المظروف أصلية - في تقديري الشخصي - بيقينٍ تزيد نسبتُه عن تسعين في المائة.

قلت:

- شكرًا لك.

قالت وهي تسير مبتعدة:

- أريد كلبًا جديدًا.

- لن أتخيَّل لك جروًا، يا أودري. إن جي سي يخلق ما يكفي مِن الضجيج! لا أريد كلبًا يركض وينبح هنا.

استدارت عند مدخل الباب قائلة:

- أوه، هيا. سأُطعمه طعامًا خياليًّا، وأسقيه ماء خياليًّا، وأصطحبُه في نزهات وهمية. كل ما قد يتمنَّاه جروٌ وهمي.

على الرغم من أنني كنت أبتسم، قلت لها:

- انصرفي من هنا.

كانت تُشاكسني. من اللطيف وجود بعض الجوانب التي لا تمانع كونها مجرد هلاوس.

نظر إليَّ الشابُّ بتعبيرٍ غلبت عليه الحيرة.

قلت له:

- بوسعك التخلِّي عن هذه التمثيلية.

- تمثيلية؟

- التظاهر بالاندهاش من مدى «غرابتي». كانت هذه محاولة غير احترافية إلى حدٍّ ما. أنت طالِب دراسات عليا، على ما أعتقد؟

بدا في عينَيه الذُّعر.

قلت وأنا ألقي إليه بالرسالة:

- فلتطلُب من رفيقك في السكن أن يكتُب لك الرسالة في المرة القادمة. اللعنة، ليس لديَّ الوقت لمِثل هذه الأشياء.

نهضتُ واقفًا.

قال توبياس:

- يُمكنك إجراء حديثٍ معه.

أجبتُ بنبرة غاضبة:

- بعد أن كذبَ عليَّ؟

نهض الفتى واقفًا وهو يقول:

- أرجوك، إن صديقتي ...

استدرتُ قائلًا:

- لقد ذكرتَها بوصفها خطيبتك من قبل. أنت هنا لتُحاول أن تجعلني أتولَّى «قضية»، بينما تتحكَّم بي أثناءها، وتُدوِّن سرًّا الملاحظات

بخصوص حالتي. إن هدفك الحقيقي هو كتابة أطروحة، أو شيءٍ من هذا القبيل.

بدت على ملامحه خيبة الأمل. وقفت آيفي خلفَه، وهي تهزُّ رأسها بازدراء.

سألته:

- هل تعتقد أنك أول من فكر في هذا الأمر؟

تجهَّم قائلًا:

- لا يمكنك أن تلومَ شخصًا لمحاولته.

قلت:

- بل يُمكنني ذلك، وأفعل هذا في كثيرٍ من الأحيان. ويلسون! سنحتاج لاستدعاء الأمن!

قال الفتى وهو يتناول أشياءه:

- لا حاجة لذلك.

بينما كان في عجلةٍ من أمره، انزلق جهازُ تسجيلٍ صغير من جَيب قميصه، وسقط على الطاولة بصوتٍ مرتفع.

رفعتُ أحد حاجبي، في حين تضرَّج وجهُه بالحُمرة، والتقط جهاز التسجيل، وهُرع خارجًا من الغرفة.

نهض توبياس وتوجَّهَ نحوي، عاقدًا ذراعَيه خلف ظهره. قال:

- يا للفتى المسكين. وسوف يُضطر، على الأرجح، إلى العودة إلى منزله سيرًا على الأقدام تحت المطر، علاوةً على كلِّ هذا.

- هل الجوُّ ممطر؟

قال توبياس:

- يقول ستان إنَّ المطر سيهطل قريبًا. هل فكرت أنهم سيُقدِمون على مثل هذه الأشياء بدرجةٍ أقل، لو أنك وافقتَ على إجراء حديثٍ بين حينٍ وآخر؟

لوَّحتُ بيدي في انزعاج، قائلًا:

- لقد سئمتُ من الإشارة إليَّ في دراسات الحالات المرضية. وسئمتُ من التعرُّض للفحص. وسئمتُ من كوني مُميزًا.

وجدَتْ آيفي الأمر مُسليًّا، وقالت:

- ماذا؟ أتُفضِّل العمل على مكتبٍ في وظيفةٍ يومية؟ والتخلِّي عن القصر الفسيح؟

قلتُ بينما عاد ويلسون للدخول، مُديرًا رأسه ليتأمَّل الشاب وهو يفرُّ من الباب الأمامي:

- لم أقُل إنه لا توجَد امتيازات. من فضلك، هل يمكنك التأكد من أنه رحلَ بالفعل يا ويلسون؟

- بالطبع يا سيدي.

ناوَلَني صينيةً عليها بريد اليوم، ثم انصرف.

تفحصت البريد. كان قد أزال بالفعل كلَّ الفواتير والرسائل غير المرغوب فيها. تبقَّت رسالةٌ من طبيبي النفسي الحقيقي، تجاهلتُها، ومظروف أبيض كبير الحجم غير مُميز.

تجهَّمتُ، وتناولتُه، مُمزِّقًا طرفه العلوي كي أفتحه، ثم أخرجت محتوياته.

كان هناك شيء واحد فقط داخل المظروف: صورة فوتوغرافية واحدة حجمها خمسة في ثمانية، بالأبيض والأسود. رفعتُ حاجبًا. كانت صورةً لساحلٍ صخري، حيث تتشبث شجرتان صغيرتان بصخرةٍ مُمتدة في المحيط.

قلتُ بينما آيفي وتوبياس يُطلَّان من فوق كتفي:

- لا يوجَد عليها شيء من الخلف. كما لا يُوجَد شيءٌ آخر داخل المظروف.

قالت آيفي:

- أُراهن أنها من شخصٍ آخَر يحاول الحصول على مقابلة. وهو يؤدِّي مُهمته على نحوٍ أفضلَ من ذلك الفتى.

قال جي سي وهو يشقُّ طريقَه مزاحمًا آيفي، التي وجَّهتْ إليه لكمةً في كتفه:

- لا يبدو أنه شيء مميز. صخور وأشجار. إنها تُثير الضجر.

قلت:

- لا أعرف... توبياس؟

تناول توبياس الصورة. على الأقل، كان ذلك هو ما رأيته. في الغالب، كانت الصورة لا تزال في يدي، لكنني لم أعد أشعر بوجودها هناك، بعد أن شاهدتُ توبياس يَحملها. إنه أمر غريب، تلك الطريقة التي يمكن للعقل أن يُغير بها إدراك المرء للأشياء.

تفحَّص توبياس الصورة لفترةٍ طويلة. أخذ جي سي يضغط صمام الأمان في مُسدسه ليفتحَه ويُغلقه المرة تلوَ الأخرى.

صاحَت فيه آيفي:

- ألا تتحدَّث على الدوام عن مراعاة الأمان في التعامُل مع الأسلحة؟

قال:

- أنا أُراعي الأمان بالفعل، فالفوَّهة ليست مصوَّبة إلى أحد. علاوة على ذلك، فأنا أتمتَّع بسيطرةٍ حديديةٍ تامة على كل عضلةٍ من عضلات جسدي. أستطيع...

قال توبياس:

- فليصمت كلاكما.

أمسك الصورة وقرَّبَها أكثر، وواصل قائلًا:

- يا إلهي ...

قالت آيفي:

- من فضلك، لا تنطق باسم الربِّ عبثًا.

شخَرَ جي سي. قال توبياس:

- ستيفن، أحتاج كمبيوتر.

انضممتُ إليه أمام جهاز الكمبيوتر الكائن بغرفة الجلوس، ثم جلست، بينما اتَّكأ توبياس على كتفي.

قال:

- ابحث عن «شجرة السَّرو الوحيدة».

لذا فعلتُ، وظهرَتِ الصور المعروضة. تراصَّت على الشاشة بضع عشرات من اللقطات لنفس الصخرة، لكنَّ جميعهم كانت تعلوهم شجرة أكبر حجمًا. كانت الشجرة في هذه الصور تامة النمو، بل إنها في الحقيقة بدَتْ عتيقة.

قال جي سي:

- حسنًا، رائع. ما زالت هناك أشجار وصخور. وما زالت تبعث على الضجر.

قال توبياس:

- هذه هي شجرة السَّرو الوحيدة، وهي شهيرة، ويُعتقَد أن عمرها مائتَان وخمسون عامًا على الأقل.

سألت آيفي:

- بالتالي ...؟

رفعتُ الصورة المرسلة بالبريد، وقلت:

- في هذه الصورة، لا يزيد عمرُها عن ... ماذا؟ عشر سنوات؟

قال توبياس:

- بل أقل، على الأرجح.

قلت:

- إذن، في حال ما إذا كانت هذه الصورة حقيقية، لا بد أن تكون قد التُقِطت ما بين مُنتصفِ وأواخِرِ القرن الثامن عشر، أي قبل اختراع الكاميرا بعقود.

2

قالت آيفي:

– انظر، من الواضح أنها مزورة. لا أفهم لِمَ يُزعجكما الأمر إلى هذا الحد.

سِرت أنا وتوبياس عبر ردهة القصر. كان قد انقضى يومان، ولم أتمكَّن من إبعاد الصورة عن ذهني بعد. حملتُ الصورة معي في جيب سُترتي.

قال توبياس:

– أكثر تفسيرٍ منطقي هو أن الأمر مجرد خدعة.

قلت:

– يَعتقد أرماندو أنها حقيقية.

أجابت آيفي، التي كانت ترتدي بدلةً رسمية رماديةً اليوم، قائلة:

– إن أرماندو مجنون تمامًا.

قلت:

– هذا صحيح.

ثم رفعتُ يدي إلى جَيبي ثانية. لم يكن تعديل الصورة لِيتطلَّب كثيرًا من الجهد. فما مدى صعوبة تعديل صورة في هذه الأيام؟ في الواقع، يستطيع أي طفلٍ لدَيه برنامج فوتوشوب خلقَ صورٍ مُزورة تبدو واقعية.

تحقَّق أرماندو من الصورة من خلال بعض البرامج المتقدمة، ومستويات الفحص المختلفة، وقام بعديدٍ من الأشياء الأخرى التي كانت مُتخصصة بدرجةٍ تفوق قُدرتي على الاستيعاب، لكنه اعترف بأن ذلك لا يعني شيئًا؛ إذ إن الفنان الموهوب سينجح في خداع الاختبارات.

لِمَ تؤرِّقني هذه الصورة إلى هذا الحدِّ إذن؟

قلت:

- هذا يدل على أن هناك شخصًا يحاول إثبات شيءٍ ما. هناك عديد من الأشجار الأقدم من شجرة السرو الوحيدة، لكنَّ قليلًا منها في موقعٍ مميز بنفس الدرجة. تهدف هذه الصورة إلى أن يُدرك المرء على الفور كونها مستحيلة، على الأقل بالنسبة لأولئك الذين لدَيهم معرفة جيدة بالتاريخ.

سألت آيفي:

- هذا أدعى للاعتقاد بأنها خدعة إذن، ألا تعتقد ذلك؟

- ربما.

سِرتُ عائدًا إلى الاتجاه المعاكس، وقد التزمتْ جوانبي المختلفة الصمت. أخيرًا، سمعتُ الباب يُغلَق في الطابق السفلي. أسرعتُ هابطًا إلى بسطة الدرج بالأسفل.

قال ويلسون وهو يصعد الدرج:

- سيدي؟

- ويلسون! هل وصل البريد؟

توقف عند البسطة، حاملًا صينيةً فضيَّة. أسرعتْ من خلفِه ميجان، التي كانت من عُمَّال النظافة - وهي حقيقية بالطبع - ومرَّت بجوارنا بخُطًى مسرعة، ورأسها محنيٌّ إلى الأسفل.

قالت آيفي:

- سوف تُقدِّم استقالتها قريبًا. عليكَ أن تحاول حقًّا أن تكون أقلَّ غرابة.

تمتمتُ قائلًا وأنا أتفحَّص البريد:

- سيكون هذا من الصعب للغاية في وجودكم يا آيفي.

ها هو! مظروف آخَر، مُطابق لذلك الأول. فتحتُهُ بلهفة، وأخرجتُ منه صورةً أخرى.

كانت هذه الصورة ضبابيةً بدرجة أكبر، لرجلٍ يقفُ أمام حوضٍ للغسل، وحول رقبتِه منشفة. كانت الأشياء المحيطة به عتيقة الطراز، كما كانت هذه الصورة أيضًا باللونَين الأبيض والأسود.

أدرتُ الصورة نحو توبياس. تناوَلَها ورفعَها إلى الأعلى، مُتفحصًا إيَّاها بعينَين أحاطت بجانبَيهما التجاعيد.

سألتْ آيفي:

- حسنًا؟

قلت:

- يبدو شكلُه مألوفًا. أشعر أنني يجِبُ أن أعرف من يكون.

قال توبياس:

- إنه جورج واشنطن، يحلق ذقنه في الصباح على ما يبدو. أشعر بالدهشة لأنه لم يكن لدَيه من يفعل ذلك من أجله.

قلت وأنا أستعيد الصورة ثانية:

- لقد كان جنديًّا، وفي الغالب اعتاد القيام بكل شيءٍ بنفسه.

مررتُ بأصابعي على الصورة اللامعة. كانت أول داجيروتيب - الصور الفوتوغرافية المبكرة - قد التُقِطت في منتصف ثلاثينيَّات

القرن التاسع عشر. قبل ذلك، لم يكن أحدٌ قادرًا على خلق صور دائمة من هذا النوع. وقد تُوفِّي واشنطن في عام 1799.

قالت آيفي:

- انظر، من الواضح أن هذه مُزيفة. صورة لجورج واشنطن؟ هل علينا افتراض أن شخصًا ما سافَر عبر الزمن إلى الماضي، وكل ما فكر في القيام به هو التقاطُ صورة عفوية لجورج في الحمَّام؟ إن أحدهم يتلاعب بنا يا ستيف.

اعترفتُ قائلًا:

- ربما.

قال توبياس:

- إنه يُشبهه بالفعل على نحوٍ لافت للنظر.

قالت آيفي:

- لكن ليست لدَينا أي صور فوتوغرافية له، لذا فلا تُوجَد طريقة لإثبات الأمر. انظر، كل ما يحتاج أي شخصٍ لفعله هو استئجار مُمثل يُشبهه، ليجعلَه يقف في الوضعية الملائمة للصورة، وسيكون جاهزًا. لن يحتاج حتى لإجراء أي تعديل للصور.

قلت وأنا أقلِّب الصورة:

- لنرَ ما رأي أرماندو.

كان هناك رقم هاتف على ظهر هذه الصورة. واصلتُ الحديث قائلًا:

- فليَجلِبْ أحدكم أودري أولًا.

3

قال أرماندو:

- يُمكنك الاقتراب من جلالتِه.

وقف عند نافذته التي لها شكل مثلث. كان يسكن في واحدةٍ من قمم القصر، وكان قد طالب بمنصب الملك.

سألَني جي سي بهدوء:

- هل يمكنني إطلاق النار عليه؟ في مكان غير ذي أهمية، كما تعلم. في قدمِه، ربما؟

قال أرماندو بلكنته الإسبانية الرقيقة، وهو يدير إلينا عينَيه اللتَين أطلت منهما نظرة استهجان:

- لقد سمع جلالته ذلك. ستيفن ليدز، هل أوفيتَ بوعدك لي؟ يجب أن أعود إلى عرشي.

قلت وأنا أُناوله الصورة:

- أعمل على ذلك الأمر يا أرماندو. لقد تسلَّمنا واحدة أخرى.

تنهد أرماندو، وتناول الصورة من بين أصابعي. كان رجلًا نحيلًا، له شعر أسود يُصففه إلى الخلف.

- يوافق أرماندو بكل كرمٍ على النظر في طلبك.

رفع الصورة إلى الأعلى.

قالت آيفي وهَي تطل برأسها داخل الغرفة:

- أتدري يا ستيف، إذا كنتَ ستخلق الهلاوس، فعليك التفكير حقًّا في جعلها أقلَّ إثارة للاستفزاز.

قال أرماندو:

- اصمتي يا امرأة! هل فكرتِ في طلب جلالته؟

- لن أتزوج منك يا أرماندو.

- ستكونين ملكة!

- ليس لديكَ أي عرش. وآخِر مرة تحققت فيها من الأمر، كان للمكسيك رئيس، وليس امبراطورًا.

قال أرماندو وهو يتفحَّص الصورة:

- إن أباطرة المخدرات يُهددون شعبي، الذي يتضوَّر جوعًا، ويُجبَر على الانصياع لأهواء القوى الأجنبية. الأمر مُخزٍ. هذه الصورة أصلية.

أعادها إليَّ.

سألته:

- أهذا كل شيء؟ ألا تحتاج إلى إجراء بعضٍ من اختبارات الكمبيوتر تلك؟

قال أرماندو:

- ألستُ أنا خبير التصوير الفوتوغرافي؟ ألم تتقدَّم أنت إليَّ بهذا الطلب المثير للشفقة؟ لقد قلتُ رأيي. إنها حقيقية، من دون خداع. ومع ذلك، فإن المصور أحمق، ولا يعرف شيئًا عن فنون الحرفة. إن هذه الصور تُثير استيائي، بطبيعتها المبتذلة تمامًا.

أدار لنا ظهره، وعاد إلى النظر من النافذة مرة أخرى.

سأل جي سي:

- هل يُمكنني إطلاق النار عليه الآن؟

قلتُ وأنا أقلِّب الصورة:

- أمِيلُ إلى السماح لك بذلك.

كانت أودري قد تفحصت خطَّ اليد المكتوب بالخلف، ولم تتمكن من تتبُّعه وربطِه بأيٍّ من الأساتذة أو علماء النفس، أو المجموعات الأخرى التي ظلت تُبدي الرغبة في إجراء دراسات عليَّ.

هززتُ كتفي، وأخرجت هاتفي. كان رقمًا محليًّا. رن لمرةٍ واحدة، قبل أن يرفع أحدهم السماعة.

قلت:

- مرحبًا؟

أجاب صوتُ امرأة بلكنة جنوبية خفيفة:

- هل لي أن آتي لزيارتك، يا سيد ليدز؟

- من أنت؟

- الشخص الذي أرسل لك الألغاز.

- حسنًا، لقد فهمت ذلك الجزء.

- هل يُمكنني أن آتي للزيارة؟

- أنا . . . حسنًا، أعتقد ذلك. أين أنت؟

- خارج بوابتك.

أُغلق الهاتف، وبعد لحظة علا الرنين بينما أحدُهم يفتح البوابات الأمامية.

نظرتُ إلى الآخرين. اندفع جي سي نحو النافذة وقد أخرج مُسدسه، واختلس النظر إلى الممر الأمامي. تجهَّم أرماندِو في وجهه.

خرجنا أنا وآيفي من غرفة أرماندو، وتوجَّهنا إلى الدرَج.

لحق بنا جي سي وسألني:

- هل تحمل سلاحًا؟

- الناس العاديون لا يتجوَّلون في منازلهم حامِلين مسدسات يا جي سي.

- بل يفعلون، إذا كانوا يريدون البقاء على قيد الحياة. فلتذهب لتجلب مُسدَّسك.

ترددت، ثم تنهدت. ناديتُ قائلًا:

- دعْها تدخل يا ويلسون.

لكنني عدتُ أدراجي إلى غرفتي الخاصة - وهي الأكبر في القصر- وتناولتُ مُسدسي من المنضدة الجانبية، ووضعتُه في جرابِه أسفل ذراعي، ثم ارتديتُ سُترتي مرة أخرى. كان شعورًا طيبًا أن أحمل مسدسًا، لكنني كنتُ فاشلًا في التصويب. حينما شرعتُ أهبط الدرَج متوجهًا إلى المدخل الأمامي، كان ويلسون قد فتح الباب. وقفَتِ امرأة في الثلاثينيات من العمر لها بشرة داكنة في المدخل، مُرتدية معطفًا أسود وبدلةً رسمية، وشعرها مجدول جدائل قصيرة. خلعتْ نظارتها الشمسية، وأومأت إليَّ برأسها.

وصلتُ إلى البسطة وقلت:

- غرفة الجلوس يا ويلسون.

قادها إليها، ودخلتُ أنا بعد أن انتظرتُ مرور جي سي وآيفي. كان توبياس جالسًا بالداخل بالفعل، يقرأ كتاب تاريخ.

سأل ويلسون:

- عصير الليمون؟

قلت وأنا أغلق الباب، بعد أن صار ويلسون بالخارج:

- لا، شكرًا لك.

تجوَّلَت المرأة في أرجاء الغرفة، وهي تتأمل الديكور. قالت:

- يا له من مكان فاخر! هل دفعتَ ثمن كل هذا من الأموال التي حصلتَ عليها من الأشخاص الذين يطلبون منك المساعدة؟

قلت:

- حصلتُ على معظمها من الحكومة.

- تقول الشائعات إنك لا تعمل لصالحهم.

- لم أعُد أفعل الآن، لكنني كنتُ في السابق. على أي حال، كان مصدر معظمها هو المِنَح المالية، من الأساتذة الذين أرادوا إجراء الأبحاث عني. أخذت أُطالب بمبالغ طائلة مقابل ذلك الامتياز، مفترضًا أن هذا سيصرِفهم عن الأمر.

- إلا أنه لم يفعل.

تجهَّمتُ قائلًا:

- لا شيء يفعل. تفضلي بالجلوس.

قالت وهي تتفحص لوحة فان جوخ الخاصة بي:

- سأبقى واقفة. اسمي مونيكا، بالمناسبة.

أخرجتُ الصورتَين قائلًا:

- عليَّ القول يا مونيكا إنه يبدو من الغريب أن تتوقعي منِّي تصديق حكايتك السخيفة.

- لم أقصَّ عليك حكايةً بعد.

ألقيتُ بالصورتَين على الطاولة قائلًا:

- سوف تفعلين. حكاية عن السفر عبر الزمن، وعلى ما يبدو، مُصور لا يعرف كيف يستخدم الفلاش بشكلٍ صحيح.

قالت من دون أن تلتفت:

- أنت عبقري يا سيد ليدز. طبقًا لبعض الشهادات التي قرأتها، فأنت أذكى رجلٍ على هذا الكوكب. لو كان هناك عيب واضح - أو حتى عيب غير بادي الوضوح - في هذه الصور، لكنت تخلصت منها. ومن المؤكد أنك لم تكن لتتَّصِل بي.

- إنهم مخطئون.

- هم ...؟

جلستُ في المقعد المجاور لتوبياس وقلت:

- الناس الذين يصفونني بالعبقرية. أنا لست عبقريًّا، بل أنا عاديٌّ للغاية في الواقع.

- أجد أنه من الصعب تصديق ذلك.

قلت:

- فلتُصدِّقي ما تشائين، لكنني لستُ عبقريًّا. بل إن هلاوسي هي التي تتَّصِف بالعبقرية.

قال جي سي:

- شكرًا.

صححتُ نفسي قائلًا:

- بعض هلاوسي تتَّصِف بالعبقرية.

التفتت مونيكا نحوي قائلة:

- هل تتقبَّل أن الأشياء التي تراها ليست حقيقية؟
- أجل.
- مع ذلك فأنت تُبادلهم الحديث.
- لا أريد أن أجرحَ مشاعرهم. علاوة على ذلك، يمكن أن يكونوا مُفيدين.

قال جي سي:
- شكرًا لك.

صححتُ نفسي قائلًا:
- يمكن أن يكون بعضهم مُفيدًا. على أي حال، فهم سبب وجودِك هنا. أنت تُريدين عقولهم. فلتقُصِّي عليَّ حكايتك الآن يا مونيكا، أو فلتتوقَّفي عن إضاعة وقتي.

ابتسمتْ، وتقدَّمَت منِّي لتجلس أخيرًا. قالت:
- ليس الأمر كما تظن. لا تُوجَد آلة زمن.
- أوه؟
- لا تبدو متفاجئًا.

قلت:
- إن السفر عبر الزمن إلى الماضي غير معقول إلى حدٍّ كبير للغاية. حتى لو أن ذلك حدث بالفعل، فلن أعرف به؛ إذ إنه سيخلق مسارًا متشعبًا للواقع، لستُ أنا جزءًا منه.
- ما لم يكن هذا هو الواقع المتشعِّب.

قلت:

- في هذه الحالة، سيظلُّ السفر عبر الزمن إلى الماضي غير ذي صلةٍ بي من الناحية العملية، لأن الشخص الذي سافر إلى الماضي سيخلق مسارًا متشعبًا - مرة أخرى - لن أكون أنا جزءًا منه.

قالت:

- هذه إحدى النظريات على الأقل، لكنها بلا معنى. فكما ذكرتُ، لا تُوجَد آلة زمن. ليس بالمعنى التقليدي للكلمة.

سألتها:

- هل هذه الصور مزورة إذن؟ لقد بدأتِ تُثيرين ضجري بسرعةٍ شديدة يا مونيكا.

وضعتْ ثلاث صور أخرى على الطاولة.

قال توبياس وهو يتناولها واحدةً تلوَ الأخرى:

- شيكسبير. عملاق رودس. أوه ... هذه تنمُّ عن البراعة.

سألته:

- إلفيس؟

قال توبياس، مشيرًا إلى صورة أيقونة البوب الذي أفلَ بريقُه، وهو جالس في حمَّامِه وقد تدلَّى رأسه:

- في اللحظة السابقة لموتِه، على ما يبدو.

أبدى جي سي شعوره بالازدراء، قائلًا:

- كما لو أنه لا يُوجَد أي شخصٍ آخر يُشبه ذلك الرجل.

قالت مونيكا وهي تميل إلى الأمام:

- هذه من كاميرا تلتقِط صورًا من الماضي.

توقفَتْ عن الحديث من أجل التأثير الدرامي، وتثاءب جي سي.

ألقيتُ الصور على الطاولة قائلًا:

- المشكلة في كل صورةٍ من هذه الصور هي أنها في الأساس لا يمكن التحقُّق منها. فهي صور لأشياء ليس لها أي سجلٍ مرئي آخر لإثباتها، لذا سيكون من المستحيل استغلال الأخطاء الصغيرة في كشف الزيف.

أجابت مونيكا:

- لقد رأيتُ الجهاز يعمل. تمَّ إثبات ذلك في بيئة اختبارٍ دقيقة. وقفْنا في غرفة نظيفة أعددناها مسبقًا، ثم تناولنا بطاقات ورسمْنا على ظهرها، ورفعناها عاليًا. بعدَها، أحرقْنا البطاقات. ثم دخل مُخترع هذا الجهازِ الغرفة، والتقط الصور. أظهرتْنا تلك الصور بدقة ونحن نقف هناك، وبحوزتنا البطاقات بالأشكال المرسومة عليها.

قلت:

- رائع. والآن، ما هو السبب الذي يدفعني إلى الثقة في كلامك على الإطلاق؟

قالت:

- يمكنك اختبار الجهاز بنفسك. استخدِمْه للإجابة على أي سؤالٍ من التاريخ تتمنَّاه.

قالت آيفي:

- يُمكننا ذلك بالفعل، لو أنه لم يتعرض للسرقة.

كنت على ثقةٍ مما قالته آيفي؛ إذ كانت تتمتع بغريزة جيدة فيما يتعلق بالاستجواب، وأحيانًا كانت تُلقِّنني بعض العبارات، فكررتُ قائلًا:

- يُمكنني أن أفعل ذلك، لكن الجهاز تعرض للسرقة، أليس كذلك؟

مالت مونيكا إلى الوراء في مقعدها، وتجهمتْ.

قالت آيفي:

- لم يكن من الصعب التكهُّن بذلك يا ستيف. لم تكن لتحضرَ هنا، لو كان كل شيءٍ يسير على ما يرام. وكانت ستُحضِرُ الكاميرا - للتباهي بها - لو كانت تريد إثبات الأمر لنا بالفعل. يُمكنني تصديق وجودها في معمل بمكانٍ ما، لكونها أثمن كثيرًا من أن تجلبها معها. لكن في هذه الحالة، كانت ستدعونا إلى مركز قوَّتِها، بدلًا من الحضور إلى مركز قوَّتِنا نحن.

إنها يائسة، على الرغم من هدوء مظهرها الخارجي. أرأيتَ كيف تستمرُّ في النقر على مسند مقعدها؟ علاوة على ذلك، هل لاحظتَ كيف حاولت البقاء واقفةً خلال الجزء الأول من المحادثة، لتمنح نفسها مظهرًا ضخمًا، وكأنها تدعم سُلطتها؟ لم تجلس إلا عندما أحسَّتْ بالارتباك من كونك تبدو مرتاحًا إلى هذا الحد.

أومأ توبياس قائلًا:

- لا تفعل أيَّ شيء أبدًا وأنت واقف، يُمكنك القيام به وأنت جالس، ولا تفعل أي شيء وأنت جالس، يمكنك القيام به وأنت مُستلق. هذا مثَل صيني، يُنسَب عادة إلى كونفوشيوس. بالطبع، لم يعُد هناك وجودٌ لأي نصوص أصلية باقية من كونفوشيوس، لذا فإن كلَّ شيء تقريبًا مما ننسِبُه إليه هو تخمين بدرجةٍ أو بأخرى. ومن المفارقات أنه من الأشياء الوحيدة التي نحن على يقينٍ من أنه علَّمها هي القاعدة الذهبية، وغالبًا ما يُنسَب قوله المتعلق بهذا الأمر إلى يسوع الناصري، الذي صاغ نفس المفهوم بطريقة مختلفة.

تركتُه يتحدَّث، وغمرَني مدٌّ وجزرُ صوتِه الهادئ كالأمواج. لم يكن ما يقوله مُهمًّا.

أخيرًا، قالت مونيكا:

- أجل، لقد تعرض الجهاز للسرقة، وهذا هو سبب وجودي هنا.

قلت:

- لدَينا مشكلة، إذن. الطريقة الوحيدة التي يُمكنني أن أُثبت بها لنفسي صحةَ هذه الصور، هي الحصول على الجهاز. مع ذلك، لا يمكنني الحصول على الجهاز من دون القيام بالعمل الذي تُريدينني أن أقوم به. مما يعني أنني يُمكنني الوصول لنهاية هذا الأمر بكل بساطة لأكتشِف أنكِ كنتِ تتلاعبين بي.

ألقتْ صورةً أخرى على الطاولة. كانت لامرأةٍ ترتدي نظارة شمسية، ومعطفًا واقيًا من المطر، تقف في محطة قطار. التُقِطت الصورة من الجانب، بينما هي تتفقَّد شاشةً بالأعلى.

ساندرا.

قال جي سي:

- يا إلهي.

نهضتُ وقلت مطالبًا إيَّاها بالجواب:

- من أين حصلتِ على هذه الصورة؟

- لقد أخبرتك . . .

ضربتُ بيدي على الطاولة، قائلًا:

- لم نعُد نمارس الألاعيب الآن! أين هي؟ ما الذي تعرفينه؟

تراجعَت مونيكا وقد اتَّسعَت عيناها. لا يعرف الناس كيف يتعاملون مع مرضى الفصام. لقد قرءوا الحكايات، وشاهدوا الأفلام. نحن نُثير فيهم

الخوف، على الرغم من أنه ليس من المرجَّح إحصائيًّا أن نقترِف أي جرائم عنيفة، أكثر من الشخص العادي.

هناك عديد من الأشخاص ممَّن كتبوا عنِّي الأبحاث يزعمون أنني لستُ مصابًا بالفصام. يعتقد نصفهم أنني أختلق كل هذا، بينما يعتقِد النصف الآخر شيئًا مختلفًا، شيئًا جديدًا. أيًّا ما كان الذي أُعاني منه، وأيًّا كانت الطريقة التي يعمل بها عقلي، فيبدو أن هناك شخصًا واحدًا فقط تمكَّن من فهمي على الإطلاق. كانت تلك هي المرأة الظاهرة بالصورة التي ألقت بها مونيكا على الطاولة للتو.

ساندرا. بطريقةٍ ما، كانت هي مَن بدأ كل هذا.

قالت مونيكا:

- لم يكن من الصعب الحصول على الصورة. كنتَ تتحدث عنها، عندما كنتَ تُجري أحاديث صحفية. من الواضح أنك كنت تأمُل أن يقرأ أحدُهم الحديث، ويُقدم لك معلومات عنها. ربما كنتَ تأمُل أن ترى هي ما لدَيك لتقوله، فتعود إليك.

أجبرتُ نفسي على الجلوس مرة أخرى.

واصلت مونيكا الحديث قائلة:

- كنتَ تعرف أنها ذهبت إلى محطة القطار، وفي أي وقتٍ ذهبت. لكنك لم تعرف القطار الذي استقلَّته. شرعْنا نلتقط الصور، حتى عثرنا عليها.

قلت:

- لا بد أنه كان هناك عشرات النساء في محطة القطار تلك، لهنَّ شعر أشقر، ولديهن المظهر الملائم.

لم يكن أحدٌ يعلم من تكون حقًّا، ولا حتى أنا.

أخرجَت مونيكا رزمةً من الصور، بلغ عددها حوالي عشرين صورة. كانت كل منها صورةً لامرأة. قالت:

- ظننا أن تلك التي ترتدي نظارةً شمسية بالداخل هي الخيار الأكثر ترجيحًا، لكنَّنا أحضرنا كلَّ الصور التي التقطناها في محطة القطار ذلك اليوم، لكل امرأةٍ يُقارب عمرها السنَّ المناسب، على سبيل الاحتياط.

أراحت آيفي يدَها على كتفي.

قال توبياس:

- بهدوءٍ يا ستيفن. إن الدفَّة القوية تقود السفينة، حتى وسط العاصفة.

تنفَّستُ شهيقًا وزفيرًا.

سأل جي سي:

- هل يُمكنني إطلاق النار عليها؟

أدارت آيفي عينَيها في محجرَيهما وقالت:

- ذكِّرني لِمَ نُبقي على وجوده هنا؟

قال جي سي:

- لقوَّتي ووسامتي.

واصلتْ آيفي حديثَها إليَّ قائلة:

- اسمع، لقد قوَّضَت مونيكا أساس حكايتها. فهي تزعُم أنها أتت إليك لأن الكاميرا تعرضت للسرقة، لكن كيف حصلت على صور ساندرا من دون الكاميرا؟

أومأتُ وأنا أُصفِّي ذهني - بصعوبة - ووجهتُ الاتهام إلى مونيكا.

ابتسمت مونيكا بخبثٍ قائلة:

- لقد وضعناك في الاعتبار من أجل مشروع آخر، وظننَّا أن هذه الصور ستكون ... مفيدة.

وقفت آيفي في مواجهة مونيكا مباشرة، وركَّزت على قزحية عينَيها قائلة:

- تبًّا. أعتقد أنها تقول الحقيقة فيما يتعلق بهذا الشأن.

حدقتُ إلى الصورة. ساندرا. مضى ما يقرب من عشر سنوات الآن. كان التفكير في الكيفية التي تركتني بها لا يزال مؤلما. تركتْني، بعد أن علَّمتني كيفية تسخير قُدراتي العقلية. مرَّرتُ أناملي عبر الصورة.

قال جي سي:

- علينا القيام بهذا. يجب أن ننظر في هذا الأمر، يا سكيني.

أومأ توبياس قائلًا:

- لو كان هناك احتمال ...

خمَّنت آيفي قائلة:

- من المرجَّح أن يكون من سرق الكاميرا شخصًا من العاملين بالداخل. عادة ما تكون مثل هذه العمليات داخلية.

سألتُ:

- لقد سرقَها أحد زملائك، أليس كذلك؟

قالت مونيكا:

- أجل، لكن ليست لدَينا أي فكرة أين ذهب. لقد أنفقنا عشرات الآلاف من الدولارات خلالَ الأيام الأربعة الماضية، في محاولة لتتبُّعه. لطالما اقترحتُ الاستعانة بك، لكن ... كانت فصائل أخرى داخل شركتنا تُعارض جلب شخصٍ يعدُّونه غير مُستقر.

قلت:

- سأتولَّى الأمر.

- رائع. هل أصطحبك إلى مُختبراتنا؟

قلت:

- لا، اصطحبيني إلى منزل السارق.

4

- السيد بالوبال رازون.

قرأ توبياس الاسم من الصفحة المليئة بالمعلومات، ونحن نصعد الدرج. كنتُ قد ألقيت نظرة سريعة على الصفحة بينما نحن نستقلُّ السيارة في الطريق، لكنني كنت مستغرقًا في التفكير بدرجة أكبر من أن أُولِيَها كثيرًا من الاهتمام على نحو خاص. واصل توبياس الحديث قائلًا:

- له أصول عرقية فلبينية، لكنه أمريكي من الجيل الثاني. حاصل على دكتوراه في الفيزياء من جامعة مين، من دون مرتبة شرف، ويعيش بمفرده.

وصلنا إلى الطابق السابع من المبنى السكني. كانت مونيكا تلهث، وقد واصلتِ السيرَ بالقُرب من جي سي بدرجةٍ جعلته يتجهَّم.

أضاف توبياس قائلًا وهو يخفض ورقة المعلومات:

- عليَّ أن أُضيف أن ستان أخبرني أن المطر توقَّف عن الهطول قبل أن يصِل إلينا. سنتطلَّع الآن إلى الطقس المشمس فحسب.

قلت:

- حمدًا للرب.

ثم استدرتُ إلى الباب، حيث وقف رجلان للحراسة، يرتدي كلٌّ منهما بدلة سوداء. أومأتُ نحوهما وسألتُ مونيكا:

تأمّلتْني مونيكا للحظة، ثم خرجتْ إلى الردهة ووقفتْ بين الحارسَين ويَداها على خصرها، وهي تنظر إلينا.

قلت:

- حسنًا يا رفاق، فلنبدأ.

قال جي سي وهو يُقلب إحدى السلاسل الموضوعة على الباب:

- الأقفال جيدة. خشب سميك، وثلاثة مزاليج. ما لم أُخطئ التخمين ...

نقر بإصبعه ما بدا وكأنه صندوق بريدٍ مُثبت على الحائط بجوار الباب.

فتحتُ الصندوق، وكان بداخله مُسدس جديد.

نَخَر جي سي بأنفِه قائلًا:

- مسدس روجر بيسلي، تم تحويله ليُصبح ذا عيارٍ كبير.

فتحتُ ذلك الجزء الدوَّار الذي يحوي الطلقات، وأخرجتُ إحداها.

واصل جي سي الحديث قائلًا:

- مُعمَّر بالذخيرة. 500لاينبو. هذا سلاح لرجلٍ يعرف تمامًا ما يفعله.

قالت آيفي:

- لكنَّه خلَّفَه وراءه. هل كان في عجلةٍ شديدة من أمره؟

أجاب جي سي قائلًا:

- لا، بل كان هذا هو مُسدسه المخصَّص للباب. كان سيحتفظ بسلاحٍ شخصي عادي مختلف.

قالت آيفي:

- هل هما تابعان لكم؟

قالت:

- أجل.

كانت قد أمضت الوقت طوال الطريق وهي تُحادث بعض رؤسائها عبر الهاتف.

أخرجَت مونيكا مفتاح الشقة، وأدارتْه في القفل. كانت الغرفة بالداخل في حالةٍ كارثية تمامًا. تراصَّت على جلسة النافذة علب الكرتون التي كانت تحوي وجبات الطعام الصينية، وكأنها أصص يعتزم أحدُهم أن يزرع فيها محصول العام القادم من وجبات مطعم جنرال تساو الصيني. كما تراصَّت أكوام الكتب في كل مكان، وكانت هناك صور فوتوغرافية معلقة على الجدران. لم تكن الصور من تلك النوعية المتعلقة بالسفر عبر الزمن، بل كانت صورًا عادية مثل تلك التي يلتقطها هواة التصوير.

اضطُررنا للدوَران حول الأشياء كي نتمكن من عبور الباب وتجاوُز أكوام الكتب. ازدحم المكان بنا جميعًا بالداخل.

قلت:

- انتظري بالخارج من فضلك يا مونيكا. فالمكان هنا مزدحم نوعًا ما.

تجهمتْ قائلة:

- مزدحم؟

قلت:

- أنت لا تفتئين تمُرِّين من خلال جي سي أثناء سيرك، والأمر مُزعج للغاية بالنسبة له. إنه يكرَه ما يُذكِّره بأنه مجرد هلوسة.

قال جي سي بنبرة غاضبة:

- أنا لست هلوسة، بل لديَّ أحدث معدات التخفِّي.

- مسدس مُخصص للباب؟ هل هذا شيء حقيقي بالفعل بالنسبة لك ولمن هم على شاكلتك؟

قال جي سي:

- يحتاج المرء إلى شيءٍ قوي الاختراق، يُمكنه العبور من خلال الخشب، عندما يحاول أشخاص فتح الباب بالقوة. لكن ارتداد هذا السلاح سيؤذي اليد بعد عددٍ قليل من الطلقات فحسب. كان سيحمل معه سلاحًا شخصيًّا من عيارٍ أصغر.

تفحص جي سي المسدس، وقال:

- لكن لم يتمَّ إطلاقه قط. همم ... هناك احتمال أن يكون أحدهم قد أعطاه إياه. ربما ذهب إلى صديق، وسأله كيف يحمي نفسه. الجندي الحقيقي يعرف كل سلاح يَمتلكه من خلال إطلاق النار المتكرر. لا يُطلق أي مسّدس النار بشكلٍ مستقيم تمامًا. لكل واحدٍ منهم شخصيته.

ركع توبياس بجانب صفوف الكتب قائلًا:

- إنه عالِم، ومؤرّخ.

قلت:

- تبدو مندهشًا. إنه حاصل على الدكتوراه، ومن المتوقَّع أن يكون ذكيًّا.

قال توبياس:

- لدَيه دكتوراه في الفيزياء النظرية يا ستيفن. لكن هذه بعض الكتب التاريخية واللاهوتية فائقة الغموض. إنها قراءات عميقة. من الصعب أن تكون باحثًا على نطاق واسع في أكثر من مجال. لا عجب أنه يعيش حياةً منعزلة.

قالت آيفي:

- مسابح.

التقطتْ واحدةً من أعلى كومة من الكتب، وتفحصتها. واصلت حديثها قائلة:

- إنها بالية من كثرة الاستخدام. افتح واحدًا من تلك الكتب.

التقطتُ كتابًا من على الأرض.

- ليس ذلك، بل كتاب وهْم الإله.

قلت وأنا أقلِّب صفحاته:

- ريتشارد دوكنز؟

قالت آيفي وهي تنظر من فوق كتفي:

- إنه من كبار الملحدين. إنها نسخة ذات حواشٍ بها حجج مضادة.

قال توبياس:

- كاثوليكي مُتدين وسط بحر من العلماء العلمانيين. أجل ... العديد من هذه الأعمال دينية، أو لها دلالات دينية. توما الأكويني، دانيال وهاردي، فرانسيس شيفر، بيترو ألاجونا ...

قالت آيفي وهي تُومئ نحو شيءٍ معلق على الجدار:

- ها هي شارة العمل الخاصة به.

كُتِبَ عليها بأحرفٍ كبيرة: مختبرات أزاري المتحدة. الشركة التي تعمل بها مونيكا.

قالت آيفي:

- نادِ مونيكا، وكرِّرْ ما سأقوله لك.

قلت:

- يا مونيكا.
- هل مسموح لي بالدخول الآن؟

كررتُ الكلمات التي همست آيفي لي بها قائلًا:

- هذا يعتمد. هل ستُخبرينني بالحقيقة؟
- بخصوص ماذا؟
- بخصوص اختراع رازون للكاميرا بمفرده، وكونه جلبَها إلى أزاري فقط بعد أن صار لدَيه نموذج أوَّلي يعمل بالفعل.

ضيقَّت مونيكا عينَيها في وجهي.

واصلتُ الحديث قائلًا:

- كما أن الشارة أيضًا جديدة، لم تبْلَ أو تتعرَّض للخدش على الإطلاق من جراء الاستخدام أو من احتفاظه بها في جيبه. لا يمكن أن تكون الصورة الموجودة عليها أقدم من شهرَين، إذا حكَمْنا من خلال لحيتِه النامية في صورتِهِ على الشارة، والتي ليست موجودة في صورتِهِ بماونت فيرنون الكائنة على الرف هنا. علاوة على ذلك، هذه ليست شقة مهندس يتقاضى راتبًا مرتفعًا. مِصعد معطل؟ في المنطقة الشمالية الشرقية من المدينة؟ هذه ليست منطقة عنيفة فحسب، بل إنها بعيدة للغاية عن مقر عملكم. إنه لم يسرق كاميرتكم يا مونيكا، لكنني أميل إلى التخمين بأنكم أنتم من تُحاولون سرقتها منه. أهذا هو السبب الذي دفعه إلى الهرب؟

قالت مونيكا:

- إنه لم يأتِ إلينا بنموذج أولي. على الأقل ليس نموذجًا يعمل بالفعل. كانت بحوزته صورة واحدة - صورة واشنطن - والكثير من الوعود. احتاج إلى المال ليصنع آلةً مستقرةً تعمل، فعلى ما

يبدو كانت تلك التي صنعها من قبل قد عملتْ لبضعة أيامٍ فحسب، قبل أن تتوقَّف عن العمل.

قُمنا بتمويله لمدة ثمانية عشر شهرًا، مع منحِهِ تصريحًا محدودًا لدخول المختبرات. حصل على شارةٍ رسمية عندما نجح أخيرًا في تشغيل الكاميرا اللعينة. وقد سرقَها منَّا بالفعل. نص العقد الذي وقَّعَه على إبقاء كل المعدات في مختبراتنا. استغلَّنا كمصدرٍ ملائم للمال، ثم هرب بالجائزة - بعد أن مسح جميع بيانات عمله ودمَّر كل النماذج الأوَّلية الأخرى - ما إنْ تمكَّن من ذلك.

سألتُ آيفي:

- أتقول الحقيقة؟

أجابتني:

- معذرة، لا يمكنني الجزم بذلك. لو كان بوسعي سماع دقات قلبها ... ربما تستطيع وضع أُذنك على صدرها.

قلت:

- أنا على ثقةٍ من أنها سوف تُحب ذلك.

ابتسم جي سي قائلًا:

- أنا متأكد من أنني سأُحب ذلك.

قالت آيفي:

- أوه، أرجوك. ستفعل ذلك لتختلِس النظر داخل معطفها فحسب، كي تعرف نوع المسدس الذي تحمِله.

قال جي سي:

- إنه بيريتا أم 9. لقد اختلستُ النظر بالفعل.

وجهت لي آيفي نظرة ساخطة.

حاولتُ التظاهُر بالبراءة وقلت:

- ماذا؟ هو الذي تفوَّه بذلك.

تدخَّل جي سي في الحديث قائلًا:

- إن المسدس الـ أم 9 مُثير للضجر يا سكيني، لكنه فعَّال. يشي سلوكها بأنها ماهرة في استخدام المسدس. أمَّا لهاثها ذاك وهي تصعد الدرج، فما هو إلا تمثيل فحسب. إنها أكثر لياقةً من ذلك بكثير. وهي تحاول التظاهُر بكونها مديرةً من نوعٍ ما، أو موظفة في المعامل. لكن من الواضح أنها تعمل في مجال الأمن بطريقةٍ ما.

قلت له:

- شكرًا لك.

قالت مونيكا:

- أنت رجل غريب للغاية.

صببتُ تركيزي عليها. كانت قد سمِعَت الأجزاء الخاصة بي من الحوار فقط، بالطبع. قلت:

- ظننتُ أنكِ قرأتِ حواراتي الصحفية.

- لقد فعلت. إنها لا تُوفِّيك حقك. لقد تخيلتُكِ بوصفك بارعًا في تغيير أسلوبك، وأنت تنسلِخ من شخصيةٍ لتتلبَّس الأخرى.

قلت:

- هذا هو اضطراب الهوية الانفصامي. إنه أمر مختلف.

قالت آيفي:

- جيد جدًّا!

كانت تُدرِّس لي الاضطرابات النفسية.

قالت مونيكا:

- بغض النظر عن ذلك، أعتقد أنني فوجئت لمعرفة حقيقتك.

سألتها:

- وما هي؟

قالت وهي بادية القلق:

- أنت مدير وسيط. على أي حال، يبقى السؤال: أين رازون؟

قلت:

- هذا يتوقف على ... هل يحتاج إلى الوجود في مكانٍ مُحدد لاستخدام الكاميرا؟ بمعنى، هل تعيَّن عليه الذهاب إلى ماونت فيرنون لالتقاط صورة للماضي في ذلك المكان؟ أم هل يُمكنه ضبط الكاميرا بطريقةٍ ما لالتقاط الصور هناك؟

قالت مونيكا:

- يجب عليه الذهاب إلى الموقع. تنظر الكاميرا إلى الوراء عبر الزمن في المكان الذي تُوجَد به تحديدًا.

كانت هناك مشاكل مُتعلقة بذلك الأمر، لكنني تغاضَيْت عنها الآن.

- رازون. إلى أين سيختار الذهاب؟

ألقيتُ نظرةً خاطفة على جي سي، الذي هز كتفَيه.

قالت آيفي بنبرةٍ خالية من التعبير:

- أتلتفِتُ إليه هو أولًا؟ حقًّا؟

نظرتُ إليها، فتضرَّج وجهها بالحمرة وقالت:

- أنا ... في الواقع، ليس لديَّ أي معلومات أنا الأخرى.

عند ذلك، ضحك جي سي.

نهض توبياس ببطءٍ متثاقلًا، كمجموعة سُحُب بعيدة ترتفع في السماء. قال بهدوءٍ وهو يريح أصابعه فوق إحدى الكتب:

- القدس. لقد ذهب إلى القدس.

التفتنا إليه جميعًا. حسنًا، التفتَ منَّا من كان بوسعهم الالتفات إليه.

سأل توبياس:

- إلى أين سيذهب المؤمن خلاف ذلك يا ستيفن؟ بعد سنواتٍ من الجدال مع زملائه، وسنواتٍ مِن اعتقادهم أنه أحمق بسبب إيمانه؟ كان هذا هو أساس الموضوع منذ البداية، والسبب الذي من أجله قام بتطوير الكاميرا. لقد ذهب للإجابة عن سؤال، لنا ولنفسه. سؤال ظلَّ مطروحًا طوال ألفَي عام.

لقد ذهب لالتقاط صورةٍ ليسوع الناصري - ذلك الذي يُطلِق عليه المؤمنون به لقب المسيح - بعد قيامتِه.

5

طلبتُ خمسة مقاعد في الدرجة الأولى. لم يرُقْ هذا لرؤساء مونيكا، الذين لم أفُز بقبول عديدٍ منهم. التقيتُ بأحدهم في المطار، يُدعى السيد دافينبورت. كانت تفوح منه رائحة دخان الغليون، وانتقدتْ آيفي ذوقَه السيِّئ في اختيار الأحذية. عدلتُ عن سؤاله ما إذا كان بوسعنا استخدام طائرة الشركة.

كنا نجلس الآن في مقصورة الدرجة الأولى بالطائرة. قلَّبتُ بتكاسُلٍ صفحات كتابٍ سميك على الصينية القابلة للطيِّ الخاصة بمقعدي. جلس جي سي خلفي مُتباهيًا لتوبياس بشأن الأسلحة التي تمكن من تهريبها من دون أن ينتبِهَ أفراد الأمن.

نعسَت آيفي بجوار النافذة، وبجوارها مقعد خالٍ. جلستْ مونيكا بجواري، مُحدقة إلى ذلك المقعد الخالي. قالت:

– إن آيفي بجوار النافذة إذن؟

قلبتُ الصفحة قائلًا:

– أجل.

– وتوبياس وضابط البحرية خلفنا؟

- جي سي ينتمي إلى القوات الخاصة في البحرية الأمريكية. سيُطلق عليكِ النار لارتكابك مثل هذا الخطأ.

سألتْ:

- وذلك المقعد الآخر؟

قلت وأنا أقلِّب الصفحة:

- إنه خالٍ.

انتظرتْ تفسيرًا، لكنني لم أُقدِّم لها واحدًا.

سألتها:

- ما الذي ستفعلونه بهذه الكاميرا إذن؟ بافتراض أنها حقيقية، وهو الأمر الذي لستُ مقتنعًا به بعد.

قالت مونيكا:

- هناك مئات من التطبيقات: تطبيق القانون ... التجسُّس ... خلق سجلٍّ حقيقي للأحداث التاريخية ... مراقبة الكوكب في أطوار تكوُّنِهِ الأولى، لأغراضِ البحث العلمي ...

- وتدمير الديانات القديمة ...

رفعت لي حاجِبَها، وسألتني:

- هل أنت رجل مُتدين إذن يا سيد ليدز؟

- جزء منِّي كذلك.

كانت هذه هي الحقيقة بكلِّ صدق.

قالت:

- حسنًا، دعنا نفترض أن المسيحية مجرد خدعة، أو ربما حركة بدأها أناسٌ ذوو نوايا حسنة، لكنها نمت بدرجةٍ تتجاوز الحد. ألن يكون كشف ذلك بمثابة خدمةٍ للصالح العام؟

قلت:

- في الواقع أنا لست مُستعدًّا لدخول ذلك الجدال. ستحتاجين توبياس لذلك الموضوع، إذ إنه هو الفيلسوف. لكنني أعتقد أنه يغفو.

قال توبياس وهو مُتكئ بين مقعدَينا:

- في الواقع يا ستيفن، لديَّ فضول شديد بشأن هذه المحادثة. بالمناسبة، يُراقب ستان تقدُّمنا، ويقول إننا قد نواجِهُ بعض المطبات الهوائية.

قالت مونيكا:

- أنت تنظر إلى شيءٍ ما.

قلت:

- أنا أنظر إلى توبياس، فهو يرغب في مواصلة الحديث.

- هل يُمكنني التحدُّث معه؟

- أعتقد أنك تستطيعين ذلك، من خلالي. لكن عليَّ أن أُحذرك: تجاهَلي أيَّ شيءٍ يقوله عن ستان.

سألتْ مونيكا:

- من يكون ستان؟

- إنه رائد فضاء يسمعُه توبياس، من المفترَض أنه يدور حول الأرض في قمرٍ صناعي.

قلبتُ الصفحة وواصلتُ الحديث قائلًا:

- ستان غير مؤذٍ في الغالب. إنه يُقدم لنا توقعات الطقس، وما إلى ذلك.

قالت:

- فهمت ... هل ستان واحد آخَر من أصدقائك المميزين؟

ضحكتُ قائلًا:

- لا، ستان ليس حقيقيًّا.

- ظننتُ أنك قلت إنَّ جميعهم غير حقيقيين.

- حسنًا، هذا صحيح. إنهم هلاوسي أنا. لكن ستان مُميز. لا يسمعه سوى توبياس فحسب. إن توبياس مُصاب بالفصام.

طرفتْ عينيْها في دهشة.

- هلاوسك ...

- أجل؟

- هلاوسك لديها هلوسات؟

- نعم.

استقرت في مقعدها، وقد بدا عليها الاضطراب.

قلت:

- لكل منهم مشاكله. تعاني آيفي من التريبوفوبيا، على الرغم من أنها غالبًا ما تُبقي الأمر تحت السيطرة. فقط عليك ألا تقتربي منها وبحوزتك عش دبابير. كما يُعاني أرماندو من جنون العظمة. أما أدولين فهي مصابة بالوسواس القهري.

قال توبياس:

- من فضلك يا ستيفن، فلتُخبر صديقتك أنني أعتقد أن رازون رجل فائق الشجاعة.

كررتُ كلماته. سألتْ مونيكا:

- وما السبب في ذلك؟

قال توبياس:

- أن يكون المرء عالما ومتدينًا في ذات الوقت، يعني أنه يعقد بداخله هدنةً غير مستقرة. من صميم العلم القبول بالحقائق التي يُمكن إثباتها فحسب، ومن صميم الإيمان تعريف الحقيقة، في جوهرها، بوصفِها غير قابلة للإثبات. رازون رجل شجاع، بسبب ما يفعله. بغضِّ النظر عن اكتشافه، فإن واحدًا من شيئين عزيزَين عليه بدرجةٍ كبيرة، سوف ينقلب رأسًا على عقب.

أجابت مونيكا قائلة:

- يمكن أن يكون متعصبًا. يسير قُدمًا على نحوٍ أعمى، محاولًا الحصول على إقرارٍ نهائي بأنه كان على حقٍّ طوال الوقت.

قال توبياس:

- ربما. لكن المتعصِّب الحقيقي لن يكون بحاجة إلى أي إقرار. سيقدِّمُ الربُّ الإقرار. لا، بل أرى شيئًا آخر هنا. رجل يسعى إلى الجمع بين العلم والإيمان. أول شخص - ربما في تاريخ البشرية - يعثر بالفعل على طريقةٍ لتطبيق العلم على حقائق الدين المطلقة. أجد ذلك شيئًا نبيلًا.

عاد توبياس ليستقر في مقعده. قلَّبتُ الصفحات القليلة الأخيرة المتبقية في الكتاب، بينما جلست مونيكا مُستغرقةً في التفكير. انتهيتُ، وحشرتُ الكتاب في جيب المقعد الكائن أمامي.

حركَ شخصٌ ما الستائر، ودخل من الدرجة الاقتصادية إلى مقصورة الدرجة الأولى. علا صوتٌ أنثوي ودودٌ عبر الممر قائلًا:

- مرحبًا! لم يسعْني إلا أن ألحظَ أن لدَيكم مقعدًا إضافيًّا هنا، فقلتُ لنفسي، ربما يسمحون لي بالجلوس فيه.

بدَتِ الوافدة الجديدة شابةً لطيفةً ذات وجهٍ مستدير، في أواخر العشرينيات. كانت لديها بشرة هندية سمراء، ونقطة حمراء داكنة على جبهتها، وترتدي ملابس ذات تفاصيل معقدة، باللونَين الأحمر والذهبي، مع شيءٍ شبيهٍ بالشال الهندي يغطي إحدى كتِفَيها، ويُحيط بجسدها. لا أعرف الاسم الذي يُطلَق عليه.

قال جي سي:

- ما هذا؟ مرحبًا، أحمد. لن تُقدِم على تفجير الطائرة، أليس كذلك؟

قالت:

- اسمي كالياني. وبالقطع لن أُقدِم على تفجير أي شيء.

قال جي سي:

- هاه. هذا مُثير للإحباط.

استقرَّ في مقعده وأغلق عينَيه، أو تظاهر بأنه يفعل ذلك. أبقى إحدى عينَيه مفتوحة بعض الشيء، باتجاه كالياني.

استيقظت آيفي من غفوتها وتمطَّت قائلة:

- لِمَ نبقيه موجودًا معنا؟

قالت مونيكا:

- لا يفتأ رأسُك يتحرك جيئةً وذهابًا. أشعر وكأن هناك محادثات بأكملها تفوتني.

قلت:

- إنها تفوتك بالفعل. مونيكا، هذه كالياني. إنها جانب جديد من جوانبي، وهي السبب وراء احتياجنا إلى ذلك المقعد الخالي.

مدَّت كالياني يدَها نحو مونيكا بمرح، وقد علت وجهها ابتسامة واسعة.

قلت:

- إنها لا تستطيع رؤيتك، يا كالياني.

رفعتْ كالياني كِلتا يدَيها إلى وجهها قائلة:

- أوه، هذا صحيح! أنا آسفة جدًّا يا سيد ستيف. هذا الأمر جديد للغاية بالنسبة لي.

- لا بأس. مونيكا، سوف تكون كالياني مُترجمتنا في إسرائيل.

انحنت كالياني قائلة:

- أنا عالمة لُغويات.

ألقت مونيكا نظرة سريعة على الكتاب الذي وضعته جانبًا. كان كتابًا عن بناء الجُمَل والنحو والمفردات العبرية. قالت:

- مترجمة ... لقد تعلَّمَتِ العبرية للتو.

قلت:

- لا، بل تصفَّحت الكتاب بما يكفي لاستدعاء جانبٍ من جوانبي يتحدث العبرية. فلا رجاء منِّي في تعلم اللغات.

تثائبتُ متسائلًا ما إذا كان هناك مُتَّسع من الوقت في الرحلة، يكفي لتعلُّم اللغة العربية أيضًا من أجل كالياني.

قالت مونيكا:

- فلتثبت ذلك.

رفعتُ حاجبًا تجاهها.

قالت مونيكا:

- أحتاج لرؤية ذلك، رجاء.

التفتُّ إلى كالياني متنهدًا وقلت:

- كيف تقولين: «أودُّ التدرُّب على التحدث بالعبرية. هلَّا تحدثتِ إليَّ بلغتك؟»؟

- هممم ... «أودُّ التدرب على التحدُّث بالعبرية» ركيكة إلى حدٍّ ما بهذه اللغة. ربما يمكنك القول: «أرغب في تحسين لغتي العبرية».

- حسنًا.

قالت كالياني:

- آني روتزيه ليشافير آت هايفريت سهيلي.

قلت:

- تبًّا. هذه عبارة طويلة للغاية.

صاحت آيفي قائلة:

- راعِ ألفاظك!

- إنها ليست صعبة إلى هذا الحد يا سيد ستيف. هيا، فلتجرب. آني روتزيه ليشافير آت هايفريت سهيلي.

قلت:

- آني روتي زيله شافير هاب ... آر هاف ...

قالت كالياني:

- يا إلهي، هذا ... مُريع للغاية. ربما عليَّ أن أُلقِّنك كلمة بكلمة.

لوحتُ للمُضيفة التي كانت قد تحدثتْ باللغة العبرية لتلقي علينا تعليمات السلامة في بداية رحلتنا، وقلت:

- يبدو هذا جيدًا.

ابتسمتْ لنا قائلة:

- أجل؟

قلت:

- آه ...

قالت كالياني بصبر:

- آني.

كررتُ قائلًا:

- آني.

- روتزيه.

- روتزيه ...

تطلَّب الأمر بعض التعوُّد، لكنني نجحتُ في جعل نفسي مفهومًا، حتى إن المضيفة هنأتني. لحُسن الحظ، كانت ترجمة كلماتها إلى اللغة الإنجليزية أسهلَ كثيرًا، إذ إن كالياني قدمت لي ترجمة فورية.

قالت كالياني بعد أن انصرفت المضيفة:

- إن لهجتك فظيعة يا سيد ستيف. أشعر بالحرج البالغ.

قلت:

- سنتدرَّب عليها، شكرًا لك.

ابتسمتْ كالياني وعانقتني، ثم حاولت أن تعانق مونيكا، التي لم تنتبه إليها. أخيرًا، اتخذت المرأة الهندية مقعدها بجور آيفي، وبدأت الاثنتان في تبادل الحديث بشكلٍ ودِّي، مما كان يبعث على الارتياح. دومًا ما تصبح حياتي أسهل عندما تتعايش هلاوسي مع بعضها في سلام.

اتهمتني مونيكا قائلة:

- لقد كنتَ تعرف كيف تتحدث العبرية بالفعل. كنت تعرف قبل أن نبدأ الرحلة، وقضيتَ الساعات القليلة الماضية في إنعاش ذاكرتك.

- فلتُصدِّقي ذلك إن شئت.

واصلتِ الحديث قائلة:

- لكن هذا مُستحيل. لا يمكن أن يتعلم المرء لغةً جديدة تمامًا في غضون ساعات.

لم أكلف نفسي عناء تصحيح حديثها، والقول بأنني لم أتعلمها. لو كنت قد تعلمتُها، لم تكن لهجتي لتصير مروعةً إلى هذا الحد، ولم تكن كالياني ستُضطر إلى تلقيني كلمةً بكلمة. قلت:

- نحن على متن طائرة سعيًا وراء كاميرا يمكنها التقاط صور للماضي. كيف يبدو لك أنه من الأصعب تصديق كوني تعلمتُ العبرية للتو؟

- حسنًا، إذن. سنتظاهر أنك فعلت. لكن إذا كنت قادرًا على التعلم بتلك السرعة، فلِمَ لا تعرف كل لغة، وكل موضوع، وكل شيء الآن؟

قلت:

- لا تُوجَد في منزلي غُرَف كافية لذلك. والحقيقة يا مونيكا هي أنني لا أريد شيئًا من هذا. سيُسعدني التحرُّر من ذلك، كي أتمكن من عَيش حياةٍ أكثر بساطة. أحيانًا أعتقد أنهم جميعًا سوف يقودونني إلى الجنون.

- أنت ... لست مجنونًا إذن؟

نظرتُ إليها قائلًا:

- يا إلهي! لا. أنت لا تتقبَّلين هذا.

- أنت ترى أشخاصًا ليس لهم وجود يا سيد ليدز. من الصعب تجاهل تلك الحقيقة.

قلت:

- ومع ذلك، فأنا أتمتع بحياةٍ طيبة. فلتخبريني، لماذا تعتبرينني مجنونًا، بينما الرجل الذي لا يستطيع الحفاظ على وظيفة، ويخون زوجته، ولا يستطيع التحكم في أعصابه، تعُدِّينه عاقلًا؟

- حسنًا، ربما ليس تمامًا ...

- لا يستطيع كثير من «العقلاء» إبقاء كل شيءٍ تحت السيطرة. تقف حالتهم العقلية - التوتر، والقلق والإحباط - في طريق قدرتهم على التمتُّع بالسعادة. مقارنة بهم، أعتقد أنني مستقر تمامًا. على الرغم من أنني أعترف أنه سيكون من اللطيف أن أُترَك لشأني. لا أريد أن أكون شخصًا مميزًا.

سألتني مونيكا:

- وهذا هو منبع كل شيء، أليس كذلك؟ أعني هلاوسك؟

- أوه، هل صرتِ مُتخصصةً في علم النفس الآن؟ هل قرأت كتابًا عنه خلال رحلتنا؟ أين جانبك الجديد، كي أتمكن من مصافحته؟

لم تستجب مونيكا للاستفزاز. قالت:

- أنت تخلق هذه الأوهام، كي تتمكن من فرض الأشياء عليها. عبقريتك، التي تجدها عبئًا، ومسؤوليتك، إذ إنهم يضطرون إلى سحبك معهم عنوة، وإجبارك على مساعدة الناس. هذا يسمح لك بالتظاهر يا سيد ليدز: التظاهر بكونك طبيعي. لكن هذا هو الوهم الحقيقي.

وجدتُ نفسي أتمنَّى أن تنتهي الرحلة سريعًا.

قال توبياس من خلفي بهدوء:

- لم أسمع تلك النظرية من قبل. ربما تكون مُحقة، يا ستيفن. يجدُر بنا ذكر الأمر لآيفي ...

التفتُّ نحوه قائلًا بعنف:

- لا! لقد فتَّشتُ في ذهني بالفعل بدرجة كافية.

استدرتُ ثانية، فوجدتُ تلك النظرة في عينَي مونيكا مرة أخرى: النظرة التي تظهر على شخصٍ «عاقل» حينما يتعامل معي. إنها نظرة شخصٍ مُضطر للتعامل مع ديناميت غير مستقر، بينما يرتدي قفازات فرن. تلك النظرة ... إنها مؤلمة أكثر كثيرًا من حالتي نفسها.

قلت حتى أُغيِّر الموضوع:

- خبِّريني شيئًا، كيف تركتم رازون يُفلت بهذا الأمر؟

قالت مونيكا بنبرة ساخرة:

- ليس الأمر كما لو أننا لم نتَّخِذ الاحتياطات اللازمة. كانت الكاميرا محفوظة في مكانٍ مغلق بإحكام، لكن لم يكن بوسعنا إبعادها تمامًا عن أيدي الرجل الذي ندفع له أجرًا مقابل صنعها.

قلت:

- هناك المزيد. لا أقصد الإساءة يا مونيكا، لكنك من ذلك النوع من موظفي الشركات المخادعين. لقد اكتشف كلٌّ من آيفي وجي سي منذ فترة طويلة أنك لستِ مهندسة. فإما أن تكوني إداريةً متملقة تمَّ تكليفك بالتعامل مع العناصر غير المرغوب فيها، أو أن تكوني قائدة قوات أمن متملقة، تم تكليفك بالشيء ذاته.

سألتني ببرود:

- وأي جزءٍ من حديثك هذا يُفترَض ألا أشعر بالاستياء منه؟

واصلتُ قائلًا:

- كيف تمكَّن رازون من الوصول إلى كل النماذج الأولية؟ من المؤكَّد أنكم قمتم بنسخ التصميم من دون علمه. وقطعًا قمتم بإرسال نُسَخ من الكاميرا إلى مختبرات تابعة لكم، كي يتمكنوا من تفكيكها والعمل على هندستها عكسيًّا. أجد في الأمر مبالغةً يصعب تصديقها، كونه تمكن من العثور على كل هذه النماذج ودمَّرَها بطريقةٍ ما.

نقرتْ مسند ذراع مقعدها لبضع دقائق. أخيرًا، اعترفت قائلة:

- لا يعمل أيٌّ منها.
- هل نسختم التصميمات بدقة؟
- أجل، لكنَّنا لم نستفد منها شيئًا. سألنا رازون، فقال إنه لا تزال هناك أخطاء. دومًا ما كانت لدَيه أعذار، كما أن رازون نفسه واجه المتاعب مع نماذجِه الأوَّلية على أي حال. هذا مجالٌ عِلميٌّ لم يقتحمْهُ أحد من قبل، ونحن الرواد. من المحتَّم أن تكون هناك أخطاء.

قلت:

- كلها أقوال صحيحة، لكنك لا تُصدقين أيًّا منها.

قالت:

- كان يفعل شيئًا ما بتلك الكاميرات. شيء يجعلها تتوقَّف عن العمل عندما لا يكون هو موجودًا. كان يستطيع جعْل أيٍّ من النماذج يعمل، إذا أُتيح له ما يكفي من الوقت للعبث بها. وإذا استبدلناها بواحدةٍ من نُسَخنا خلال الليل، كان يتمكن من

جعلها تعمل. بعد ذلك كنا نستبدلها ثانية، فلا نتمكَّن من جعلها تعمل.

- هل كان بوسع أشخاصٍ آخرين استخدام الكاميرا في وجوده؟

أومأتْ قائلة:

- كان يمكنهم حتى استخدامها لفترة قصيرة بعد انصرافه. كانت كل كاميرا تتوقَّف عن العمل دائمًا بعد فترة قصيرة، فنُضطر لاستدعائه ليتولّى إصلاحها. يجب أن تفهم يا سيد ليدز، لم نحظَ سوى ببضعةِ أشهرٍ فحسب، كانت الكاميرات تعمل خلالها. خلال معظم مسيرته المهنية في أزاري، اعتبرتْهُ الغالبية العظمى محتالًا تمامًا.

- لم تكوني منهم، على ما أفترض.

لم تنبس بكلمة.

قلت:

- من دونه، ومن دون تلك الكاميرا، ستصبح مسيرتكِ المهنية هباء. لقد قمتِ بتمويله، ودافعتِ عنه، وفي النهاية، عندما بدأت الكاميرا أخيرًا في العمل . . .

همستْ قائلة:

- لقد خانَني.

بدتِ النظرة المرتسِمة في عينَيها أبعد ما تكون عن اللطف. خطر لي أنه إذا حدث وأن عثرنا على السيد رازون، فقد أرغب في السماح لجي سي بالوصول إليه أولًا. من المحتمل أن يريد جي سي إطلاق النار على الرجل، لكن مونيكا كانت تريد تمزيقَه إربًا.

6

قالت آيفي:

- حسنًا، من حُسن الحظ أننا اخترنا مدينة منعزلة. لو كنا مُضطرين للبحث عن رازون في مركز حضري كبير، موطن لثلاثِ دياناتٍ عالمية رئيسية، وواحد من أكثر الوجهات السياحية شعبيةً في العالم، لكان هذا الأمر فائق الصعوبة حقًّا.

ابتسمتُ بينما نحن في طريقنا إلى الخروج من المطار. ذهب واحد من الحمقى المختصِّين بالأمن التابعين لمونيكا ليعثر على السيارات التي طلبتها لنا الشركة.

لم تتعدَّ ابتسامتي أكثر من زاوية شفتي. لم أنجز قدرًا كبيرًا في دراستي للغة العربية خلال النصف الثاني من الرحلة، إذ قضيتُ الوقت منشغلًا بالتفكير في ساندرا، ولم يكن ذلك مثمرًا على الإطلاق.

راقبتْني آيفي بعينَين ملأهما القلق. كانت تتمتع بطابعٍ أُمومي في بعض الأحيان.

سارت كاليباني مبتعدةً كي تستمع إلى بعض الأشخاص الذين يتحدثون العبرية بالقُرب منَّا.

تقدَّم جي سي نحوَنا قائلًا:

- آه، إسرائيل. لطالما رغبتُ في القدوم إلى هنا، لأرى فقط ما إذا كان بوسعي التسلُّل عبر الأمن. لدَيهم أفضل أمن في العالم، كما تعلم.

كان يحمِل على ظهره حقيبة سوداء لم أتعرَّف عليها.

- ما هذا؟

قال جي سي:

- بندقية إم4- قصيرة، مرفق بها منظارٌ قتالي مُتقدم، وقاذفة قنابل إم203-.

- لكن ...

قال بهدوء:

- لديَّ اتصالات هنا. يظل من ينتمي إلى وحدة القوات الخاصة البحرية، تابعًا لها إلى الأبد.

وصلتِ السيارات، لكن التعجُّب بدا على السائقين لإصرار أربعة أفرادٍ على وجود سيارتَين. بطبيعة الحال، كانت السيارتان كافيتان لنا جميعًا بالكاد. ركبتُ السيارة الثانية مع مونيكا، وتوبياس، وآيفي، التي جلستْ بيني أنا ومونيكا في الخلف.

قالت آيفي برفقٍ وهي تربط حزام الأمان:

- هل تودُّ الحديث عن الموضوع؟

قلت:

- لا أعتقد أننا سنعثر عليها، حتى مع هذا الأمر. إن ساندرا ماهرة في تجنُّب لفت الانتباه، وقد اختفى أثرها منذ وقتٍ طويل.

نظرتْ إليَّ مونيكا وقد شرع سؤال في التكوُّن على شفتيها، وبدا من الواضح أنها اعتقدت أنّني أتحدَّث إليها. تلاشى السؤال ما إن تذكَّرتْ مَن بصُحبتها.

قالت آيفي:

- قد يكون هناك سبب وجيه لرحيلها، كما تعرف. نحن لا نعلم الحكاية كاملة.

- سبب وجيه؟ سبب يُفسر لماذا لم تتَّصِل بنا قطُّ طوال عشر سنوات؟

قالت آيفي:

- هذا أمر مُحتمل.

لم أنبس بكلمة.

سألتني آيفي:

- لن تبدأ في فقداننا، أليس كذلك؟ جوانب تتلاشى، وتتغير؟

وتتحوَّل إلى كوابيس. لم تكن بحاجة لإضافة تلك العبارة الأخيرة.

قلت:

- لن يحدث ذلك ثانية. فأنا أُسيطر على الأمور الآن.

كانت آيفي ما تزال تفتقِد جاستين وإجناسيو. وبصراحة، كنت أنا أيضًا أفتقدهما.

قالت آيفي:

- وهذا البحث عن ساندرا ... هل هو متعلق بعاطفتك تجاهها فحسب، أم أنه مُتعلق بشيء آخر؟

- ما هو الشيء الآخر الذي يمكن أن يكون متعلقًا به؟

- كانت هي من علمتك كيفية التحكُّم في عقلك.

أشاحت آيفي بنظرها، وواصلتْ الحديث قائلة:

- لا تقُل لي إنه لم يسبق لك وأن تساءلتَ عن الأمر. ربما كان لدَيها مزيد من الأسرار ... أو ربما علاج.

قلت:

- لا تكوني حمقاء. يُعجبني الوضع كما هو الآن.

لم تُجب آيفي، على الرغم من أنني رأيت توبياس وهو يتأمَّلني في مرآة السيارة الخلفية. كان يَدرُسني، ويحاول الحكم على مدى صِدقي.

في الواقع، كنتُ أنا أيضًا أحاول الحكم على مدى صِدقي.

تلا ذلك رحلة طويلة بالسيارة إلى المدينة؛ إذ كان المطار بعيدًا للغاية، أقربَ إلى تل أبيب. كان الطريق بين المدن خلابًا، وما إنْ دخلنا الجزء الحديث من مدينة القدس، حتى مررْنا بعدة حدائق على أحد جانبي الطريق. عندما اقتربنا من وجهتنا، أشار توبياس إلى بُرج القلعة، وقد حملت أحجارُه وطأة زمنٍ لا يمكن تخيُّله. أعقب المرور عبر بوابة يافا رحلة محمومة عبر شوارع المدينة القديمة. لم يقع أي حدث، باستثناء أننا كدنا ندهس ما يقرُب من سبعة عشر سائحًا. خرجْنا بعد أن توقفت السيارتان، ودخلنا وسط بحرٍ من السيَّاح الثرثارين، والحُجَّاج الأتقياء.

لم يكن هناك مكان لوقوف السيارات في الكنيسة نفسها، لذا تعين علينا السير عبر الأزقة والشوارع لمدة خمس دقائق قبل الوصول، لكنها انتصبت أخيرًا في مواجهتنا. شُيِّدَت على شكل صندوق، ولها واجهة عتيقة بسيطة، بنافذتَين كبيرتَين مقوَّستَين على الجدار فوقنا. قال توبياس:

- كنيسة القيامة. وفقًا للمُعتقدات السائدة، فهي المكان الذي صُلِب فيه يسوع الناصري. كما يحوي المبنى أيضًا أحد المواقع التقليدية التي يُعتقَد أنه دُفن بها. كان هذا الهيكل الرائع في الأساس عبارة عن بِنايتَين، تمَّ تشييدهما في القرن الرابع بأمر من

قسطنطين العظيم، وقد حلَّ محلَّ معبد أفروديت الذي احتل الموقع نفسه لما يقرب من مائتي عام.

حمل جي سي بندقيته الهجومية على كتفِه، وتذمر قائلًا:

- شكرًا لك، يا ويكيبيديا.

كان قد بدل ملابسه، وارتدى زيًّا قتاليًّا.

واصل توبياس الحديث بهدوء، عاقدًا يدَيه خلف ظهره:

- سواء كانت المعتقدات السائدة صحيحةً أم لا، وسواء كان هذا هو الموقع الفعلي للأحداث التاريخية أم لا، فإن هذا الموضوع محل خلاف. وعلى الرغم من أن هذه المعتقدات السائدة تُقدِّم الكثير من التفسيرات الملائمة للمفارقات - مثل الاعتقاد بأن معبد أفروديت أُنشئ هنا لقمع الديانة المسيحية في مرحلة مبكرة - إلا أنه تبين أن هذه الكنيسة تتبع شكل المعبد الوثني في عدة مناطق رئيسية. علاوة على ذلك، فإن حقيقة وجود الكنيسة داخل أسوار المدينة هي مثار جدل ممتاز؛ إذ إن قبر يسوع كان سيقع خارج المدينة.

تجاوزتُ توبياس قائلًا:

- لا يُهمنا ما إذا كانت أصلية أم لا. كان رازون سيأتي إلى هنا. إنه واحد من أكثر الأماكن بديهية - إن لم يكن أكثرها على الإطلاق - لبدء البحث. مونيكا، كلمة من فضلك.

سارت بجواري، وقد ذهب تابعاها للتأكد مما إذا كنا بحاجة إلى تذاكر أم لا. بدا وجود الشرطة هنا كثيفًا للغاية، لكن الكنيسة كانت تقع في الضفة الغربية، وقد انتشرت بعض المخاوف من الإرهاب مؤخرًا.

سألتني مونيكا:

- ماذا تريد؟

سألتها:

- هل تُخرج الكاميرا الصور على الفور؟ هل تقدم نتائج رقمية؟

- لا، إنها تلتقط الصور على الفيلم فقط، بحجم متوسط، من دون محول رقمي. أصرَّ رازون أن تكون على هذا النحو.

- الآن، السؤال الأصعب. أنت تُدركين المشاكل المتعلقة بكاميرا تلتقط صورًا لموقع المرء بالضبط، في فترةٍ زمنية أبعد، أليس كذلك؟

- ما الذي تَعنيه؟

- هذا هو ما أعنيه فحسب: نحن الآن لسنا في نفس الموقع الذي كنا فيه منذ ألفي عام، بما أن الكوكب يتحرك. إحدى المشكلات النظرية المتعلقة بالسفر عبر الزمن، هي أن المرء إذا عاد في الزمن مائة عام إلى نفس النقطة التي يقف عليها الآن تحديدًا، فمن المرجَّح أن يجد نفسه في الفضاء الخارجي. حتى لو كان محظوظًا للغاية، وكان الكوكب في نفس المكان بالضبط في مداره، فإن دوران الأرض سيعني أنه سوف يظهر في مكان آخر على سطح الكوكب. أو تحت سطحه، أو معلقًا في الجو على ارتفاع مئات الأقدام.

- هذا كلام سخيف.

قلت وأنا أتأمّل واجهة الكنيسة:

- هذا هو العلم. ما نقوم به هنا هو الأمر السخيف.

ومع ذلك ...

قالت:

- كل ما أعرفه هو أن رازون كان يضطر للذهاب إلى المكان لالتقاط صوره.

قلت:

- حسنًا، لديَّ سؤال آخر. كيف كانت طبيعته؟ أعني شخصيته؟

أجابت على الفور قائلة:

- وقح، ومجادل. كما أنه يهتم بحماية معداته بدرجةٍ فائقة. أنا على يقينٍ من أن الجزء الأكبر من السبب الذي سهل له الهروب بالكاميرا هو أنه أقنعنا مرارًا وتكرارًا بكونه يُعاني من الوسواس القهري فيما يتعلق بأغراضه، لذا تساهلنا معه بدرجة أكبر من اللازم.

أخيرًا، شقَّت مجموعتنا طريقَها إلى الكنيسة. حمل الهواء المكتوم أصوات همس السائحين، ووقْعَ الخطوات المتثاقلة على الحجارة. كان لا يزال يُستعمل كمكانٍ للعبادة.

قالت آيفي وهي تسير بجواري:

- لقد فاتنا شيء يا ستيف. نحن نتجاهل جزءًا مُهمًّا من اللغز.

سألتها وأنا أتأمَّل الزخارف الداخلية المنمقة للكنيسة:

- هل لديك أي فكرة عما فاتنا؟

- أحاول التفكير في الأمر.

سار جي سي الهُوَيني، واقترب منَّا قائلًا:

- انتظري يا آيفي، أنت تعتقدين أن هناك شيئًا ما فاتنا، لكنك لا تعرفين ما هو، وليست لدَيك أدنى فكرة عما قد يكون؟

قالت آيفي:

- هذا هو جوهر الأمر.

قال لي جي سي:

- أعتقد أنني فقدتُ مليون دولار، يا سكيني، لكنني لا أعرف لماذا. كما أنه ليست لديَّ أي فكرةٍ على الإطلاق عن الكيفية التي كسبتُها بها، لكنني متأكد بالفعل من أنني فقدتُها. لذا إن كان بمقدورك فعل أي شيءٍ حيال ذلك ...

قالت آيفي:

- يا لكَ من مُهرج.

تابع جي سي حديثَه قائلًا:

- ذلك الشيء الذي قلتُه، كان تعبيرًا مجازيًّا.

قالت:

- لا، بل كان اختبارًا منطقيًّا.

- هاه؟

- الهدف منه هو إثبات كونك أحمق. أوه! هل يمكنك التخمين؟ كان اختبارًا ناجحًا! وهو المطلوب إثباته. يُمكننا القول بكل دقة، من دون أي التباسٍ أنك أحمق بالفعل.

انصرف كلاهما وهما مُستمرَّان في الجدال. هززتُ رأسي، وتوغلتُ أكثر داخل الكنيسة. كان المكان الذي من المفترَض أن تكون وقعت فيه عملية الصَّلْب مميزًا بكوةٍ مُذهَّبة، ازدحمت بالسياح والمتديِّنين. عقدتُ ذراعيَّ باستياء. كان عديد من السياح يلتقطون الصور.

سألتني مونيكا:

- ماذا في الأمر؟

قلت:

- كنتُ آمُل أن يمنعوا التصوير الفوتوغرافي باستخدام الفلاش. معظم الأماكن الشبيهة بهذا المكان تفعل ذلك. لو كان رازون قد حاول استخدام الفلاش الخاصّ به، لباتَ من المرجَّح أن يكون أحدهم قد لمحه.

ربما كان ذلك ممنوعًا بالفعل، لكن رجال الشرطة الواقفون بالجوار لم يبدُ عليهم الاكتراث بما يفعله الناس.

أشارت مونيكا إلى رجالها باقتضابٍ قائلة:

- سنبدأ البحث.

تحرك ثلاثتُهم وسط الحشد، لتنفيذ خطتهم الهشة، وهي محاولة العثور على شخصٍ ما في أحد الأماكن المقدسة، يتذكَّر رؤية رازون.

انتظرتُ، ولاحظتُ أن اثنين من ضباط الشرطة القريبين يتجاذبان أطراف الحديث باللغة العبرية. لوَّح أحدهما للآخر، وقد أنهى ورديَّته على ما يبدو، وبدأ يسير مبتعدًا.

قلت:

- كالياني، تعالَي معي.

- بالطبع، بالطبع يا سيد ستيف.

انضمَّت إليَّ بخطواتٍ متواثبة، ونحن نتقدم من الضابط الذي انصرف.

ألقى الضابط نحوي بنظرةٍ مُنهَكة.

قلتُ له بالعبرية، بمساعدة من كالياني:

- مرحبًا.

كنت أتمتم أولًا بما أريد قوله، كي تتمكن هي من ترجمته لي. واصلتُ قائلًا:

- أعتذر عن لغتي العبرية الرهيبة!

توقف، ثم ابتسم وقال:

- إنها ليست بهذا السوء.

- إنها بشعة!

خمَّن قائلًا:

- هل أنت يهودي؟ من الولايات المتحدة؟

- في الواقع، أنا لستُ يهوديًّا، لكنني من الولايات المتحدة. أعتقد فحسب أن على المرء محاولة تعلُّم لغة البلد قبل زيارته له.

ابتسم الضابط. بدا ودودًا بما فيه الكفاية، كما كان معظم الناس كذلك بالطبع. كانوا يُحبون رؤية الأجانب وهم يحاولون التحدُّث بلُغتهم. تجاذبنا أطراف الحديث أثناء سَيرنا، ووجدت أنه أنهي خدمته لذلك اليوم بالفعل. كان شخصٌ ما قادمًا لاصطحابه، لكن لم يبد أن لدَيه مانعًا في الحديث معي أثناء انتظاره. حاولت توضيح أنني أرغب في التدرُّب على ممارسة اللغة من خلال الحديث مع أحد السكان المحليين.

كان اسمه موشيه، وكان يعمل في نفس الوردية كل يوم تقريبًا. كانت مُهمته هي مُراقبة من يقومون بارتكاب الحماقات، ومنعهم من ذلك، على الرغم من أنه أسَرَّ إليَّ بأن واجبَه الأهم هو التأكُّد من عدم وقوع أي هجومٍ إرهابي في الكنيسة. كان مكان عملِهِ المعتاد في منطقة أخرى من المدينة، لكنه نُقِل هنا خلال فترة الأعياد، حينما كانت الحكومة قلقة من العنف، وتُريد تواجُدًا أكثر وضوحًا للشرطة في المواقع السياحية؛ إذ إن هذه الكنيسة كانت في النهاية في منطقةٍ مُتنازعٍ عليها.

بعد بضع دقائق، بدأتُ أنتقل بالحديث ليدور حول رازون. قلت:

- أنا متأكد أنك ترى بعض الأشياء المثيرة للاهتمام. قبل أن نأتي هنا، كنّا في حديقة القبر، حيث كان هناك رجل آسيوي مجنون يَصيح في الجميع.

سألني موشيه:

- حقًّا؟

- أجل. أنا متأكد أنه أمريكي بسبب لهجتِه، لكن ملامحه كانت آسيوية. على أي حال، كانت بحوزتِهِ كاميرا ضخمة مُثبَّتة على حامل، كما لو أنه أهمُّ شخص بين الموجودين، ولا أحد غيره يستحقُّ التقاط الصور. اشتبك في جدالٍ كبير مع شرطي أراد منعه من استخدام الفلاش.

ضحك موشيه قائلًا:

- لقد كان هنا أيضًا.

ضحكتْ كالياني بعد أن ترجمتْ هذا قائلة:

- أوه، أنت ماهر يا سيد ستيف.

سألتُه من دون إبداء كثيرٍ من الاهتمام:

- حقًّا؟

قال موشيه:

- بالتأكيد. لا بد أنه نفس الرجل. كان هنا ... أوه! قبل يومَين. ظلَّ يسبُّ كل من زاحمه، وحاول رشوتي كي أُبعِد الجميع وأوفِّر له مساحةً كافية. الشيء اللافت في الأمر هو أنه ما إن بدأ في الْتقاط الصور، لم يُمانع ما إذا وقف أي شخصٍ أمامه. كما أنه التقط الصور في جميع أرجاء الكنيسة، حتى في الخارج، مُصوبًا الكاميرا إلى أغبى الأماكن!

- إنه مجنون بالفعل، أليس كذلك؟

ضحك الضابط قائلًا:

- أجل. أري سيَّاحًا مثله طوال الوقت. بحوزتهم كاميرات ضخمة فاخرة أنفقوا عليها مبالغ طائلة، لكن من دون أدنى تدريبٍ على التصوير الفوتوغرافي. لم يكن هذا الرجل يعرف حتى متى يتعيَّن عليه إغلاق الفلاش. أتدري؟ لقد استخدمه في كل لقطة، حتى في الشمس بالخارج. وعلى المذبح هناك، مع كل الأنوار المسلَّطة عليه!

ضحكتُ، فقال:

- أعرف! يا للأمريكيين!

ثم بدا عليه التردُّد وقال:

- أوه، آه ... لا أقصد الإساءة.

كررتُ على الفور ما لقَّنَتْهُ لي كالياني، وقلت:

- لم أستأ من ذلك، فأنا هندي.

بدا عليه التردُّد، ومال برأسه تجاهي.

قالت كالياني:

- أوه! معذرة يا سيد ستيف! لم أُركز في التفكير.

- لا بأس.

ضحك الشرطي قائلًا:

- أنت بارع في اللغة العبرية، لكن لا أظنُّ أن عبارتك هذه تعني ما تعتقده!

ضحكتُ أنا أيضًا، ولاحظتُ امرأة تتَّجِه نحوه، ملوِّحة. شكرتُه على المحادثة، ثم أمضيتُ المزيد من الوقت في تفتيش الكنيسة. في النهاية،

عثرَتْ عليَّ مونيكا وتابِعاها، وكان أحدهما يُعيد إلى جيبه صورَ رازون.

قالت مونيكا:

- لم يرَهُ أحد هنا، يا ليدز. هذا طريق مسدود.

قلت وأنا أسير باتجاه المخرج:

- حقًّا؟

انضمَّ إلينا توبياس، عاقدًا يدَيهِ خلف ظهره. وجَّهَ حديثه إليَّ قائلًا:

- يا لها من أعجوبة يا ستيفن!

أومأ برأسه تجاه شرطيٍّ مسلح عند الباب وتابع قائلًا:

- إن مدينة القدس، التي يعني اسمُها حرفيًّا «السلام»، مليئة بجُزُر منعزلة من الهدوء، مثل هذه، التي شهدت طقوس عبادات البشر بمهابةٍ لفترةٍ زمنية أطول من فترة وجود معظم البلدان. ومع ذلك، فإن العنف هنا دومًا ما يقع على بُعد خطوات قليلة فحسب.

العنف . . .

عبستُ قائلًا:

- مونيكا، لقد ذكرتِ أنك بحثتِ عن رازون بنفسك، قبل أن تأتي إليَّ. هل تضمَّنَ ذلك التحقُّقَ لمعرفة ما إذا كان على متن أي رحلاتٍ جوية خارج الولايات المتحدة؟

قالت:

- أجل. لَدَينا بعض الاتصالات في جهاز الأمن الداخلي. لم يسافر أي شخصٍ باسم رازون خارج البلاد. لكن الحصول على تحقيق شخصية زائف ليس أمرًا بالِغَ الصعوبة إلى هذا الحد.

- هل يمكن للمرء دخول إسرائيل بجواز سفر مُزور؟ واحدة من أكثر دول العالم تشدُّدًا في الأمن؟

تجهمتْ قائلة:

- لم أفكر في ذلك.

قلت:

- يبدو الأمر محفوفًا بالمخاطر.

- حسنًا، يا له من توقيتٍ رائع لطرح هذه الفكرة يا ليدز. هل تقول إنه ليس موجودًا هنا، بعد كل هذا؟ لقد أهدرنا ...

قلت بشرود:

- أوه! إنه هنا. لقد عثرتُ على شرطي تحدَّث معه. التقط رازون صورًا في جميع أرجاء المكان.

- لم يُشاهده أي شخصٍ ممن تحدثنا إليهم.

- يشاهد الشرطة ورجال الدين في هذا المكان آلاف الزوّار يوميًّا، يا مونيكا. لا يمكنك أن تعرضي عليهم صورة، وتتوقَّعي منهم أن يتذكروا صاحبها. عليك التركيز على شيء يصعُب نسيانه.

- لكن ...

رفعتُ يدي قائلًا:

- فلتصمتي للحظة. لقد دخل البلاد. مهندس صغير منعزل، بحوزته معدات ثمينة للغاية، وباستخدام جواز سفر مزور. كان لدَيه مُسدس في شقته، لكنه لم يُطلِق منه النار قط. كيف حصل عليه؟ يا لي من أحمق.

سألتها:

- هل يُمكنم معرفة متى اشترى رازون ذلك السلاح؟ قوانين السلاح في الولاية تجعل من السهل تعقُّبه، أليس كذلك؟

- بالتأكيد. سأنظر في الأمر عند عودتنا إلى الفندق.

- فلتفعلي ذلك الآن.

- الآن؟ هل تُدرك كم الساعة في ...

- فلتفعلي على أي حال. أيقظي الناس، واحصلي على الإجابات.

حدقتْ فيَّ بغضب، لكنها ابتعدت وأجرَتْ بعض المكالمات الهاتفية، التي تبعها بعض الأحاديث الغاضبة.

قال توبياس وهو يهز رأسه:

- كان علينا أن نلحظ هذا من قبل.

- أعرف ذلك.

في النهاية، عادت مونيكا وهي تُغلق هاتفها بعنف.

- لا يُوجَد أي سجلٍ يثبت شراء رازون لمسدسٍ على الإطلاق. كما أن المسدس الموجود في شقته غير مُسجل في أي مكان.

لقد تلقى المساعدة. بالطبع تلقَّى المساعدة. ظلَّ يُخطط لهذا طوال سنوات، كما كان بوسعه الوصول إلى كل تلك الصور كي يستخدمها لإثبات شرعية عمله.

كان قد عثر على شخصٍ يُمِدُّه بما يحتاج إليه، ويعمل على حمايته. شخص أعطاه ذلك المسدس، وهويةً مزورة، وساعده على التسلُّل إلى إسرائيل.

من يكون إذن ذلك الشخص الذي قصده؟ من يساعده؟

قلت:

- آيفي، نحن بحاجة إلى ...

انقطعتُ عن الحديث، ثم عاودتُ قائلًا:

- أين آيفي؟

قال توبياس:

- ليست لديَّ أدنى فكرة.

كما هزت كالياني كتفيها.

سألتني مونيكا:

- هل فقدتَ إحدى هلاوسك؟

- أجل.

- حسنًا، فلتستدعِها إذن.

دخلتُ الكنيسة مُتلفِّتًا حولي، وقلت:

- لا يعمل الأمر على ذلك النحو.

تلقيتُ بعض النظرات المتعجبة من رجال الدين، حتى اختلستُ النظر أخيرًا داخل إحدى الزوايا، وتوقفتُ في مكاني.

توقف جي سي وآيفي على عجلٍ عن تبادل القبلات. بدا ماكياجها تالفًا، كما وضع جي سي مُسدسه جانبًا - وهو ما كان يصعُب تصديقه - متجاهلًا إيَّاه.

كانت هذه هي السابقة الأولى من نوعها.

رفعتُ يدي إلى وجهي قائلًا:

- أوه، لا بد أنكما تُمازحانني. أنتما الاثنان؟ ما الذي تفعلانه؟

قالت آيفي ببرود:

- لم أكن أعلم أنه يتعين علينا إبلاغك بطبيعة علاقتنا.

وجه لي جي سي ابتسامةً عريضة، رافعًا إبهاميه.

قلت:

- لا يهم. حان وقت الانصراف. آيفي، لا أعتقد أن رازون كان يعمل بمفرده. لقد دخل البلاد بجواز سفر مزور، كما أن هناك

عدة عوامل أخرى غير منطقية يصعُب تفسيرها. هل يمكن أن يكون قد حصل على مساعدة من نوعٍ ما هنا؟ ربما منظمة محلية لمعاونته على تجنُّب الشبهات، والتحركً داخل المدينة؟

قالت وهي تُحِث الخطو لتواكبني:

- هذا مُحتمَل. أود الإشارة إلى أنه ليس من المستحيل كونه يعمل بمفرده، لكن ذلك يبدو أمرًا غير مُرجح، عند إمعان التفكير. هل فكرت في ذلك بمفردك؟ أحسنت!

- شكرًا لك. إن شعرك مهوَّش.

أخيرًا، وصلنا إلى السيارتين، وركبتُ مع مونيكا، وآيفي، وجي سي، بينما استقل الرجلان الآخران وبقية جوانبي السيارة الأخرى.

قالت مونيكا عندما انطلقت السيارتان:

- قد تكون مُحقًّا في هذه النقطة.

قلت:

- رازون رجل ذكي، وسيرغب في حلفاء. قد تكون شركة أخرى، ربما إسرائيلية. هل يعرف أي من مُنافسيكم بأمر هذه التكنولوجيا؟

- لا أحدَ، على حدِّ علمنا.

قالت آيفي من مكانها بيننا:

- ستيف.

كانت قد أعادت أحمر شفاهها إلى حقيبتها، وسوَّت شعرها. بدا من الواضح أنها تحاول تجاهل ما رأيتُه بينها هي وجي سي.

فكرتُ قائلًا لنفسي: «اللعنة. لقد افترضتُ أنهما يكرَهُ كلٌّ منهما الآخَر». سألتها:

- نعم؟

- فلتسأل مونيكا سؤالًا من أجلي. هل حدث أن قصد رازون شركتها من قبل بخصوص مثل هذا المشروع؟ التقاط الصور لإثبات حقيقة المسيحية؟

كررتُ السؤال، فقالت مونيكا:

- لا. كنت سأُخبرك لو أنه فعل. وكان هذا سيقودنا إلى هنا على نحوٍ أسرع. إنه لم يقصدنا قط.

قالت آيفي:

- هذا أمر غريب. كلَّما طال عملنا على هذه القضية، وجدنا أن رازون بذل جهودًا لا تُصدَّق من أجل المجيء إلى هنا، في القدس. لِمَ إذن لم يستغلَّ الموارد التي كانت متاحةً له بالفعل؟ مختبرات أزاري.

قلت:

- ربما كان يريد الحرية، لاستخدام اختراعه كيفما شاء.

قالت آيفي:

- لو كان هذا هو الحال، لما قصد شركة منافسة، كما اقترحتِ أنت؛ إذ إن ذلك سوف يُعيده إلى نفس الموقف. استحث مونيكا على الحديث. تبدو كما لو أنها منشغلة بالتفكير في شيءٍ ما.

سألتُ مونيكا:

- ماذا هناك؟ هل لديك شيءٌ لتُضيفِيه؟

قالت مونيكا:

- حسنًا، ما إن علِمْنا أن الكاميرا تعمل بالفعل، حتى طلب منا رازون العمل على بعض المشاريع التي أراد تجربتها. مثل الكشف عن حقيقة اغتيال كينيدي، وكشف زيف أو التأكُّد من حقيقة

فيديو باتيرسون وجيملين الذي التقطاه لِذِي القدَم الكبيرة، وأشياء من ذلك القبيل.

خمنتُ قائلًا:

- وقد رفضتم طلبَه.

قالت مونيكا:

- لا أعرف ما إذا كنت قد أمضيت الكثير من الوقت في التفكير في تداعيات هذا الجهاز يا سيد ليدز. تشير أسئلتك التي وجهتها إليَّ على متن الطائرة إلى أنك بدأتَ في ذلك، على الأقل. حسنًا، لقد فكَّرنا نحن في الأمر، ونشعر بالرُّعب.

سوف يُغير هذا الشيء وجهَ العالم. الأمر مُتعلق بما هو أكثر من مجرد إثبات حقيقة الألغاز. إنه يعني نهاية الخصوصية كما نعرفها. إذا حدث وأن تمكن شخصٌ ما من الوصول إلى أي مكان سبق وأن كنتَ عاريًا فيه من قبل، فسيتمكن من التقاطِ صورٍ لك وأنت عار. تخيَّل تداعيات ذلك على مصوري صحافة المشاهير.

سينقلب نظامُنا القضائي بأكمله رأسًا على عقب. لن يعود هناك وجود للمُحلَّفين ولا القضاة، ولا المحامين أو المحاكم. كل ما سيتطلَّبه تطبيق القانون ببساطة هو الذهاب إلى مسرح الجريمة والتقاط الصور. إذا كنتَ مُشتبهًا، ستُقدِّم حجَّتَك بمكان وجودك، ويمكنهم إثباتُ ما إذا كنتَ في المكان الذي تدَّعي وجودك به أم لا.

هزَّت رأسها، وهي بادية الانزعاج، وتابعت قائلة:

- وماذا عن التاريخ؟ والأمن القومي؟ سيُصبح الحفاظ على الأسرار أكثر صعوبة. سيتعين على الدول إغلاق المواقع التي تم فيها تبادل المعلومات الهامة. كما أنك لن تتمكَّن من تدوين أي شيء. ماذا

لو مرَّ ساعٍ يحمل وثائق حسَّاسة عبر الطريق؟ في اليوم التالي، سيمكنك الوقوف في الموضع الصحيح فحسب، والتقاط صورةٍ لِما بداخل المظروف. لقد اختبرنا ذلك. تخيل امتلاك مثل هذه القوة. والآن، تخيل أن يمتلكها كل شخصٍ على هذا الكوكب.

همستْ آيفي قائلة:

- اللعنة.

قالت مونيكا:

- لذا، لا، لم نكن لنسمح للسيد رازون بالذهاب لالتقاط الصور لإثبات أو دحض المسيحية. ليس بعد. ليس قبل إجراء كثيرٍ من المناقشات بشأن هذه المسألة. أعتقد أنه كان يعرف ذلك، وهذا يُفسِّر سبب فراره.

قلت:

- لكن ذلك لم يمنعك من إعداد وسائل لإغرائي بالدخول معك في اتفاقية عمل. أعتقد أنك إذا كنتِ قد فعلت ذلك معي، فقد فعلتِ نفس الشيء مع أشخاصٍ آخرين مُهمِّين أيضًا. لقد عملتِ على جمع الموارد لضمان الحصول على بعض الحلفاء الاستراتيجيين، أليس كذلك؟ ربما بعض نخبة وأثرياء العالم، لمساعدتك على ركوب هذه الموجة، ما إن تنتشِر التكنولوجيا؟

زمَّت شفتيَها، ووجَّهت نظرها أمامها مباشرة. واصلتُ الحديث قائلًا:

- في الغالب، بدا الأمر لرازون وكأنك تعملين على خدمة مصلحتك الشخصية. رفضتِ مساعدتِهِ على كشف الحقيقة للبشرية، لكنك عملتِ بدلًا من ذلك على جمع ما يلزم للرشوة، وللابتزاز أيضًا.

قالت مونيكا:

- ليست لديَّ الحرية لمواصلة هذا الحديث.

أصدرت آيفي صوتًا للتعبير عن استهجانها. قالت:

- حسنًا، ها نحن نعرف سبب رحيلِه. لكنني ما زلت لا أعتقد أنه قصد شركةً منافسة، لكن لا بد أنه قصد شخصًا ما. ربما الحكومة الإسرائيلية؟ أو ...

أظلمتِ الدنيا من حولي.

7

استيقظتُ شاعرًا بالدوار، ونظري مُشوَّش.

قال جي سي:

- انفجار.

جلس القرفصاء بجانبي. كنت ... كنتُ مُقيدًا في مكانٍ ما، على مقعد، ويدايَ مربوطة خلفي.

قال جي سي:

- ابقَ هادئًا يا سكيني، اهدأ. لقد فجَّروا السيارة التي كانت أمامنا، فانحرفنا واصطدمنا ببنايةٍ على جانب الطريق. هل تتذكر؟

كنتُ أذكر بالكاد. بدا الأمر مشوشًا.

تلفتُّ حولي قائلًا بصوتٍ أجش:

- مونيكا؟

كانت مُقيدة في مقعدٍ بجواري. كما كانت كالياني، وآيفي، وتوبياس هناك أيضًا، وجميعهم مُقيدون ومُكمَّمون. لم يكن رجُلَا الأمن التابِعان لمونيكا هناك.

قال جي سي:

- لقد استطعتُ التحرُّر والزحف خارجًا من الحطام، لكنني لا أستطيع إخراجك.

قلت:

- أعرف هذا.

كان من الأفضل عدم الضغط على جي سي بحقيقة كونِهِ مجرد هلوسة، وأنا على ثقة من أنه كان يعلم حقيقتَهُ في أعماقه، لكنه لم يكن يُحب الاعتراف بذلك فحسب.

قال جي سي:

- اسمع. الوضع سيء، لكنك ستُحافظ على هدوئك، وستتمكن من الهرب وأنت على قيد الحياة. هل تفهم أيها الجندي؟

- أجل.

- كرِّر قولك ثانية.

كرَّرتُ قائلًا بهدوء، لكن بنبرة قوية:

- أجل.

قال جي سي:

- أنت رجل طيب. سأذهب لأفكَّ قيود الآخرين.

انتقلَ من مكانه، ليُحرِّر باقي جوانبي.

تأوَّهَت مونيكا وهي تهز رأسها، وقالت:

- ماذا ...؟

قلت:

- أعتقد أننا أسأنا التقدير على نحوٍ فادح، معذرة.

فوجئتُ بمدى ثبات النبرة التي خرج بها قولي ذاك، بالنظر إلى فداحة الرُّعب الذي انتابني. أنا أكاديمي في الصميم، أو على الأقل فإن معظم جوانبي كذلك. ولا أجيد التعامُل مع العنف.

سألتُ:

- ما الذي ترَونه؟

ارتجف صوتي هذه المرة.

فركت آيفي مِعصَمَيها قائلة:

- غرفة صغيرة، من دون نوافذ. يُمكنني سماع أصوات السباكة، والأصوات الخافتة لحركة المرور بالخارج. ما زلنا في المدينة.

أومأ توبياس برأسه نحو جي سي على سبيل الشكر، بينما ساعده ذلك الأخير في الوقوف على قدمَيه؛ إذ إن توبياس صار متقدمًا في العمر الآن. قال:

- يا لها من أماكن رائعة، تلك التي تصطحبنا إليها، يا ستيفن!

قالت كالياني:

- يُمكنني سماع اللغة العربية بالخارج.

أغلق توبياس عينَيه وقال:

- أجل، هناك قطار عابر، يتباطأ ... ها هو قد توقف. هناك شيء ما في الطريقة التي توقَّف بها هنا ... ليست محطة، لكن موقف من نوع آخر. سيارات، وأشخاص يتبادلون الحديث. أجراس كنيسة. هل هذه هي اللغة اليديشية؟ ومؤذن، هل ينادي للصلاة؟

فتح عينَيه وواصل قائلًا:

- نحن في مكانٍ ما في شارع شيفتي إسرائيل، بالقُرب من المدينة القديمة. هذه منطقة مزدحمة. ربما يفيد الصراخ في جذب الانتباه لجلب العون.

قال جي سي:

- أو ربما يتسبَّب في قتلنا. هذه الحبال مربوطة بشدة يا سكيني، وكذلك تلك التي تقيد مونيكا.

قالت مونيكا:

- ماذا هناك؟ ماذا حدث؟

قالت آيفي:

- الصور.

نظرتُ إليها. تابعتْ حديثها قائلة:

- عرضت مونيكا وتابعوها صور رازون تلك، وهم يتجولون في الكنيسة، وفي الغالب سألوا الجميع هناك ما إذا كانوا قد شاهدوه. إذا كان يعمل مع شخصٍ ما ...

تأوهتُ. بالطبع. كان حلفاء رازون يترقَّبون وجود أي شخصٍ يُطارده. وكانت مونيكا قد جعلتنا بمثابة هدفٍ لهم.

قلت:

- حسنًا. جي سي، عليك إخراجنا من هذا الموقف. ماذا يجب ...

انفتح الباب.

التفتُّ نحو خاطفينا على الفور. لم أجد ما توقعتُه. بدلًا من إرهابيين إسلاميين من نوعٍ ما، واجهتْنا مجموعة من الرجال الفلبينيِّين يرتدون بدلات.

قال توبياس:

- آه ...

تحدَّث الرجل الواقف في المقدمة بلكنة ثقيلة، قائلًا:

- سيد ليدز.

تصفَّح ملفًّا مليئًا بالأوراق، وتابع قائلًا:

- تبعًا لكل المقاييس، أنت شخص مُثير للاهتمام للغاية ... كما أنك إنسان عاقل. نعتذر لأسلوب معاملتك حتى الآن، ونرغب في رؤيتك تتمتَّع بظروفٍ مريحة بدرجة أكبر.

قالت آيفي مُحذِّرة:

- أشعر أن هناك صفقةً مقبلة.

قال الرجل:

- اسمي ساليك، وأنا أمثل مجموعة مُعينة لها اهتمامات قد تتوافق مع اهتماماتك. هل سمعتَ عن الجبهة الوطنية لتحرير مورو، يا سيد ليدز؟

قال توبياس:

- الجبهة الوطنية لتحرير مورو هي مجموعة ثورية فلبينية تسعى إلى الانشقاق، وإنشاء دولة قومية خاصة بها.

قلت:

- لقد سمعتَ عنها.

قال ساليك:

- حسنًا، لديَّ اقتراح لك. بحوزتنا الجهاز الذي تبحث عنه، إلا أننا واجهنا بعض المصاعب في تشغيله. كم سيُكلفنا طلب مساعدتك؟

أجبتُه على الفور:

- مليون دولار.

انفجرت مونيكا قائلة:

- أيها الخائن!

أجبتُها وأنا أجد الأمر مُسليًّا:

- أنت حتى لم تدفعي لي شيئًا يا مونيكا. لا يُمكنك إلقاء اللَّوم عليَّ لقبولي صفقة أفضل.

ابتسم ساليك. كان مقتنعًا تمامًا أنني سأبيع مونيكا. أحيانًا يكون من المفيد للغاية أن يتمتع المرء بسُمعة تفيد كونه وغدًا منعزلًا عديم الأخلاق.

لكن الحقيقة هي أنني منعزل فحسب. وربما عليَّ الاعتراف بكوني وغدًا. حينما يتمتع المرء بذلك المزيج من الصفات، يفترض الناس بصفةٍ عامة أنه يفتقر إلى الأخلاق أيضًا.

تابع توبياس حديثه:

- إن الجبهة الوطنية لتحرير مورو منظمة شبه عسكرية. لكن لم يكن هناك كثير من العنف من جانبهم، لذا فإن هذا الأمر مُثير للدهشة. خلافهم الأساسي مع الحكومة الفلبينية هو الدين.

أصدر جي سي صوتًا ينمُّ عن الاستهزاء، وقال:

- أليس هذا هو سبب الخلاف دومًا؟

ثم فتش القادمين الجدد بحثًا عن السلاح، وأومأ نحو قائدهم قائلًا:

- هذا الرجل يحمل سلاحًا. أعتقد أن جميعهم كذلك.

قال توبياس:

- في الواقع، عليك التفكير في الجبهة الوطنية لتحرير مورو بوصفها النسخة الفلبينية من الجيش الجمهوري الأيرلندي، أو منظمة حماس الفلسطينية. وقد تكون هذه الأخيرة مقارنة أكثر دقة؛ إذ إنه غالبًا ما يُنظَر إلى الجبهة الوطنية لتحرير مورو على أنها منظمة إسلامية. معظم الفلبين من الروم الكاثوليك، لكن منطقة بانجسامورو - حيث تعمل الجبهة الوطنية لتحرير مورو- يغلب عليها الديانة الإسلامية.

أشار ساليك نحوي قائلًا:

- حُلُّوا وَثاقَه.

شرع رجالُه في العمل على تنفيذ أوامره.

قالت آيفي:

- إنه يكذب بخصوص شيءٍ ما.

قال توبياس:

- أجل. أعتقد . . . نعم، إنه ليس تابعًا للجبهة الوطنية لتحرير مورو. ربما يحاول إلصاق هذا الأمر بهم. ستيفن، إن الجبهة الوطنية لتحرير مورو تُعارض بشدة تعريض المدنيين للخطر. إن الأمر لافت للنظر بدرجةٍ كبيرة، إذا قرأت عنهم. إنهم يقاتلون من أجل الحرية، لكنَّ لديهم قانونًا صارمًا فيما يتعلق بمن يُلحقون به الأذى. وقد كرَّسوا جهودهم مؤخرًا من أجل الانفصال السلمي.

قلت:

- لا بد أن هذا يؤثر على شعبيتهم لدى بعض أتباعهم. هل هناك أي مجموعات مُنشقَّة عنهم؟

سألني ساليك:

- ماذا قلت؟

فركت مِعصمي وقلت:

- لا شيء. شكرًا لك. أرغب في رؤية الجهاز بشدة.

قال ساليك:

- من هنا، من فضلك.

صاحت مونيكا مُناديةً خلفي:

- أيها الوغد!

زمَّت آيفي شفتَيها وقالت:

- راعي ألفاظكِ!

تبعتني هي وباقي جوانبي أثناء خروجي، وأغلق الحرَّاس الباب على مونيكا، تاركين إيَّاها في الغرفة بمفردها.

قال توبياس وهو يسير خلف الرجال الذين رافقوني ونحن نصعد الدرج:

- أجل ... ستيفن، أعتقد أن هذه هي جماعة أبو سياف، بقيادة رجل يُدعى قذافي جنجلاني. لقد انشقوا عن الجبهة الوطنية لتحرير مورو لأن المنظمة لم تكن على استعدادٍ لاتخاذ إجراءات حازمة بما يكفي. تُوفِّي جنجلاني مؤخرًا، وبات مستقبل الحركة مشكوكًا فيه إلى حدٍّ ما، لكن هدفه كان إقامة دولة إسلامية بحتة في المنطقة. وقد اعتبر قتلَ أيِّ شخصٍ يُعارضه ... وسيلةً أنيقة لتحقيق أهدافه.

قال جي سي:

- يبدو أن لدَينا فائزًا. حسنًا يا سكيني، هذا هو ما عليك القيام به. اركل الرجُلَ الواقف خلفك بينما هو يصعد درجةً من درجات السُّلم، وسيسقط على الرجل المجاور له، وستتمكن حينها من الاشتباك مع ساليك. عليك أن تُدِيرَهُ كي تحمي نفسك من طلقات الرصاص من الخلف، ثم تناوَلْ سلاحَهُ من داخل معطفه، وابدأ في إطلاق النار من خلال جسدِهِ على الرجال بالأسفل.

بدا على آيفي الشعور بالغثيان. قالت:

- هذا فظيع!

سألها جي سي:

- أنت لا تعتقدين أنه سيُطلق سراحنا، أليس كذلك؟

قال توبياس محاولًا تقديم العون:

- كانت جماعة أبو سياف سببًا في عديد من عمليات القتل، والتفجيرات، وعمليات الاختطاف في الفلبين. كما أنهم في غاية الوحشية مع السكان المحليين، ويتصرفون كإحدى جماعات الجريمة المنظمة، أكثر من كونهم ثوريين حقيقيين.

قال جي سي:

- إذن ... هذا يعني أنك ترفض الأمر، أليس كذلك؟

وصلنا إلى الطابق الأرضي، وقادنا ساليك إلى غرفة جانبية. كان هناك رجلان آخران، يرتديان ملابس عسكرية، يحملان قنابل يدوية على حزامَيْهما، وفي أيديهما بنادق هجومية.

على طاولة بينهما، كانت هناك كاميرا متوسطة الحجم، بدت ... عادية.

جلستُ قائلًا:

- أنا بحاجةٍ لوجود رازون هنا، كي أوجِّهَ له بعض الأسئلة.

أبدى ساليك الازدراء قائلًا:

- إنه لن يتحدَّث معك، يا سيد ليدز. يمكنك الوثوق بي في هذا الشأن.

سأل جي سي:

- إذن فهو لا يعمل معهم؟ أشعر بالحيرة.

قلت:

- اجلبوه على أي حال.

وشرعتُ أتفحص الكاميرا بحرص.

المشكلة هي أنه لم تكن لديَّ أدنى فكرة عما أفعله. لماذا؟ لماذا لم أحضر معي إيفانز؟ كان يجب أن أعرف أنني سأحتاج إلى ميكانيكي في هذه الرحلة.

لكن إذا جلبتُ معي الكثير من جوانبي – وأبقيتُ الكثير منهم حولي في نفس الوقت – كانت ستحدث أشياء سيئة. لم يكن لذلك أهمية الآن؛ إذ كان إيفانز بعيدًا في قارة أخرى.

سألتُ بصوتٍ خافت:

- هل يمكن لأيٍّ منكم تقديم العون؟

قالت آيفي:

- لا تلتفت إليَّ، فلا يُمكنني حتى تشغيل جهاز التحكُّم عن بعد معظم الوقت.

قال جي سي:

- اقطع السلك الأحمر. دومًا ما يكون السلك الأحمر.

حدقتُ فيه ببرود، ثم قمتُ بفكِّ جزءٍ من الكاميرا، في محاولة لأبدو وكأنني أعرف ما أفعله. أخذت يدي ترتعش.

لحُسن الحظ، أرسل ساليك شخصًا لتنفيذ ما طلبته. بعدها، راقبَني بعناية. ربما قرأ عن حادثة لونجواي، حيث قمت بتفكيك وإصلاح وإعادة تجميع جهاز كمبيوتر مُعقد، في الوقت المناسب لوقف تفجير. لكن الفضل في ذلك كلِّه يعود إلى إيفانز، مع بعض المساعدة من تشين، خبير الكمبيوتر المقيم لدَينا.

من دونهما، كنت فاشلًا في مثل هذه الأمور. بذلت قصارى جهدي كي أبدو خلاف ذلك، حتى عاد الجندي ومعه رازون. تعرفتُ عليه من الصور التي عرضَتْها عليَّ مونيكا. أو تعرفتُ عليه بالكاد. كانت شفتُهُ

مشقوقة ونازفة، وعينه اليسرى منتفخة، كما كان يمشي متعثرًا وهو يعرج. عندما جلس على مقعدٍ بالقُرب منّي، لاحظتُ أنه فقد إحدى يدَيه.

كانت يدُه المبتورة ملفوفة بخرقة دامية.

سعل قائلًا بلكنةٍ فلبينية خفيفة:

- آه، السيد ليدز، على ما أعتقد. أنا آسف للغاية لوجودك هنا.

تفحصتْ آيفي رازون قائلة:

- احترس.

وقفتْ بجانبه تمامًا، وواصلتْ قائلة:

- إنهم يراقبونكما. لا تتصرَّف بودٍّ زائد.

قالت كالياني:

- أوه، هذا لا يُعجبني على الإطلاق.

كانت قد انتقلت عند بعض الصناديق الخشبية الكائنة في الجزء الخلفي من الغرفة، وجثمَت هناك للاحتماء. أكملتْ قائلة:

- هل سيكون هذا هو الحال معك في معظم الأحيان، يا سيد ستيف؟ لأنني لا أجيد التعامُل مع هذه الأمور بدرجةٍ كبيرة.

قلتُ لرازون بنبرة جافة:

- يؤسِفك وجودي هنا؟ تشعر بالأسف، وليس بالدهشة؛ إذ إنك أنت من ساعدتَ مونيكا وأتباعها على الحصول على ما يبتزونني به.

اتَّسعت عينُه غير المتورِّمة بعض الشيء. كان يعلم أن ما حصلوا عليه لم يكن للابتزاز، أو كان هذا هو ما آمُلُهُ. هل سيفهم؟ هل سيدرك أنني هنا لمساعدته؟

قال:

- فعلتُ ذلك ... تحت الإكراه.

قلت بانفعال:

- لا تزال وغدًا، في رأيي.

قالت آيفي ويداها على خصرها:

- انتبه لألفاظك!

قلت لرازون:

- هاه! لا يُهم، ستُريني كيفية جعل هذه الآلة تعمل.

أجابني قائلًا:

- لن أفعل!

أدرتُ مسمارًا، والأفكار تتسارع في عقلي. كيف يُمكنني الاقتراب منه بما يكفي لتبادُل الحديث بهدوء، من دون إثارة الشكوك؟ قلت:

- ستفعل، وإلّا ...

قفز رازون من مقعده قائلًا:

- احترس أيها الأحمق!

رفع أحد الجنود مُسدسه تجاهنا.

قال جي سي:

- لا يزال في وضع الأمان. لا شيء يدعو للقلق. بعد.

تناول منّي رازون المفك وقال:

- هذه آلة حساسة للغاية، يجب ألا تكسرها.

شرع يربط المسمار بيدِه السليمة، ثم تابع حديثه هامسًا بهدوء شديد:

- هل أنت هنا مع مونيكا؟

- أجل.

قال:

- لا يمكن الوثوق بها.

ثم توقف قبل أن يتابع الحديث قائلًا:

- لكنها لم تضربني قط، ولم تقطع يدي. لذلك ربما لا أكون الشخص المناسب للتحدُّث عمن يمكن الوثوق به.

همستُ قائلًا:

- كيف ألقَوا القبض عليك؟

قال:

- لقد تفاخرتُ لوالدتي، فتفاخرتْ هي لأسرتها، حتى بلغ الأمر هؤلاء الوحوش. لديهم اتصالات في إسرائيل.

ترنح، فمددتُ يدي كي أسنده. بدا وجهه شاحبًا. لم يكن هذا الرجل في حالة جيدة.

أجبر نفسه على مواصلة ربط المسامير، وقال:

- لقد اتصلوا بي، زاعمين أنهم أصوليون مسيحيون من بلدي، متحمِّسون لتمويل تجاربي للعثور على دليل. لم أكتشف الحقيقة حتى قبل يومين. كان . . .

قطع حديثه، مسقطًا المفك من يده، عندما اقترب منَّا ساليك. لوَّح الإرهابي بيده، فقبض أحد جنوده على رازون، وجذبَه من ذراعِه الدامية، فصرخ رازون من الألم.

طرحه الجنود أرضًا، وضربوه بأعقاب بنادقهم. راقبتُ في رُعب، وشرعَتْ كالياني تبكي. حتى جي سي أدار وجهه بعيدًا.

جلس ساليك القرفصاء بجوار مقعدي قائلًا:

- أنا لستُ وحشًا يا سيد ليدز. بل أنا رجل محدود الموارد. ستجد أنه من الصعب للغاية التمييز بين الأمرَين في معظم المواقف.

همستُ قائلًا:

- أرجوك، فلتأمر الجنود بالتوقف.

قال:

- أنا أحاول إيجاد حلٍّ سلمي، كما ترى.

لم يوقفهم عن الضرب. تابع قائلًا:

- يتعرَّض قومي للإدانة عندما نستخدِم الوسائل الوحيدة التي لدينا - وسائل اليائسين - من أجل القتال. هذه هي الوسائل التي استخدمها كل ثوري، بما في ذلك مؤسِّسو بلدك، لنيل الحرية. سنلجأ إلى القتل، إذا تعيَّنَ علينا هذا، لكن ربما لا نضطر إلى ذلك. هنا، على هذه الطاولة، لدينا السلام، يا سيد ليدز. أصلح هذا الجهاز، وستُنقذ الآلاف والآلاف من الأرواح.

عبستُ قائلًا:

- لِمَ تريده؟ ما أهميته بالنسبة لك؟ القدرة على الابتزاز؟

قال ساليك:

- القدرة على إصلاح العالم. كل ما نحتاجه هو بضعة صور فحسب. دليل.

تقدَّم منّي توبياس وقال:

- الدليل على زيف الديانة المسيحية، يا ستيفن. ستكون تلك مهمة شاقة بالنسبة لهم؛ إذ إن الإسلام يقرُّ بأن يسوع الناصري رسول. لكنهم لا يُقرُّون بالقيامة، ولا بكثيرٍ من المعجزات المنسوبة لأتباعه اللاحقين. باستخدام الصورة الملائمة، سيُحاولون تقويض

الكاثوليكية – الديانة التي يتبعها غالبية الفلبينيين – وبالتالي زعزعة استقرار المنطقة.

سأعترف أنني شعرت بالإغراء، على نحوٍ غريب. أوه، ليس الإغراء بمساعدة وحشٍ مثل ساليك، لكنني تفهمتُ وجهة نظره. لِمَ لا أستولي على هذه الكاميرا، وأُثبت كذب جميع الأديان؟

سيتسبب ذلك في الفوضى، وربما في كثيرٍ من الوفيات، في بعض أنحاء العالم.

أم هل سيحدث ذلك بالفعل؟

قالت آيفي باستخفاف:

– تدمير الإيمان ليس بمثل هذه السهولة. لن يتسبَّب هذا في المشاكل التي يظنُّها.

سألها توبياس:

– لأن الإيمان أعمى؟ ربما تكونين على حق. سيستمر كثير من الناس في إيمانهم، على الرغم من الحقائق.

قالت آيفي:

– أي حقائق؟ بعض الصور التي قد تكون جديرةً بالثقة، أو قد لا تكون كذلك؟ من نتاج عِلم لا يفهمه أحد؟

قال توبياس بهدوء:

– ها أنتِ تحاولين بالفعل حماية ما لم يتم دحضه بعد. تتصرفين كما لو أنك تعرفين ما سيحدث، وتحتاجين إلى اللجوء لسلوك دفاعي فيما يتعلق بالدليل الذي قد يُعثَر عليه. ألا ترين يا آيفي؟ ما الحقائق التي سيتطلبها الأمر، لجعلك تنظرين إلى الموضوع بعقلانية؟

كيف يمكنك أن تكوني منطقيةً للغاية في كثيرٍ من المجالات، ومع ذلك فأنت عمياء للغاية في هذا المجال؟

رفعتُ يدي إلى رأسي قائلًا لهما:

- اصمتا! اصمتا!

تجهَّم ساليك في وجهي. حينها فقط، لاحظَ مدى شدة ضرب جنوده لرازون.

صاح قائلًا شيئًا ما باللغة التاجالوجية، أو ربما بواحدةٍ من اللغات الفلبينية الأخرى. ربما كان عليَّ دراسة تلك اللغات، بدلًا من العبرية. تراجع الجنود، وجثا ساليك على رُكبتَيه ثم قلب رازون المطروح أرضًا.

مدَّ رازون يدَه السليمة داخل سترة ساليك، سعيًا وراء مُسدسه. وثب ساليك مُتراجعًا إلى الخلف، وصاح أحد جنوده. تلا ذلك صوت تكَّةٍ واحدة مُنخفضة.

ساد السكون على جميع مَن بالغرفة. كان أحد الجنود قد أخرج مسدسًا مثبتًا عليه كاتمٌ للصوت، وأطلق النار على رازون في هلع. استلقى العالِم على ظهرِه، بعينَين مِيّتتَين مُحدقتَين، ومسدس ساليك ينزلق من بين أصابعه.

تحركَت كالياني لتركع بجانبه، وقالت:

- أوه، يا للرجل المسكين!

في تلك اللحظة، اشتبك شخص ما مع أحد الجنود عند الباب، وجذبَه من الخلف مُسقطًا إياه.

تعالى الصياح على الفور. قفزتُ من مقعدي، ومددتُ يدي نحو الكاميرا. وصل إليها ساليك أولًا، واضعًا إحدى يدَيه فوقها بإحكام، ثم مدَّ يدَه الأخرى نحو مُسدسه المُلقى على الأرض.

أطلقتُ السباب بينما أسرعتُ مبتعدًا، مُلقيًا بنفسي خلف كومة الصناديق الخشبية حيث احتمت كالياني منذ بضع دقائق. اندلعت في الغرفة طلقات الرصاص، وتناثرت من إحدى الصناديق المجاورة لي شظايا خشبية إثر إصابتِه بطلقة.

احتمت آيفي خلف المكتب قائلة:

- إنها مونيكا! لقد تمكنت من الخروج، وها هي تهاجمهم!

تجرأتُ على إلقاء نظرةٍ خاطفة من وراء الصناديق الخشبية، في الوقت المناسب لرؤية أحد رجال جماعة أبو سياف يُصاب بطلقٍ ناري، ويسقط في منتصف الغرفة بالقُرب من جسد رازون. أطلق الآخرون النار على مونيكا، التي احتمت في بئر السُّلَّم المؤدي إلى المكان الذي كنا محتجزين به.

جثم جي سي بجواري قائلًا:

- يا للهول! لقد تمكنتْ من الفرار بمفردها. أعتقد أنني قد أُضطر إلى الإعجاب بتلك المرأة!

صرخ ساليك باللغة التاجالوجية. لم يسع خلفي، بل احتمى بالقرب من حُراسه. قبض على الكاميرا وضمَّها إليه، وانضم إليه جنديان آخران ركضا هابطَين الدرَجَ من الطابق العلوي.

ظننتُ أن دويَّ الرصاص سيجذب الانتباه سريعًا، لكن ذلك لم يحدث بالسرعة الكافية. كانوا قد نجحوا في تثبيت مونيكا، وبالكاد تمكنتُ من رؤيتها وهي مختبئة في بئر السلم، تحاول العثور على طريقة للخروج وإطلاق الرصاص على الرجال بالمسدس الذي استولت عليه من الحارس الذي هاجمَتْه. بدت قدماه ظاهرتين من مدخل الباب المجاور لها.

قال جي سي:

– حسنًا يا سكيني. ها هي فرصتك. لا بد من فعل شيءٍ ما. سيصلون إليها قبل وصول النجدة، وسنخسر الكاميرا. إنه وقت الأبطال.

– أنا ...

قال توبياس:

– يمكنك الهرب يا ستيفن. هناك غرفة خلفنا مباشرة، وسيكون بها نوافذ. لا أقول إن عليك القيام بذلك، بل أمنحك الخيارات المتاحة.

تكوَّمت كالياني في زاويةٍ وهي تئن، بينما رقدت آيفي أسفل طاولة وأصبعاها في أُذنيها، وهي تُراقب القتال بعينَين يقظتَين.

حاولت مونيكا الخروج وإطلاق النار، لكن الرصاص اخترق الجدار المجاور لها، مجبرًا إيَّاها على التراجع. كان ساليك لا يزال يصرخ شيئًا ما. شرع عدة جنود في إطلاق النار عليَّ، مما أجبرني على العودة إلى الاختباء.

اصطدم الرصاص بالجدار فوقي، وتساقطت على رأسي قطع الحجارة. تنفَّستُ شهيقًا وزفيرًا.

– لا أستطيع القيام بهذا يا جي سي.

قال:

– بل يمكنك ذلك. انظر، إنهم يحملون قنابل يدوية. هل رأيتها على أحزمة الجنود؟ سيتذاكى أحدهم، ويُلقي بواحدةٍ في بئر السلم، وستضيع مونيكا. ستموت.

إذا تركتهم يحتفظون بالكاميرا ... هذا النوع من القوة، في أيدي رجال كهؤلاء ...

صرختُ مونيكا.

نادت آيفي قائلة:

- لقد أُصيبت!

اندفعتُ خارجًا من خلف الصناديق الخشبية، وركضت نحو الجندي المكوَّم في وسط الغرفة. كان قد أسقط مُسدسه. لاحظني ساليك وأنا أقبض على السلاح وأرفعه. اهتزت يدي، مرتعشة.

هذا لن ينجح أبدًا. لا أستطيع القيام بهذا. هذا مستحيل. سأموت.

أمسك جي سي مِعصمي بيده قائلًا:

- لا تقلق يا فتى. سأتولى الأمر.

سحب ذراعي جانبًا، وأطلقتُ النار وأنا أنظر بالكاد. ثم حرك المسدس في سلسلة حركات، متوقفًا لفترة وجيزة فحسب، تكفي كي أضغط على الزناد في كل مرة. انتهى الأمر في غضون لحظات.

سقط جميع الرجال المسلَّحين. خيَّم الهدوء تمامًا على الغرفة. ترك جي سي مِعصمي، وسقط ذراعي بجانبي، ثقيلًا كالرصاص.

نظرتُ إلى الرجال الذين سقطوا، وتساءلتُ قائلًا:

- هل فعلنا هذا؟

أخرجَت آيفي أصبعيها من أذنيها وقالت:

- تبًّا. كنت أعلم أن هناك سببًا يجعلنا نُبقيك في الجوار يا جي سي.

ابتسم ابتسامةً واسعة قائلًا:

- انتبهي لألفاظك، يا آيفي.

أسقطتُ المسدس. ربما لم يكن هذا أذكى ما فعلتُه على الإطلاق، لكنني لم أكن في حالةٍ عقلية طبيعية. أسرعتُ إلى جانب رازون. لم يكن لدَيه نبض. أغلقتُ عينَيه، وتركتُ الابتسامة على شفتيه.

كان هذا هو ما أراده. أرادهم أن يقتلوه، حتى لا يُجبَر على التخلِّي عن أسراره. تنهدتُ. ثم أردت التحقُّق من نظريةٍ ما، فمددتُ يدي داخل جيبه.

وخَزَ شيءٌ ما أصابعي، وأخرجتُها وهي ملطخة بالدماء.

- ماذا ...؟

لم أتوقع هذا.

علا صوت مونيكا وهي تقول:

- ليدز؟

رفعتُ عيني نحوها. وقفتْ في مدخل الغرفة، مُمسكة كتفها الملطخ بالدماء. قالت:

- هل أنت من فعل هذا؟

قلت:

- بل جي سي هو من فعل.

- وليد هلاوسك؟ أطلق النار على هؤلاء الرجال؟

- نعم. لا. أنا ...

لم أكن متأكدًا. نهضتُ وتوجَّهتُ إلى ساليك، الذي أصيب برصاصةٍ مباشرة في جبهته. انحنيتُ والتقطتُ الكاميرا، وفككتُ قطعةً منها، بينما أُولِّي مونيكا ظهري.

أشارت كالياني قائلة:

- آه ... سيد ستيف، لا أعتقد أن ذلك الرجل فارقَ الحياة. يا إلهي!

نظرتُ، فرأيت أحد الجنود الذين أطلقتُ عليهم النار وهو ينقلب. كان يمسك بشيءٍ ما في يده الملطخة بالدماء.

قنبلة يدوية.

قبضتُ على ذراع مونيكا، واندفعتُ خارجًا من الغرفة، صارخًا فيها:

- لنخرج!

ضربني الانفجار من الخلف كموجةٍ عاتية.

8

بعد مرور شهر واحد بالضبط، جلستُ في قصري، أشرب كوبًا من عصير الليمون. شعرتُ بالألم في ظهري، لكن الجروح الناتجة عن الشظايا أخذت تلتئم. لم يكن الأمر سيئًا إلى هذا الحد.

لم تُعر مونيكا كثيرًا من الاهتمام للجبيرة على ذراعها. أمسكتْ بكوبها، وهي جالسة في الغرفة التي التقيتُها بها لأول مرة.

لم يكن العرض الذي قدَّمَتْه لي اليوم غير متوقع.

قلت:

- أخشى أنك أتيت إلى الشخص غير المناسب. يجب عليَّ أن أرفض.

قالت مونيكا:

- فهمت.

قال جي سي بنبرة إعجاب؛ حيث كان متكئًا على الجدار:

- لقد تدرَّبَتْ على التجهُّم، وتُحرز تقدمًا.

قالت مونيكا:

- لو أنك تفحصت الكاميرا ...

قلت:

- عندما رأيتُها آخر مرة، كانت محطمةً إلى ست عشرة قطعة على الأقل. لم يتبقَّ منها شيء يمكن تفحُّصه.

ضيَّقت عينَيها في وجهي. كانت ما تزال تشكُّ أنني أسقطتُها عامدًا، مع وقوع الانفجار. كما زاد الأمر سوءًا كون جثة رازون قد تفحَّمَت بدرجة يصعب معها التعرُّف عليه، على إثر الانفجارات التالية، والحريق الذي التهم المبنى. تعرض أي شيءٍ يحمله بحوزته - أي أسرار توضح كيفية عمل الكاميرا حقًّا - إلى الدمار.

ملتُ إلى الأمام وتابعتُ قائلًا:

- عليَّ الاعتراف أنني لا أشعر بالأسى بدرجةٍ كبيرة لاكتشاف أنكم عاجزون عن إصلاح ذلك الشيء. لستُ متأكدًا من أن العالَم مُستعد لتلقِّي المعلومات التي قد يُقدمها.

أو على الأقل لست متأكدًا من أنَّ العالَم مُستعد لأن يتحكَّم أشخاص مثلكم في تلك المعلومات.

- لكن ...

- مونيكا، لا أعرف ما الذي يُمكنني فعله، ولم يقم به مهندسوك. علينا أن نتقبل ببساطة حقيقة أنَّ هذه التكنولوجيا ماتت مع رازون، إذا كان ما صنعه أي شيءٍ بخلاف كونه خدعة. لأكون صادقًا، فأنا أزداد اقتناعًا أنها كانت مجرد خدعة. تعرَّض رازون للتعذيب بما يفوق قدرة عالِمٍ بسيط على التحمُّل، وعلى الرغم من ذلك فهو لم يمنح الإرهابيين ما أرادوه، وذلك لأنه لم يستطع منحهم شيئًا. كان كلُّ شيءٍ مجرد خدعة.

تنهدتْ، ونهضت واقفة. قالت:

- أنت تُفوِّت الفرصة لتحقيق المجد يا سيد ليدز.

نهضتُ قائلًا:

- يا عزيزتي، من المفترض أن تكوني قد علمتِ الآن أنني حققتُ المجد بالفعل، لكنني استبدلتُه مقابل حياةٍ عادية، وقدرٍ من الصحة العقلية.

قالت:

- عليك أن تطلب استرداد ما دفعته، لأنني لستُ متأكدة أنني وجدتُ لدَيك أيًّا منهما.

تناولتْ شيئًا من جيبها، وألقتْهُ على الطاولة. كان مظروفًا ضخمًا. التقطتُه وسألتُها:

- ما هذا؟

قالت:

- وجدنا فيلمًا في الكاميرا. تمكنَّا من الحصول على صورةٍ واحدة فقط.

ترددتُ، ثم أخرجتُ الصورة. كانت بالأبيض والأسود، مثل باقي الصور. أظهرتِ الصورةُ رجلًا ملتحيًا يرتدي ثوبًا، جالسًا على شيءٍ لم أتمكن من رؤيته. كان وجهه لافتًا للنظر، ليس بسبب هيئته، بل لأنه كان ينظر إلى الكاميرا مباشرة. كاميرا لن تُوجَد هناك قبل ألفَي عام.

قالت:

- نعتقد أنها تعود إلى وقت دخول المسيح إلى القدس. كما يبدو أن الخلفية هي باب الرحمة. من الصعب تمييز الأمر.

وقفت آيفي بجواري، وهمست قائلة:

- يا إلهي!

تلك العينان ... حدقتُ في الصورة. تلك العينان.

خاطب جي سي آيفي قائلًا:

- ظننتُ أنه يتعين علينا ألا نُقسِم باسم الرب في وجودك.

أراحت أناملها على الصورة بإجلال، وقالت:

- لم يكن هذا قسمًا، بل تعريف.

قالت مونيكا:

- إنها بلا معنى، لسوء الحظ. لا توجد طريقة لإثبات من يكون. حتى لو تمكنًا من ذلك، فلن تفيد بشيءٍ في إثبات أو دحض المسيحية. كان هذا قبل مقتل الرجل. من بين كل اللقطات التي كان يمكن لرازون الحصول عليها ...

هزت رأسها.

أعدتُ الصورة داخل المظروف قائلًا:

- هذا لا يُغير شيئًا من رأيي.

قالت مونيكا:

- لم أعتقد أنه سيفعل. اعتبِرْهُ أجرَك.

- لم أحقق لكم الكثير، في نهاية المطاف.

خرجتْ من الغرفة قائلة:

- كما لم نحقق نحن لك الكثير. طاب مساؤك يا سيد ليدز.

فركتُ المظروف بإصبعي، مصيخًا السمع بينما ويلسون يقود مونيكا إلى الباب، قبل أن يغلقه خلفها. تركتُ آيفي وجي سي يتبادلان الحديث حول إطلاقه للسباب، وسرتُ عبرَ المدخل، ثم صعدت الدرَج. لففتُ حول الدرَج ويدي على الدرابزين، حتى وصلتُ ردهة الطابق العلوي.

كانت غرفة مكتبي في نهاية الردهة. أضاء الغرفة مصباح واحد على المكتب، وقد أُغلقت الستائر بينما ساد الظلام في الخارج. تقدمتُ من مكتبي، وجلست. جلس توبياس على أحد المقعدَين الآخرين بجانبه.

التقطتُ كتابًا - كان الأخير في كومة ضخمة - وبدأتُ أتصفحه.

كانت صورة ساندرا، التي حصلوا عليها في محطة القطار، معلقةً على الحائط بجواري.

سألني توبياس:

- هل اكتشفوا الأمر؟

قلت:

- لا، هل اكتشفتَ أنت شيئًا؟

- لم يكن الأمر متعلقًا بالكاميرا قط، أليس كذلك؟

ابتسمتُ وأنا أقلِّب الصفحة. قلت:

- لقد فتشتُ جيوبه بعد وفاتِهِ مباشرة، وجرح شيء ما أصابعي. الزجاج المكسور.

عبس توبياس، لكنه ما لبث أن ابتسم بعد لحظة من التفكير. قال:

- مصابيح مهشمة؟

أومأت برأسي قائلًا:

- لم يكن الأمر متعلقًا بالكاميرا، بل الفلاش. استخدم رازون الفلاش حينما التقط الصور في الكنيسة، حتى تحت ضوء الشمس في الخارج. حتى عندما كان ما يُريد تصويره مضاءً على نحوٍ جيد، وحتى وهو يحاول التقاط صورة شيءٍ حدث خلال النهار، مثل ظهور يسوع خارج القبر بعد قيامته. هذا خطأ لا يقترِفه مصور

ماهر. وقد كان مصورًا بارعًا، إذا حكمنا من خلال الصور المعلقة في شقته. كان ماهرًا فيما يتعلق بالإضاءة.

قلبت الصفحة، ثم مددتُ يدي في جيبي وأخرجت شيئًا ما، ووضعته على الطاولة. فلاشًا قابلًا للفصل: ذلك الذي أزلتُه من الكاميرا قبل الانفجار مباشرة. قلت:

- لستُ متأكدًا ما إذا كان الأمر متعلقًا بآلية عمل الفلاش، أم بالمصابيح، لكنني أعلم أنه كان يبدل المصابيح، ليمنع ذلك الشيء من العمل حينما لم يكن هو يرغب في ذلك.

قال توبياس:

- رائع.

أجبته قائلًا:

- سنرى. هذا الفلاش لا يعمل. لقد جربتُه. لا أعرف ما خطبُه. أتعرف كيف كانت الكاميرا تستمر في العمل لبعض الوقت حينما كان يستخدمها أولئك التابعون لمونيكا؟ حسنًا، تحتوي عدة أنواع من فلاش الكاميرا على مصابيح متعددة كهذا. أعتقد أن مصباحًا واحدًا من بينها فحسب له علاقة بالآثار الزمنية. كانت المصابيح الخاصة تحترق سريعًا، ربما بعد عشر لقطات مثلًا.

قلبت عدة صفحات.

أخيرًا، قال توبياس:

- أنت تتغير يا ستيفن. لقد لاحظتَ هذا من دون آيفي، ومن دون أيٍّ منّا. كم سيمرُّ من الوقت قبل ألا تعود بحاجةٍ إلينا؟

قلت:

- أتمنى ألا يحدث ذلك أبدًا. لا أريد أن أكون ذلك الرجل.

- ومع ذلك، فأنت تطاردها.

همستُ قائلًا:

- ومع ذلك أفعل.

اقتربتُ منها بمقدار خطوة. عرفت القطار الذي استقلتهُ ساندرا. كانت هناك تذكرة مطلَّة من جيب معطفها. تمكنتُ بالكاد من تمييز الأرقام.

كانت قد ذهبت إلى نيويورك. ظللتُ طوال عشر سنوات أبحث عن هذا الجواب ، الذي كان مجرد جزءٍ صغير من عملية بحث أكبر كثيرًا. بَرِدَ أثرُها منذ عقدٍ من الزمان، لكنه كان شيئًا ما على أي حال.

لأول مرة منذ سنوات، أحرزتُ تقدمًا. أغلقت الكتاب، واعتدلتُ في جلستي، ورفعتُ نظري إلى صورة ساندرا. كانت جميلة. فائقة الجمال.

أصدر شيءٌ ما حفيفًا في الغرفة المظلمة. لم أتحرك أنا ولا توبياس، بينما دخل رجل قصير أصلع، وجلس على المقعد الخالي بجوار المكتب. قال:

- اسمي أرنو. أنا فيزيائي مُتخصِّص في الميكانيكا الزمنية، والسببية، ونظريات الكم. أعتقد أن لديك مهمة من أجلي؟

وضعتُ الكتاب الأخير فوق كومة الكتب التي قرأتُها خلال الشهر الماضي. قلت:

- أجل، يا أرنو. لديَّ مهمة لك بالفعل.

في الأعماق

الجزء الأول

1

عقدت آيفي ذراعيها ودارت حول الطاولة، وسألتْ:

- ما هي نواياها؟

كان شعرها الأشقر اليوم مرفوعًا في كعكة أعلى رأسها منحتها مظهرًا صارمًا، وانغرست فيها عدة دبابيس للشعر بدت في غاية الخطورة.

حاولتُ تجاهُلها، من دون جدوى.

تساءل توبياس:

- ربما كانت استغلالية، تبحث عن الثروة؟

كان مهيبًا ذا بشرة داكنة، وقد سحب كرسيًّا إلى الطاولة كي يتمكن من الجلوس بجواري. ارتدى بدلته المعتادة غير الرسمية من دون ربطة عنق، وانسجم تمامًا مع هذه الغرفة ذات الإضاءة البللورية وموسيقى البيانو. واصل قائلًا:

- هناك نساء كثيرات لا يرَين سوى ثراء ستيفن، بدلًا من براعته.

لوَّحت آيفي بيدها باستهزاءٍ قائلة:

- إنها ابنة أحد أقطاب الاستثمار العقاري. تكاد الثروة تتدفق من أنفها مع كل زفير.

انحنت آيفي بالقرب من الطاولة، وهي تتفحص رفيقتي على العشاء. تابعتْ حديثها قائلة:

- كما يبدو أن أنفها هذا، بالمناسبة، قد خضع لكثيرٍ من عمليات التجميل، تمامًا مثل صدرها.

أجبرتُ نفسي على الابتسام، محاولًا أن أُبقي تركيزي منصبًّا على رفيقتي. كنت قد ألفتُ آيفي وتوبياس، وصرت أعتمد عليهما.

لكن الاستمتاع بموعد عشاءٍ قد يصبح أمرًا في غاية الصعوبة، عندما ترافقك هلاوسك.

قالت رفيقتي، سيلفيا:

- إذن ... أخبرني مالكوم أنك محقق من نوعٍ ما؟

وجهت إليَّ ابتسامة خجولة. بدت متألقة وهي تتزيَّن بالماس وترتدي فستانًا أسود ضيقًا. كانت سيلفيا إحدى معارف صديق مشترك، يبالغ في قلقه عليَّ بدرجة زائدة. تساءلتُ عن مقدار البحث الذي أجرتْه سيلفيا عني، قبل إبداء موافقتها على لقائي من دون سابق معرفة.

قلت:

- محقق؟ أجل، أعتقد أنه يمكنك قول ذلك.

أطلقت سيلفيا ضحكةً أشبه بزقزقة الطيور، وقالت:

- لقد قلتَ هذا للتو بالفعل!

أدارت آيفي عينَيها في محجرَيهما، رافضة الجلوس في المقعد الذي سحبه توبياس من أجلها.

قلت لسيلفيا:

- لكن في الحقيقة، ربما تمنحك كلمة «محقق» فكرة غير صحيحة. فأنا أساعد بعض الأشخاص ممن يُعانون من مشاكل متخصصة للغاية فحسب.

قالت سيلفيا:

- مثل باتمان!

بصق توبياس عصير الليمون الذي يتناوله، ناشرًا الرذاذ أمامه. تبقّع مفرش الطاولة، على الرغم من أن سيلفيا لم تستطع رؤية ذلك بالطبع.

قلت:

- ليس على ذلك النحو بالضبط.

تناولَت سيلفيا رشفةً أخرى من نبيذها، وقالت:

- كنت أمزح فحسب.

كانت قد تناولت الكثير من النبيذ، بالنسبة إلى كونها بدأت للتوّ في وجبتها تلك. واصلت قائلة:

- ما نوعية المشاكل التي تحلُّها؟ مشكلات الكمبيوتر مثلًا؟ مشاكل أمنية؟ مشاكل متعلقة بالمنطق؟

- أجل، جميع هذه الثلاث، علاوة على غيرها أيضًا.

قالت:

- إن ذلك ... لا يبدو لي متخصصًا للغاية.

كانت محقة. قلت:

- يصعب شرح الموضوع. أنا متخصص بالفعل، لكن في مجالات كثيرة.

- مثل ماذا؟

- أي شيء. يتوقف ذلك على نوع المشكلة.

قالت آيفي وذراعاها لا يزالان معقودان:

- إنها تخفي شيئًا. ها أنا أحذرك. لديها نوايا خفية.

أجبتها قائلًا:

- هذا حال الجميع.

عبستْ سيلفيا حينما أزالت السلاطة نادلةٌ تحمل على ذراعها فوطة أطباق، وسألتني:

- ماذا؟

قلت:

- لا شيء.

تململت سيلفيا في مقعدها، وتناولت مشروبًا آخر. قالت:

- كنتَ تحادثهم، أليس كذلك؟

- إذن فقد قرأتِ عنِّي بالفعل.

- يتعين على الفتاةِ التزام الحرص، كما تعلم. فهناك مخابيل حقيقيِّين في هذا العالم.

قلت:

- أؤكد لك، كل شيء تحت السيطرة. تتراءى لي أشياء، لكنني أُدرك تمامًا ما هو حقيقي، وما ليس كذلك.

قال توبياس من مكانه بجانبي:

- احترس يا ستيفن. هذا مجال خطر للحديث في أول موعد لكما. ربما يمكنك الحديث عن الفن المعماري بدلًا من ذلك؟

أدركتُ أنني أطرُق طبق الخبز بشوكتي، فتوقفتُ عن ذلك.

واصل توبياس الحديث بأسلوبه الهادئ الباعث على الاطمئنان، وقال:

- هذا المبنى من تصميم رينتون ماكاي. لاحظ طبيعة الغرفة المفتوحة، مع التركيبات المتحركة، والتصميمات الهندسية التي على شكل نقوش متصاعدة. يمكنهم إعادة تصميمه من الداخل كلَّ عام

أو نحو ذلك، لخلْق مطعمٍ به مكان لتناول الطعام، علاوة على التركيبات الفنية.

قلت:

- إن طبيعة حالتي النفسية ليست مثيرة للاهتمام إلى هذا الحد في الواقع، على عكس هذا المبنى. هل تعلمين أن من بناه هو رينتون ماكاي؟ لقد ...

قاطعتني سيلفيا قائلة:

- إذن فأنت ترى أشياء. مثل الرؤى؟

تنهدتُ قائلًا:

- ليس الأمر بهذه الدرجة من المهابة. بل أرى أشخاصًا لا وجود لهم في الواقع.

قالت:

- مثل ذلك الرجل، في الفيلم.

- أجل، بنفس تلك الطريقة. لكنه كان مجنونًا، بينما أنا لست كذلك.

قالت آيفي:

- أوه، أجل. يا لها من طريقة رائعة كي تجعلها تشعر بالارتياح! اشرح لها بالتفصيل كيف أنك لست مجنونًا.

أجبتُها بحدة:

- ألا يفترض أن تكوني معالجةً نفسية؟ سيكون من الرائع أن تُقللي من سخريتك.

كان ذلك مطلبًا صعبًا بالنسبة إلى آيفي؛ إذ كانت السخرية بمثابة لغتها الأم، على الرغم من طلاقتها أيضًا في «خيبة الأمل الشديدة»،

و«التعالي الطفيف». كما كانت أيضًا صديقةً مقربة. حسنًا، صديقة خيالية.

كانت لديها مشكلة فحسب فيما يتعلق بعلاقاتي مع النساء، منذ أن هجرتنا ساندرا على الأقل.

تأمّلتني سيلفيا وقد تصلبتْ في جلستها، وعندها فقط أدركتُ أنني تحدثتُ مع آيفي بصوتٍ مرتفع. عندما لاحظتْ سيلفيا أنني أنظر إليها، ألصقت على وجهها ابتسامةً زائفة تُضاهي زيف الصبغة الحمراء التي لونت شفتيها. جفلتُ في أعماقي. كانت جذابةً للغاية، على الرغم من مزاعم آيفي، وبغضِّ النظر عن مدى ازدحام حياتي، إلا أنني كنت أشعر أيضًا بالوحدة الشديدة.

قالت سيلفيا:

- إذن ...

ثم انقطعتْ عن الحديث.

وصلتِ المقبلات، وتناولَت هي لفائف خس أنيقة، بينما اخترتُ أنا طبق دجاج يبدو آمنًا. قالت:

- إذن، آه ... هل كنت تُبادل أحدهم الحديث الآن؟ شخص خيالي؟

بدا من الواضح أنها تعُدُّ سؤالها ذاك نوعًا من التهذيب. ربما كان «كتاب آداب سلوك السيدة المهذبة» يحوي فصلًا عن كيفية تبادل حديث خفيف عن إعاقات الرجل النفسية.

قلت:

- أجل، كانت هذه إحداهن. آيفي.

- هل هي سيدة؟

قلت:

- إنها امرأة. تصبح سيدة في بعض الأحيان فقط.

أصدرت آيفي صوتًا من أنفها يُعبر عن الاستهجان، قائلة:

- درجة نضجك مذهلة يا ستيف.

سألتني سيلفيا، من دون أن تكون قد لمست طعامها بعد:

- كم يبلغ عدد الإناث من بين شخصياتك؟

قلت:

- إنهم ليسوا شخصياتي، بل هم منفصلون عني. لا أعاني من اضطراب الهوية الانفصالي. إذا كنتُ أعاني من شيءٍ ما، فهو الشيزوفرينيا.

كان هذا الموضوع مثار جدلٍ بين علماء النفس. فعلى الرغم من هلاوسي، إلا أنني لم أكن متوافقًا مع مواصفات مريض الشيزوفرينيا. لم أكن متوافقًا مع مواصفات أي حالةٍ على الإطلاق. لكن لِمَ كان ذلك الأمر مهمًّا؟ فقد كانت حياتي تسير على ما يُرام، في معظم الأحيان.

وجهتُ ابتسامةً لسيلفيا، التي ما زالت لم تمسَّ طعامها بعد. قلت:

- ليس للأمر أهمية كبيرة. ربما تكون جوانبي مجرد تأثيرٍ ناتجٍ عن طفولة وحيدة، قضيتُ معظمها بمفردي.

قال توبياس:

- هذا جيد. فلتنتقل بالحديث الآن، بعيدًا عن غرابة أطوارك، وابدأ في الحديث عنها هي.

قالت آيفي:

- أجل، اكتشف ما تُخفيه.

سألتها:

- هل لديك أي أشقاء أو شقيقات؟

ترددَتْ سيلفيا، ثم التقطتْ أدوات المائدة خاصتها أخيرًا. لم يسبق أن سعدتُ لهذه الدرجة من قبل لرؤية شوكةٍ تتحرك. قالت:

- لديَّ شقيقتان، كلتاهما أكبر منّي. تعمل ماريا كمستشارةٍ بإحدى شركات التسويق، أما جورجيا فتعيش في جُزر كايمان، وتعمل محامية ...

استرخيتُ بينما واصلتْ هي الحديث. رفع توبياس كأس عصير الليمون على سبيل التهنئة لي، لكَوني تفاديتُ وقوع كارثة.

قالت آيفي:

- سيتعين عليك أن تُحادثها عنا في نهاية المطاف؛ إذ إننا لسنا شيئًا يمكنها تجاهله تمامًا.

قلت بصوت خافت:

- أجل، لكن في الوقت الحالي سأكتفي بالخروج سالمًا من موعدنا الأول.

ترددتْ سيلفيا في حديثها، ونظرت إلينا قائلة:

- ماذا قلت؟

أجبتها قائلًا:

- لا شيء.

قال توبياس:

- كانت تتحدَّث عن والدها، وهو مصرفي متقاعد.

سررتُ لأن أحدَنا كان منتبهًا، وسألتها:

- كم يبلغ طول الفترة التي قضاها وهو يعمل في المجال المصرفي؟

- ثمانيةً وأربعين عامًا! ظللنا نقول إنه ليس بحاجة إلى الاستمرار ...

ابتسمتُ، وبدأتُ أقطع دجاجتي بينما هي تتحدَّث.

ارتفع صوت من خلفي قائلًا:

- المحيط آمن.

جفلتُ، ونظرتُ وراء كتفي. وقف جي سي هناك مرتديًا زي عاملٍ في المطعم، حاملًا صينيةً عليها أطباق مُتسخة. كان جي سي ممشوق القوام، قاسيًا، ذا فكٍّ مربع الهيئة، كما أنه يقتل بدماء باردة. أو هذا ما يدَّعيه. أعتقد أنه يقصد أنه يُحب قتل البرمائيات من ذوات الدم البارد.

كانت هذه هلاوس، بالطبع: جي سي، والأطباق التي يحملها، والمسدس الذي أخفاه تحت سترة العمل البيضاء على نحو مستتر... كلها هلاوس. على الرغم من ذلك، كان قد أنقذ حياتي عدة مرات.

لكن هذا لم يعنِ أنني سررتُ لرؤيته.

همستُ غاضبًا:

- ماذا تفعل هنا؟

قال جي سي:

- أنا هنا للاحتراز من القتلة.

- أنا في موعد عشاء!

قال جي سي:

- مما يعني أنك ستكون مُشتَّتَ الانتباه، وهو الوقت المثالي لعملية اغتيال.

- طلبتُ منك البقاء في المنزل!

- أجل، أعرف هذا. لا بد أن القتلة أيضًا سمعوا ذلك. لذا كان عليَّ المجيء.

وكَزَني بمرفقه، فأحسستُ بالوكزة. قد يكون خياليًّا، لكنني شعرتُ وكأنه حقيقي تمامًا. قال:

- إنها جميلة يا سكيني. أحسنت!

قالت آيفي بنبرة ساخرة:

- إن نصفها من البلاستيك!

قال جي سي:

- نفس الشيء ينطبق على سيارتي، لكنها لا تزال لطيفة المظهر.

وجَّه ابتسامة عريضة لآيفي، ثم مال نحوي قائلًا:

- هل تظن أنه بمقدورك ...

أومأ برأسه نحو آيفي، ثم رفع يدَيه إلى صدره، وحرَّكهما كما لو أنه يقبض على شيء ما.

قالت آيفي ببرود:

- جي سي، هل حاولتَ للتوِّ أن تجعل ستيف يتخيلني بصدرٍ أكبر حجمًا؟

هز جي سي كتفَيه.

قالت:

- أنت أبغض شخصٍ خيالي على سطح هذا الكوكب. حقًّا، يجب أن تفخر بنفسك. لم يسبق وأن تخيَّل شخص شيئًا أكثر دناءة على الإطلاق.

كانت العلاقة بينهما لا تفتأ تتَّصِل وتنقطع باستمرار. وقد انقطعت مرة أخرى على ما يبدو، من دون أن أنتبه. لم تكن لديَّ أي فكرة على الإطلاق عن كيفية التعامُل مع هذا الأمر؛ إذ كانت هذه هي المرة الأولى التي يرتبط فيها جانبان من جوانبي بعلاقة عاطفية.

من الغريب أن جي سي لم يكن قادرًا على الإطلاق على التفوُّه بالكلمات المتعلقة بتخيُّلي لآيفي وهي بهيئةٍ جسدية مختلفة. لم يكن يُحب مواجهة حقيقة كونه مجرد هلوسة؛ إذ كان ذلك يُشعره بالانزعاج.

واصل جي سي تفحُّص الغرفة. وعلى الرغم من مشاكله الواضحة، إلا أنه كان يتمتع بعينٍ ثاقبة، وكان ماهرًا للغاية فيما يتعلق بالجوانب الأمنية. كان يلحظ أشياء تفوتني أنا، لذا ربما كان من الجيد كونُه قرر الانضمام إلينا.

سألته:

- ماذا هناك؟ هل تُوجد مشكلة؟

قالت آيفي:

- إنه مريض بجنون الشك فحسب. أتذكر عندما ظنَّ رجل البريد إرهابيًّا؟

توقف جي سي عن مسح الغرفة بعينَيه، مُركزًا انتباهه بشدة على امرأة تجلس على بُعد ثلاث طاولات. كانت ذات بشرةٍ داكنة، وترتدي بدلةً نسائية أنيقة. استدارت نحو النافذة ما إن لاحظتُها. كان سطح تلك النافذة يعكس جانِبَنا من المكان، وقد حلَّ الظلام بالخارج، لذا كان من المحتمَل أن تكون لا تزال تراقبنا.

ابتعد جي سي عن طاولتنا قائلًا:

- سأتحقَّق من الأمر.

قال توبياس:

- ستيفن . . .

عُدت بنظري إلى طاولتنا، فوجدتُ سيلفيا تُحدق بي مرةً أخرى، وقد تدلَّت شوكتها من يدِها وكأنما نَسِيَتها، وعيناها مُتسعتان.

أجبرتُ نفسي على إطلاق ضحكة خافتة، وقلت:

- معذرة، لقد تسبب شيء ما في تشتيت انتباهي.

- ما هو ذلك الشيء؟

- لا شيء. كنتِ تقولين شيئًا ما عن والدتك ...

- ما الذي شتَّت انتباهك؟

أجبتُها على مضض قائلًا:

- أحد جوانبي.

- تقصد إحدى هلاوسك.

- أجل. لقد تركتُه في المنزل، لكنه أتى من تلقاء نفسه.

حدَّقَت سيلفيا إلى طعامها بتركيز. قالت:

- هذا مُثير للاهتمام. فلتُخبرني بالمزيد.

كانت تحاول التزام التهذيب مرةً أخرى. ملتُ إلى الأمام قائلًا:

- ليس الأمر كما تعتقدين يا سيلفيا. إن جوانبي مجرد أجزاء منِّي، وهم أوعيةٌ لمعارفي المختلفة. كما لو أنهم ... ذكريات تتجول في الجوار.

قالت آيفي:

- لا يبدو عليها الاقتناع. أنفاسها تتسارَع، وأصابعها متوترة ... ستيف، إنها تعرف عنك أكثر مما تعتقدُ. إنها لا تبدو مصدومة، بل تبدو وكأن أحدًا دبر لها موعدًا مع سفَّاح، وتُحاول هي الحفاظ على هدوئها.

أومأتُ برأسي عند سماع تلك المعلومات، وقلت:

- لا شيء يدعو إلى القلق.

هل سبق أن قلتُ ذلك بالفعل؟ واصلتُ الحديث:

- كل جانب من جوانبي يساعدني بطريقةٍ ما. آيفي طبيبة نفسية، وتوبياس مؤرخ. إنهما ...

رفعت سيلفيا عينَيها والتقت نظرتُها بعينيَّ، قائلة:

- ماذا عن ذلك الذي وصل للتو؟ ذلك الذي أتى من دون توقُّع منك؟

قال توبياس:

- فلتكذِب عليها.

قالت آيفي:

- اكذب. أخبِرها أنه راقص باليه، أو شيء من ذلك القبيل.

بدلًا من ذلك، قلت:

- إن جي سي عضو سابق بقوات العمليات الخاصة بالبحرية. وهو يُساعدني في مثل هذا النوع من الأمور.

- هذا النوع من الأمور؟

- الموضوعات الأمنية، والعمليات السرية، وفي أي وقتٍ قد أتعرَّض فيه للخطر.

- هل يطلُب منك قتل الناس؟

- الأمر ليس على هذا النحو. حسنًا، إنه على هذا النحو نوعًا ما. لكنه عادة ما يمزح.

تأوهتْ آيفي.

نهضَت سيلفيا واقفةً وقالت:

- معذرة، أنا بحاجةٍ إلى الذهاب إلى الحمام.

- بالتأكيد.

تناولت سيلفيا حقيبتَها وشالها، ورحلتْ.

سألتُ آيفي:

- ألن تعود؟

- هل تمزح؟ لقد أخبرتَها للتوّ أن رجلًا خفيًّا يُطالبك بقتل الناس ظهر على غير رغبة منك.

وافقها توبياس قائلًا:

- لم تكن واحدةً من أكثر تفاعلاتنا سلاسة.

تنهدتْ آيفي، وجلستْ في مقعد سيلفيا قائلة:

- على الأقل هذا أفضل من آخِر مرة. لقد صمدتْ ... لِكَم من الوقت؟ نصف ساعة؟

ألقى توبياس نظرةً خاطفة على ساعة المطعم ذات الصندوق الطويل وقال:

- عشرين دقيقة.

همستُ قائلًا:

- سنحتاج إلى التغلُّب على هذا الأمر. لا يمكن أن نستمر في الانهيار في كل مرةٍ قد ينطوي فيها الموضوع على الرومانسية.

قالت آيفي:

- لم تكن بحاجةٍ إلى التصريح بما قلتَه عن جي سي. كان بوسعك اختلاق شيءٍ ما، لكنك أخبرتَها بالحقيقة بدلًا من ذلك. حقيقة جي سي المخيفة، والمثيرة للحرج.

تناولتُ مشروبي: عصير الليمون، في كأس نبيذ فاخر. أدرتُ الكأس في يدي قائلًا:

- إن حياتي زائفة يا آيفي. أصدقاء زائفون، ومحادثات وهمية. في كثير من الأحيان، في يوم إجازة ويلسون، لا أتبادل الحديث مع شخصٍ واحد حقيقي. أعتقد أنني لا أريد الشروع في علاقةٍ أبدؤها بالأكاذيب.

جلس ثلاثتنا في صمت، حتى عاد جي سي بخُطًى مسرعة، مارًّا بجوار عامل المطعم الحقيقي وهما يتجاوز كلٌّ منهما الآخر.

ألقى نظرةً خاطفة على آيفي وقال:

- ماذا؟ هل جعلتِ الفتاة تهرب بالفعل؟

رفعتُ له كأسي.

أراح توبياس كفَّه على كتفي قائلًا:

- لا تقسو على نفسك إلى هذا الحد يا ستيفن. إن ساندرا امرأة يصعب نسيانها، لكن الندوب ستُشفى في نهاية المطاف.

قلت:

- الندوب لا تشفى يا توبياس. فهذا هو تعريف كلمة ندبة.

أدرتُ كأسي مُتأملًا انعكاس الضوء على مكعبات الثلج.

قال جي سي:

- أجل، رائع، بصرف النظر عن المشاعر والمجازات وما إلى ذلك، انظر، لدينا مشكلة.

رفعتُ له عيني.

أشار جي سي قائلًا:

- تلك المرأة التي شاهدناها في وقت سابق. لقد ...

انقطع عن الحديث. كان مقعد المرأة خاليًا، وقد تركت نصفَ وجبتها من دون أن تتناول منها شيئًا.

سألتُ:

- هل حان وقت الرحيل؟

قال جي سي:

- أجل. في الحال.

2

قال جي سي بينما نحن نُسرِع خارِجين من المطعم:

- زن ريجبي، تعمل في مجال الأمن الخاص. وفي هذه الحالة، تعني تلك الكلمات الأنيقة كونها «قاتلًا أجيرًا». إن قائمة الأفراد الذين يُشتبَهُ أنها قتلتهم بطول ملفِّ حالتك النفسية يا سكيني. ولا تُوجد أدلة ضدَّها. إنها بارعة في عملها.

قالت آيفي من مكانها عند جانبي الآخر:

- انتظر، هل تقول إن قاتلًا ظهر بالفعل على العشاء؟

أجبتها قائلًا:

- يبدو هذا.

لم يكن بوسع جي سي معرفة شيءٍ سوى ما أعرفه أنا بالفعل، لذا إذا كان يقول هذه الأشياء، فلا بد أن مصدرها هو أعماق ذاكرتي. كنت أطَّلِع بشكلٍ دوري على قوائم العملاء السريين والجواسيس والقتلة المحترفين، من أجل المهام التي أضطلع بها.

قالت آيفي من دون النظر إلى جي سي:

- رائع. سيُصبح العيش معه لا يُطاق الآن.

فِي طريقنا إلى الخروج من المطعم، وبإيعازٍ من جي سي، ألقيتُ نظرة على قائمة الحجز بالمطعم. ألقتْ تلك النظرة الخاطفة البسيطة بالمعلومات فِي عقلي، وأتاحت لباقي جوانبي إمكانية الوصول إليها.

اختار جي سي اسمًا من القائمة وقال:

- كارول وستمنستر. لقد استخدمَتْ هذا الاسم المستعار من قبل. لقد كانت زن بكل تأكيد.

توقفنا عند منصة عاملِ الفندق بالخارج، بينما السيارات العابرة تُصدر هسيسًا خلال مرورها على الطريق المبتل بفعل المطر هذا المساء. خفف الطقس من حدة الرائحة المعتادة للمدينة، بحيث صارت رائحتها أشبهَ بمُشردٍ اغتسل حديثًا، بدلًا من مشرد لم يغتسل. طلب رجلٌ تذكرة سيارتنا بموقف السيارات، لكنني تجاهلتُه، وأرسلتُ رسالةً نصية لويلسون، طلبتُ منه فيها إحضار سيارتنا.

قلت وأنا أرسل الرسالة النصية:

- جي سي، لقد ذكرتَ أنها أجيرة. لصالح من تعمل؟

قال جي سي:

- لستُ متأكدًا. آخر ما بلغني هو أنها تبحث عن ربِّ عملٍ جديد. زن ليست أحد القتلة الذين يتم استئجارهم لعمليةٍ عشوائية فحسب، بل تُوظفها الشركات وتُبقيها أجيرةً على المدى الطويل، ويستعينون بها لترتيب الفوضى، وحلِّ المشاكل بطرُق ملتبسة من الناحية القانونية.

كنت أعرف كلَّ هذا في أعماقي، لكن كان على جي سي إخباري بذلك. أنا لست مجنونًا، لكنني مُجزَّأ فحسب. لكن لسوء الحظ، فإن جوانبي المختلفة ... حسنًا، إنهم ينزعون نحو الاختلال

بعضَ الشيء. وقف توبياس جانبًا، مُغمغمًا أن ستان - الصوت الذي يسمعه في بعض الأحيان - لم يُحذره من المطر. تعمَّدَت آيفي بشكلٍ واضح تجنب النظر إلى سلسلة الثقوب الصغيرة التي أحدثتْها اليرقات في السياج القريب. هل كان الوضع دومًا بهذا السوء؟

هز توبياس رأسه، وانصرف عن التطلُّع إلى السماء قائلًا لي:

- يمكن أن تكون مجرد مصادفة. إن القتلة المحترفين يذهبون لتناول العشاء، مثل أي شخصٍ آخر.

قال جي سي:

- أعتقد أن هذا مُحتمَل. لكنني سأشعر بالضيق الشديد إذا كانت مجرد مصادفة.

سألته آيفي:

- هل تتطلَّع إلى إطلاق النار على شخصٍ ما هذه الليلة؟

- حسنًا، أجل، هذا بديهي. لكن ليس هذا هو كل ما في الأمر. فأنا أكره المصادفات. تُصبح الحياة أبسط كثيرًا، عندما يمكنك الافتراض فحسب أن الجميع يحاولون قتلك.

أرسل لي ويلسون رسالةً نصية: «اتصل أحد الأصدقاء القُدامى، ويريد الحديث معك. إنه في السيارة. ألديك مانع؟»

أرسلتُ له رسالة أنا أيضًا: «من يكون؟»

أجابني: «يول تشاي».

تجهمتُ. يول؟ هل كانت تلك القاتلة الأجيرة تابعةً له؟ أرسلتُ رسالةً نصية أخرى: «حسنًا».

أرسل لي ويلسون رسالة نصية: «سنصل بعد بضع دقائق».

أشار جي سي قائلًا:

- مرحى، انظر!

كانت سيلفيا بالقرب منَّا، تستقل سيارة مع رجلٍ يرتدي بدلة. جلين، الصحفي بجريدة «ذا ماج». أغلق باب السيارة لسيلفيا، ثم ألقى إليَّ نظرةً وهز كتفَيه وهو يقلب قُبعته القديمة، قبل أن يستقل السيارة من الجانب الآخر.

قالت آيفي:

- كنتُ على ثقة من أنَّ لدَيها نوايا خفية! كان الأمر مكيدة! أراهن أنها كانت تُسجل اللقاء بأكمله.

تأوهتُ. كانت «ذا ماج» من أسوأ أنواع الصحف الصفراء، مما يعني أنها تنشُر ما يكفي من الحقائق الممتزجة مع افتراءاتها، حتى يثِق بها الناس إلى حدٍّ ما. تجنبتُ اهتمام وسائل الإعلام السائدة معظم حياتي، لكن الصحف والمواقع الإخبارية انتبهت إليَّ مؤخرًا.

هز جي سي رأسه بانزعاج، ثم انطلق لاستطلاع المحيط بينما نحن في انتظار السيارة.

عقدت آيفي ذراعَيها بينما كنَّا نقف تحت المظلة مع عاملي الفندق، والمطر يهطل فوقنا. قالت:

- لقد حذرتُك أن هناك شيئًا ما في الأمر.

- أعرف هذا.

- عادة ما تكون أكثر تشكُّكًا من هذا. أخشى أن تكون قد نشأتْ لديك نقطة عمياء فيما يتعلق بالنساء.

- سأضع هذا في الاعتبار.

- كما أن جي سي شرع في مخالفة أوامرك مرةً أخرى. جاء من تلقاء نفسه، عندما تعمدتَ أنت بوضوح تركَه في المنزل؟ لم نتناقش قط بخصوص ما حدث في إسرائيل.

- لقد حللنا القضية. هذا هو كل ما حدث.

- لقد أطلق جي سي مُسدسك، يا ستيف. لقد أطلق النار - وهو ليس إلا جانبًا من جوانبك - على أشخاصٍ حقيقيين.

قلت:

- لقد حرك ذراعي فحسب، وأنا من قمتُ بإطلاق النار.

- هذا تداخُل بيننا لم يسبق وأن حدث من قبل.

التقت عيناها بعينيَّ، وواصلتْ قائلة:

- أنت تحاول العثور على ساندرا مرةً أخرى، وأعتقد أنك تعمَّدتَ تخريب هذا الموعد، كي يُصبح لديك عذرٌ لتفادي أي مواعيد مستقبلية.

- أنت تقفزين إلى الاستنتاجات.

قالت آيفي:

- أتمنّى أن يكون هذا هو كل ما في الأمر. كان لدينا نوع من التوازن يا ستيف، وكانت الأمور تسير على ما يرام. لا أريد القلق بشأن اختفاء بعض جوانبك مرةً أخرى.

أخيرًا، أتت سيارة الليموزين الخاصة بي، يقودها ويلسون، كبير خدمي. كنا في وقتٍ متأخِّر من المساء، في حين أن سائقي المعتاد يعمل في نوبات عادية تبلغ ثماني ساعات فحسب.

أتى جي سي راكضًا، محاولًا النظر من خلال النوافذ الداكنة. قال:

- من ذلك الجالس في الخلف؟

قلت:

- يول تشاي.

فرك جي سي ذقنه قائلًا:

- هاه.

سألته:

- هل تظن أنه متورط في الموضوع؟

- سأراهن على ذلك بحياتك.

رائع. حسنًا، دومًا ما يكون اللقاء بيول مثيرًا للاهتمام على الأقل. فتح لي عامل المطعم الباب، وتحركتُ لركوب السيارة، لكن جي سي وضع يده على صدري وأوقفني، وأخرج مُسدسه من جيبه وهو يُحدق بالداخل.

ألقيت نظرة سريعة على آيفي وأنا أُدير عَينيَّ في محجرَيهما، لكنها لم تكن تنظر تجاهي. بدلًا من ذلك، كانت تُراقب جي سي وهي تبتسِم بحنان. ما بال هذَين الاثنَين؟

تراجَع جي سي وأومأ برأسه، ورفع يدَه عن صدري. استرخى يول تشاي داخل سيارتي الليموزين، مُرتديًا بدلةً بيضاء ناصعة، وربطة عنق فضية، وحذاءً مصقولًا باللونَين الأبيض والأسود. فوق كل ذلك، كان يرتدي نظارةً شمسية ذات إطار مُرصَّع بالماس. بدا زيُّه غريبًا للغاية بالنسبة إلى رجل أعمال كوري في الخمسين من العمر، لكن بالنسبة إلى يول، كان هذا يُعَد زيًّا متحفظًا في الواقع.

مدَّ لي قبضتَه كي أضربها بقبضتي، وتحدَّث بلكنةٍ كورية ثقيلة إلى حدٍّ ما، قائلًا:

- ستيف!

كان ينطق الاسم «ستي- فوه».

واصل الحديث قائلًا:

- كيف حالك أيها الكلب المجنون؟

تركتُ جوانبي يستقلُّون السيارة أولًا، كي لا يُغلِق العامل عليهم الباب، وقلت:

- تعرضتُ للهجر. لم يدُم اللقاء لساعةٍ حتى.

- ماذا؟ ما خطب النساء هذه الأيام؟

ركبتُ السيارة وجلستُ، بينما اعتدل كلٌّ من جوانبي في مكانه. قلت:

- لا أدري. أعتقد أنهم يريدون رجلًا لا يُذكرهم بقاتلٍ متسلسل.

أجاب يول قائلًا:

- هذا مُثير للضجر. من تلك التي لا ترغب في مواعدتك؟ أنت صفقة رابحة! جسد واحد، وأربعون شخصًا. تنوُّعٌ لا نهائي.

لم يكن يفهم تمامًا كيف تعمل جوانبي المختلفة، لكنني غفرتُ له ذلك، لأنني أنا نفسي لم أكن متأكدًا على الدوام من كيفية عملها.

تركتُ يول يُقدم لي كوبًا من عصير الليمون. كانت مساعدتُه في حل مشكلته قبل بضع سنوات من أكثر القضايا التي تولَّيتُها إمتاعًا، وأقلها جهدًا، حتى لو أجبرَني ذلك على تعلُّم العزْف على الساكسفون.

أومأ يول برأسه نحو باقي الليموزين وسألني:

- كم عددهم اليوم؟

- ثلاثة فقط.

- هل الجاسوس موجود هنا؟

قال جي سي:

- أنا لا أتبع وكالة المخابرات المركزية، بل القوات الخاصة أيها الأحمق.

ابتسمَ يول ابتسامةً واسعة وراء نظارته الشمسية المبهرجة، وقال:

- هل هو منزعج لرؤيتي؟

أجبته:

- يمكنك قول ذلك.

اتسعت ابتسامة يول، ثم أخرج هاتفَه وضغط بعض الأزرار. قال:

- جي سي، لقد تبرعتُ للتوِّ بعشرة آلاف دولار باسمك لحملةِ بريدي لمنع عنف السلاح. ظننتُ أنك قد تُحب معرفة ذلك.

زمجر جي سي، زمجرةً حرفية.

تراجعتُ مستندًا إلى الوراء، وتفحصتُ يول بينما نحن في طريقنا بالسيارة. تبعتنا سيارة أخرى، مليئة بأتباع يول. كانَ يول قد أعطى ويلسون تعليمات، على ما يبدو، لأن هذا لم يكن الطريق إلى المنزل. قلت:

- أنت تتظاهر بمُسايرة جوانبي يا يول، في حين أن معظم الآخرين لا يفعلون ذلك. لِمَ هذا؟

استرخى في مقعده وسألني:

- الأمر ليس مجرد تظاهر بالنسبة لك، أليس كذلك؟

- بلى.

- إذن فهو ليس تظاهرًا بالنسبة لي أيضًا.

زقزق هاتفه بصوتِ عصفورٍ ما.

قال توبياس:

- في الواقع، هذا نداء النسر. يُفاجأ معظم الناس عند سماع صوته الحقيقي، إذ إن وسائل الإعلام الأمريكية تستخدِم نداء الصقر الأحمر الذيل عند عرض صورة النسر. لا يعتقدون أن صوت النسر

يبدو مهيبًا بما يكفي، لذا فنحن نكذِب على أنفسنا بخصوص هوية رمزنا الوطني ...

كان يول يستخدِم هذا الصوت كنغمة رنينٍ لهاتفه الجوال. بدا ذلك مثيرًا للاهتمام. أجاب الرجل الهاتف، وبدأ يتحدث باللغة الكورية.

قال جي سي:

- هل علينا التعامُل مع هذا المهرج؟

قالت آيفي وهي جالسة بجوار يول:

- أشعر بالميل إليه. علاوة على ذلك، أنت نفسك قلتَ إنه ربما كان متورطًا مع تلك القاتلة الأجيرة.

قال جي سي:

- أجل، حسنًا، يُمكننا استخلاص الحقيقة منه، باستخدام طريقة الإقناع القديمة، خماسية النقاط.

كوَّر يدَه على شكل قبضة، وضرب بها يده الأخرى.

قالت آيفي:

- أنت فظيع.

- ماذا في ذلك؟ إنه فائق الغرابة، لدرجة أنه قد ينتشي من الأمر.

أغلق يول هاتفه.

سألته:

- هل هناك أي مشكلات؟

- إنها أخبار عن أحدث ألبوماتي.

- أخبار جيدة؟

هزَّ يول كتفَيه. كان قد أصدر خمسة ألبومات موسيقية، أخفقت كلها على نحوٍ مُريع. حينما تبلغ ثروتك 1.2 مليار، نتاج حياةٍ من الاستثمارات البارعة في السلع، لن يمنعك شيءٌ بسيط مثل المبيعات السيئة لألبومات الراب خاصتك من إنتاج المزيد منها.

قال يول:

- إذن ... لديَّ مشكلة أحتاج فيها إلى المساعدة.

قال جي سي:

- أخيرًا! من الأفضل ألا ينطوي هذا على محاولة إجبار الناس على الاستماع إلى موسيقاه المريعة تلك!

توقف عن الحديث، ثم تابع قائلًا:

- في الواقع، إذا احتجنا إلى شكلٍ جديد من أشكال التعذيب ...

سألته:

- هل لهذه المهمة علاقة بامرأةٍ اسمها زن؟

عبس يول، وسألني:

- من؟

أجبته قائلًا:

- إنها قاتلة محترفة. كانت تُراقبني أثناء العشاء.

قال يول بنبرة مرحة:

- ربما ترغب في مواعدتك.

رفعتُ حاجبًا.

تابع يول الحديث:

- قد تنطوي مشكلتنا على بعض المخاطر، ولا يترفّع منافسونا عن توظيف مثل أولئك ... الأشخاص. لكنها لا تعمل لصالحي، أعدك بذلك.

قلت:

- هذه المهمة ... هل هي مثيرة للاهتمام؟

ابتسم يول ابتسامةً واسعة، وقال:

- أريدك أن تستعيد جثة.

قال جي سي:

- رائع.

قال توبياس:

- لا يكاد هذا يستحقُّ وقتنا.

قالت آيفي وهي تدرس تعبيرات يول:

- هناك المزيد.

سألتُ يول:

- ما هي العقبة في الموضوع؟

مال يول نحوي قائلًا:

- ليست الجثة هي المهمة، بل المهم هو ما تعرفه الجثة.

3

قرأ جي سي اللافتة الكائنة خارج منطقة الشركات، بينما نحن نجتاز البوابة الخارجية الخاضعة للحراسة، وقال:

- «معلومات الابتكار المتحدة». حتى أنا يُمكنني القول بأن هذا اسم غبي.

تردَّد للحظة، ثم تابع قائلًا:

- إنه اسم غبي، أليس كذلك؟

أجبته قائلًا:

- إن الاسم مباشر بعض الشيء.

قال يول:

- هذه الشركة أسَّسها مهندسون، ويديرها مهندسون، وللأسف أسماها مهندسون. إنهم في انتظارنا بالداخل. لاحظ، يا ستيف، أن ما أطلب منك القيام به يتجاوز واجبات الصداقة. إذا توليتَ هذا الأمر من أجلي، فسوف يعني هذا تسوية الدَّين الذي بيننا، بل ما هو أكثر حتى.

قلت على مضض:

- إذا كانت هناك قاتلة أجيرة متورطة في الموضوع بالفعل، يا يول، فلن يكون هذا كافيًا. لن أُجازف بحياتي كي أُسدي معروفًا.

- وماذا عن الثروة؟

قلت:

- أنا غني بالفعل.

- لا أعني الغِنى، بل الثروة. الاستقلال المادي التام.

جعلني ذلك أُمعن التفكير في الأمر. من الصحيح أنني أمتلِك المال، لكن هلاوسي كانت تتطلَّب الكثير من المساحة والتمويل: غرفًا عديدة في قصري، ومقاعد عديدة على متن الطائرة في كل مرة أسافر فيها، وأسطولًا من السيارات والسائقين كلما أردتُ الذهاب إلى مكان ما لفترة ممتدة من الوقت. ربما كان بوسعي شراء منزل أصغر، وإجبار جوانبي المتعددة على العيش في القبو، أو في أكواخٍ في الحديقة. لكن المشكلة هي أنهم عندما يصيرون تعساء، وعندما يأخذ الوهم في الانهيار، فإن الأمور ... تسوء بالنسبة لي.

أخيرًا بتُّ مسيطرًا على هذا الوضع، وبصرف النظر عن النظريات النفسية الملتوية التي تتحكَّم في سلوكي، فقد أصبحتُ الآن أكثر استقرارًا بكثيرٍ مما كنتُ عليه في البداية. وكنت أرغب في الإبقاء على هذا الحال.

سألته:

- هل حياتك مُعرَّضة للخطر؟

قال يول:

- لا أدري. ربما.

ثم ناولني مظروفًا.

سألته:

- هل هذه أموال؟

قال يول:

- إنها أسهم في «I3». اشتريتُ الشركة منذ ستة أشهر. تعمل هذه الشركة على مشروعات ثورية، وهذا المظروف يمنحك حصةَ عشرةٍ بالمائة من الشركة. لقد قدمتُ الأوراق المطلوبة بالفعل، وهي لك سواء قبلتَ المهمة أم لا. أجرك مقابل الاستشارة.

تحسستُ المظروف بأصابعي وقلت:

- إذا لم أحلَّ مشكلتك، فستُصبح هذه الأسهم من دون قيمة، أليس كذلك؟

ابتسم يول ابتسامةً عريضة وقال:

- لقد فهمت. لكن إذا قمتَ بحلِّها، قد يُساوي هذا المظروف عشرات الملايين، وربما مئات الملايين.

قال جي سي:

- تبًّا.

لكمَتْه آيفي في كتفِه قائلة:

- انتبه لألفاظك!

إذا استمرَّت الأمور على هذا النحو، فقد كان هذان الاثنان في طريقهما إما إلى وصلةٍ من الصراخ المتبادل، أو القبلات المتبادلة. لم يكن بوسعي أبدًا التنبُّؤ بأيهما. نظرتُ إلى توبياس، الجالس قبالتي في السيارة الليموزين. مال إلى الأمام، وشبَّك يدَيه أمامه وهو ينظر في عيني مباشرة، وقال:

- يمكننا فعل الكثير بهذا المال. قد تتوفر لنا أخيرًا الموارد اللازمة لتعقُّبها.

كانت ساندرا تعرف أشياء عني، وعن طريقة تفكيري، كما كانت تفهم جوانبي، بل إنها هي من علَّمَتني كيفية عملهم. كانت قد أسرتني تمامًا.

بعد ذلك، اختفت في لحظة.

قلت:

- الكاميرا.

قال توبياس:

- الكاميرا لا تعمل. وقال أرنو إن الأمر قد يستغرق سنوات حتى يتمكن من اكتشاف كيفية عملها.

تحسستُ المظروف.

قال توبياس:

- إنها تتعمَّد إحباط كل جهودك في العثور عليها يا ستيفن. لا يمكنك إنكار ذلك. لا تريد ساندرا أن يتم العثور عليها. كي نتوصَّل إليها، سنحتاج إلى الموارد، وإلى حرية تجاهل القضايا لبعض الوقت، وإلى المال للتغلُّب على العوائق.

ألقيتُ نظرةً خاطفة على آيفي، التي هزَّت رأسها. اختلفتْ هي وتوبياس حول ما يجب أن نفعله بخصوص ساندرا، لكنها كانت قد أبدت رأيها في وقتٍ سابق.

نظرتُ إلى يول مرةً أخرى، وقلت:

- هل يجب عليَّ إبداء الموافقة، على ما أفترض، قبل أن أتمكن من معرفة نوع التكنولوجيا التي تعملون عليها؟

فرَدَ يول كفَّيه قائلًا:

- أنا أثق بك يا ستيف. هذا المال لك. ادخل، واستمع إليهم. هذا كل ما أطلبه. بعد ذلك يمكنك القبول أو الرفض.

وضعتُ المظروف في جيبي وقلت:

- حسنًا، دعني أسمع ما يقوله العاملون لدَيك.

4

كانت «I3» واحدة من تلك الشركات التكنولوجية الجديدة المزينة وكأنها حضانة أطفال، وقد طُلِيت جدرانها الزاهية بالألوان الأساسية، وتوزَّعت مقاعد البين باج في كل الأركان. أخرج يول بعض قطع الآيس كريم من البرَّاد، وألقى بواحدةٍ لكلٍّ من حراسِه الشخصيِّين. أبديتُ رفضي، عاقدًا يديَّ خلف ظهري، لكنه لوَّح بقطعةٍ نحو الفراغ الكائن بيننا.

مدَّت آيفي يدَيها قائلة:

- بكل تأكيد.

أشرتُ بيدي، فألقى يول تجاهها بواحدة، مما مثَّل مشكلة. كان أولئك الذين يعملون معي من كثبٍ يعرفون أن عليهم التظاهُر فحسب، تاركين عقلي يتولَّى ملء التفاصيل. لكن نظرًا لأن يول ألقى بالأيس كريم بالفعل، فقد انهارت قُدرتي على التخيُّل للحظة.

انقسمتْ قطعة الآيس كريم إلى جزءين، تلقَّفت آيفي إحداهما، وتفادت الأخرى — الحقيقية - التي اصطدمت بالجدار، وارتدَّت لتسقط على الأرض.

أدارت آيفي عينَيها في محجرَيهما قائلة:

- لا أحتاج قطعتَين!

خطت متجاوزةً قطعة الآيس كريم التي سقطت، وفكّت غلاف القطعة التي بحوزتها، لكن بدا عليها عدم الارتياح. كلما ظهر خللٌ في قُدرتي على أداء دوري كوسيط بين عالَمي الخيالي، والعالَم الواقعي، صِرنا في منطقةٍ محفوفة بالمخاطر.

دخلنا، ومررنا في طريقنا بغُرَف اجتماعات ذات جدران زجاجية. كان معظمها خاليًا، كما يتوقع المرء في مثل هذه الساعة، لكنَّ جميع الطاولات كانت مُغطاةً بمكعباتٍ بلاستيكية صغيرة في مراحل مختلفة من البناء. على ما يبدو، كان يتم توفير كمياتٍ كبيرة من المكعبات البلاستيكية أثناء المحادثات، خلال اجتماعات العمل في «I3».

قالت آيفي:

- إن الموظفة في مكتب الاستقبال جديدة هنا. لقد واجهتْ صعوبةً في العثور على شارات الزوّار.

قال توبياس:

- إما هذا، أو أن الزوّار نادرون هنا.

زمجر جي سي قائلًا:

- الأمن فظيع.

نظرتُ إليه متجهمًا، وقلت:

- تعمل الأبواب ببطاقات المفاتيح. هذا أمان جيد.

نخر جي سي، وقال:

- بطاقات المفاتيح؟ رجاء! انظر إلى كلِّ تلك النوافذ. هذه الألوان الزاهية، والسجاد الجذاب ... وهل تلك أرجوحة من الإطارات؟ يبدو المكان بأكمله وكأنه يدعو المرء إلى إبقاء الباب مفتوحًا لمن يقف خلفَه. إن بطاقات المفاتيح عديمة الجدوى. لكن معظم

أجهزة الكمبيوتر تواجِهُ الاتجاه الآخر بعيدًا عن النوافذ، على الأقل.

يُمكنني تخيُّل كيف يبدو هذا المكان أثناء النهار، بجوِّه المرح، والسلال المليئة بالتسالي في الردهات، والشعارات الجذابة على الجدران. كانت بيئة مُصممة بعناية لبعث الشعور بالراحة لدى الأشخاص أصحاب الطبيعة الإبداعية. كأنها منطقة مُسيَّجة للغوريلات، لكنها مُخصصة للمثقفين الانطوائيين الذين يفتقرون إلى المهارات الاجتماعية. عبق الجوُّ برائحة تدلُّ على وجود مقصف داخلي، مجاني في الغالب، لإطعام المهندسين وإشباعهم، وإبقائهم داخل الشركة. لِمَ تعود إلى المنزل، بينما يمكنك تناول وجبة هنا في الساعة السادسة؟ وبما أنك موجود هنا، فيمكنك إنجاز بعض الأعمال . . .

بدا هذا الإحساس بجوِّ الإبداع المرح خافتًا الآن. مررنا بمهندسين يعملون خلال فترة الليل، مُنحنين فوق أجهزة الكمبيوتر. كانوا يُوجهون نحونا نظرات خاطفة، ثم ينكمشون أكثر في مقاعدهم، ولا يرفعون رأسهم مرةً أخرى. بقيت ألعاب الفيديو والفوسبول في غرفة الاستراحة من دون استخدام. بدا المكان وكأنه يجب أن يمتلئ بضجيج الثرثرة الممتعة، حتى في المساء. لكن بدلًا من ذلك، كانت الأصوات الوحيدة هي الهمسات الخافتة، علاوة على صفير عارض بين حين وآخر من إحدى آلات الألعاب الخاملة.

نظرتْ آيفي نحوي، وبدا أنها تحمست لأنني لاحظتُ كل ذلك. لوَّحت بيدها، مُشيرةً إلى أنني يجب أن أذهب إلى ما هو أبعد من هذا. ما الذي يعنيه ذلك؟

قلت ليول:

- المهندسون يعرفون. لقد حدث اختراق أمني، وهم على درايةٍ بذلك، ويشعرون بالقلق من أن الشركة في خطر.

قال يول:

- نعم. ما كان يجب أن يَبلُغهم الخبر أبدًا.

- كيف بلغَهم؟

قال يول من خلف نظارته الشمسية البراقة:

- أنت تعرف طبيعة هؤلاء العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات، فهم يؤمنون بحرية المعلومات، ومشاركة الموظفين، وكل هذا الهراء. عقد كبار المديرين اجتماعًا لتوضيح ما حدث، ودعَوا الجميع باستثناء عاملة النظافة اللعينة.

قالت آيفي:

- انتبِه لألفاظك.

قلت:

- تريد منك آيفي ألا تُطلق السباب.

بدا يول حائرًا حقًّا، وقال:

- هل أطلقتُ السباب؟

قلت:

- إن آيفي مُتزمّتة بعض الشيء. يول، ما هي هذه التكنولوجيا؟ ما الذي يعملون على تطويره هنا؟

توقف يول بجانب غرفة اجتماعات أكثر أمانًا، كان الزجاج الوحيد بها هو نافذة مربعة صغيرة في الباب. كانت هناك مجموعة من الرجال والنساء ينتظرون بالداخل. قال يول بينما أحد حرَّاسه يفتح الباب:

- سأدعُهم يُخبرونك.

5

قال المهندس:

- تحتوي كل خلية في جسدك على سبعمائةٍ وخمسين ميجا من البيانات. إذا أردنا عقد مقارنة، فإن إصبعًا واحدًا من يدك يحتوي على نفس القدر من المعلومات مثل الإنترنت بالكامل. وبالطبع، فإن معلوماتك مكررة وزائدة عن الحاجة، لكن تظلُّ الحقيقة هي أن الخلايا لدَيها قدرة هائلة على التخزين.

كان جارفاس، المهندس، رجلًا لطيفًا يرتدي قميصًا بأزرار، تتدلَّى من جيبه نظارة شمسية. لم يكن يُعاني من زيادة الوزن على نحوٍ لافت، لكن كانت هناك بعض الاستدارات في جسده، ناتجة عن العمل في وظيفةٍ مكتبية. شرع يبني ديناصورًا بالمكعبات البلاستيكية على الطاولة وهو يتحدث، في حين أخذ يول يذرع جيئةً وذهابًا بالخارج وهو يتلقَّى مكالمة.

ركَّب جارفاس رأس الديناصور، وواصل الحديث قائلًا:

- هل لديك أي فكرة عن الإمكانات الكامنة في هذا؟ بمرور السنوات، يتقلَّص حجم التكنولوجيا، ويشعر الناس بالسأم من حمل أجهزة الكمبيوتر المحمولة والهواتف والأجهزة اللوحية الضخمة. هدفنا هو العثور على طريقةٍ للتخلُّص من ذلك، باستخدام الجسد نفسه.

ألقيتُ نظرةً سريعة على جوانبي. جلس آيفي وتوبياس معنا إلى الطاولة، في حين وقف جي سي بجوار الباب، متثائبًا.

قال مهندس آخر:

- إن جسم الإنسان آلة فعَّالة بدرجة لا تُصدَّق.

كان لارامي رجلًا نحيلًا باديَ الحماسة، وقد بنى بمكعباته برجًا ظلَّ يزيد من ارتفاعه. تابع الحديث قائلًا:

- به سعة تخزينية رائعة، وخلايا ذاتية التناسُخ، ويأتي مزوَّدًا بمُولِّد الطاقة الخاص به. كما يتمتع الجسد بعمرٍ طويل للغاية، وفقًا لمعايير التصنيع الحالية.

قلت:

- إذن فأنتم تُحولون الأجساد البشرية إلى أجهزة كمبيوتر.

قال جارفاس:

- إنها أجهزة كمبيوتر بالفعل. كل ما نفعله ببساطة هو أننا نُضيف بعض المميزات الجديدة.

قالت المهندسة الثالثة، وهي امرأة نحيلة رفيعة الوجه تُدعى لورالي:

- فلتتخيل، بدلًا من حمْل جهاز كمبيوتر محمول، ماذا لو أنك استغللت الكمبيوتر العضوي المدمج بداخلك بالفعل؟ يُصبح إبهامك هو وحدة التخزين، وعيناك هي الشاشة، وبدلًا من البطارية الضخمة، كل ما عليك هو تناول شطيرة إضافية في الصباح.

قال جي سي:

- يبدو هذا عجيبًا.

قلت:

- أميل إلى موافقتك الرأي.

سألني جارفاس:

- ماذا؟

قلت:

- إنها صورة بلاغية. لذا، يُصبح الإبهام هو وحدة التخزين، وهو يشبه ... ماذا؟ آه... ممم... ذاكرة فلاش؟

قال لارامي:

- كان سيقول ذاكرة الإبهام. علينا حقًّا التوقف عن استخدام الإبهام كمثال.

قالت لورالي:

- لكنه تشبيهٌ بارع للغاية!

رفع جارفاس إبهامه وقال:

- بغض النظر عن ذلك، فإن ما نفعله لم يُغير من شكل العضو.

سألته:

- هل تم تطبيق ذلك الإجراء عليك؟ أتُجرون الاختبارات على أنفسكم؟

تململ جي سي بانزعاجٍ قائلًا:

- يا لهم من شواذ! يبدو أن الموضوع سيكون بخصوص الزومبي. سأضع حدًّا لهذا الآن.

قال جارفاس:

- لقد أجرينا بعض الاختبارات الأولية. معظم ما أخبرناك به هو مجرد حلم، وهدف. انشغلنا هنا بالعمل على جانب التخزين بشكلٍ حصري، وحققنا تقدمًا جيدًا. يُمكننا تضمين المعلومات في

الخلايا، وسوف تبقى هناك، وتتكاثر في خلايا جديدة بالجسم. يعمل إبهامي كنسخةٍ احتياطية من جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بي. وكما ترى، فلا تُوجَد أي آثار ضارة.

قال لارامي بحماس:

- نحتفظ بالمعلومات في الحمض النووي للعضلات. تحوي مادتك الوراثية أطنانًا من البيانات الدخيلة على أي حال. نحن نُحاكي ذلك، وكل ما علينا القيام به هو إضافة خيطٍ بسيطٍ من المعلومات، به علامات لإبلاغ الجسم بتجاهلها. مثل المقاطع المعلقة من التعليمات البرمجية.

قال جي سي:

- معذرة، لا أتحدث لغة مهاويس التكنولوجيا. ما الذي قاله للتو؟

أوضحت آيفي قائلة:

- عندما تُعلق عمل شيء ما في كود الكمبيوتر، فأنت تكتب سطورًا، لكنك تخبر البرنامج أن يتجاهلها. بهذه الطريقة، يمكنك ترك رسائل للمُبرمجين الآخرين بخصوص الكود.

قال جي سي:

- أجل، هذه رطانة فحسب. اسألهم عن الزومبي.

تعمدتْ آيفي تجاهُل جي سي، ووجهتْ حديثها لي قائلة:

- ستيف، إن هؤلاء الناس جادون ومُتحمسون. تبرق أعينهم عندما يتحدثون، لكن هناك تحفظات. إنهم صادقون معك، إلا أنهم خائفون.

سألتُ الثلاثة:

- هل تقولون إن هذا آمن تمامًا؟

قال جارفاس:

- بالتأكيد. لقد كان الناس يفعلون هذا مع البكتيريا منذ سنوات.

قالت لورالي:

- لا تكمن المشكلة في التخزين، بل في الوصول إلى المعلومات. بالتأكيد يُمكننا تخزين كل هذه البيانات بداخل خلايانا، لكن كتابتها وقراءتها صعبة للغاية. يتعين علينا حقن البيانات لإدخالها، واستئصال الخلايا لاستعادتها.

قال جارفاس:

- كان أحد زملائنا في الفريق، بانوس ماهيراس، يعمل على نموذج أولي لآلية توصيل، يتضمَّن فيروسًا. يتسلل الفيروس إلى الخلايا ومعه حمولة من البيانات الجينية، يضفرها بعد ذلك بالحمض النووي.

قالت آيفي:

- أوه، رائع.

تجهمتُ.

قال جارفاس وهو متوتر بعض الشيء:

- إنه آمن تمامًا. كانت هناك احتياطات أمان في فيروس بانوس، لمنعه من التكاثر بإفراط. لقد أجرينا تجارب محدودة فحسب، لكننا التزمنا الحرص لأقصى حد. عليك أن تلاحظ أن طريقة الفيروس هذه كانت واحدة فقط من بين عدة وسائل ندرسها.

قال لارامي بحماس:

- سيتغير العالم قريبًا، وفي نهاية المطاف، سنتمكن من الكتابة إلى القرص الصلب الجيني لكل جسم بشري، باستخدام هرموناته من أجل ...

رفعتُ يدي قائلًا:

- ما الذي يستطيع الفيروس الذي صنعتموه القيام به الآن؟

سألتني لورالي:

- أتعني أسوأ الاحتمالات الممكنة؟

- لستُ موجودًا هنا للحديث عن الجياد والزهور.

بادلتْ لورالي الآخرين النظر، وقالت:

- أسوأ الاحتمالات هو أن الفيروس الذي طوَّره بانوس قد يُستخدَم لتوصيل كمياتٍ ضخمة من البيانات غير المفيدة للحمض النووي للأشخاص، أو قد يُمكنه استقطاع أجزاءٍ من حمضهم النووي.

قال جي سي:

- إذن ... هذا يعني الزومبي؟

تجهمتْ آيفي وقالت:

- في العادة كنت سأعتبره مجرد أحمق، لكن ... أجل، يبدو هذا شبيهًا بالزومبي نوعًا ما.

حدثتُ نفسي قائلًا «ليس ثانية»، ثم قلت بصوت مرتفع:

- أنا أكره الزومبي.

وجَّه لي جميع المهندسون نظراتٍ حائرة، وسألتني لورالي:

- الزومبي؟

سألتها:

- هذا هو المنحى الذي تؤول إليه الأمور، أليس كذلك؟ هل تُحوِّلون الناس إلى زومبي بطريق الخطأ؟

قال جارفاس:

- مدهش! هذا أروع كثيرًا مما قُمنا به بالفعل.

نظر إليه الاثنان الآخران، فهز كتفَيه.

عاد لارامي لينظر إليَّ قائلًا:

- يا سيد ليدز، هذا ليس خيالًا علميًّا. إن إزالة أجزاء من الحمض النووي لشخصٍ ما لا ينتج عنه على الفور نوع من الزومبي. بل إنه يخلق خلية غير طبيعية فحسب، اتضح من خلال تجاربنا أن لديها القدرة على التكاثر بصورةٍ لا يمكن السيطرة عليها.

أحسستُ بالبرودة، وقلت:

- ليس زومبي إذن، بل سرطان. لقد خلقتم فيروسًا يُصيب الناس بالسرطان.

جفل جارفاس قائلًا:

- إلى حدٍّ ما.

قال لارامي:

- كانت تلك نتيجة غير مُتعمَّدة، يمكن التحكم فيها تمامًا. ولا تصبح خطيرة إلا إذا استُخدِمت على نحوٍ خبيث. فلِمَ يرغب أي شخصٍ في القيام بذلك؟

حدَّقنا إليه جميعًا للحظة.

قال جي سي:

- لنُطلق عليه النار.

أجابه توبياس:

- حمدًا للرب. لم تقترح إطلاق النار على شخصٍ ما منذ أكثر من ساعة، يا جي سي. بدأتُ أعتقد أن هناك شيئًا ما على غير ما يُرام.

قال جي سي:

- لا، استمع لِما أقوله. يُمكننا إطلاق النار على ذلك الأحمق هناك، وسيُعلِّم ذلك كلَّ فردٍ في هذه الغرفة درسًا مُهمًّا في الحياة، بخصوص عدم كون المرء عالما مجنونًا غبيًّا.

تنهدتُ، متجاهلًا جواني، وقلت:

- لقد ذكرت أن من طوَّر الفيروس هو رجل اسمه بانوس؟ سأرغب في التحدث إليه.

قال جارفاس:

- لا يمكنك ذلك. إنه ... ميت نوعًا ما.

تنهدتْ آيفي ودلكتْ جبهتها، في حين قال توبياس:

- يا لها من مفاجأة.

التفتُّ نحو آيفي قائلًا:

- ماذا هناك؟

قالت آيفي:

- قال يول إن الموضوع يتضمن جثة. كما أن شركتهم تهتمُّ بتخزين البيانات في الخلايا البشرية، لذا ...

نظرتُ إلى جارفاس قائلًا:

- كانت المعلومات بداخله، أليس كذلك؟ طريقة تخليق هذا الفيروس؟ لقد قام بتخزين البيانات الخاصة بمُنتجكم داخل خلاياه.

قال جارفاس:

- نعم، وقد سرق شخصٌ ما الجثة.

6

قال جي سي بينما نحن في طريقنا إلى مكتب بانوس، مضفر الجينات المتوفي:

- هذا كابوس أمني.

قالت لورالي:

- كان موت بانوس طبيعيًّا تمامًا، على حدِّ علمنا. شعرنا جميعًا بالأسى عندما سقط؛ إذ كان صديقًا لنا. لكن لم يعتقد أحد أن الأمر أكثر من مجرد حادث عشوائي على منحدرات التزلج.

قال جي سي وهو يسير، بينما جوانبي الآخرون خلفه مباشرة:

- أجل، لأن موت العلماء الذين يعملون على الفيروسات التي تنذر بنهاية البشرية في حوادث غريبة، لا يُعد أمرًا مريبًا على الإطلاق.

قال توبياس:

- تقع الحوادث بالفعل من حينٍ لآخر، يا جي سي. إذا أراد شخص ما معرفة أسراره، فأعتقد أن قتلَه وسرقة جثتِه ستكون في ذيل قائمة الأساليب المتبعة لتحقيق ذلك.

سألتُ جارفاس، الذي كان يسير بجواري من الجهة الأخرى:

- هل أنت متأكد من موته؟ قد يكون الأمر خدعة من نوعٍ ما، أو جزء من حيلة للتجسس بطريقة ما.

أجاب جارفاس قائلًا:

- نحن على يقينٍ من ذلك. لقد رأيتُ الجثة. إن العنق ... آه ... لا يلتوي بهذه الطريقة إذا كان الشخص على قيد الحياة.

قال جي سي:

- سنحتاج إلى التأكد من ذلك، والحصول على تقارير الطبيب الشرعي، والصور إن أمكن.

أومأتُ بشرود.

قالت آيفي:

- إذا تتبَّعنا أبسط مسار للأحداث، فإن هذا يبدو منطقيًّا تمامًا. لقد تُوفي، واكتشف شخصٌ ما أن خلاياه تُخفي المعلومات، فسرق الجثة. لا أقول إنه من غير المحتمَل أن يكون قد حدث شيء آخر، لكنني أجد ما يقولونه معقولًا.

سألتُ:

- متى اختفت الجثة؟

قالت لورالي:

- بالأمس، أي بعد يومَين من وقوع الحادث. كان من المقرر أن تكون الجنازة اليوم.

توقفنا في الردهة بجانب جدارٍ طُليت عليه مجموعة مبهجة من الفقاعات، واستخدم جارفاس بطاقة مفتاحِهِ لفتح الباب التالي.

سألته:

- هل لديكم أي أدلة؟

فتح لي الباب، وأجاب قائلًا:

- لا شيء. أو ... حسنًا، الكثير للغاية. إن التنافس في مجال بحثنا في غاية الضراوة، وهناك كثير من شركات التكنولوجيا الحيوية تشارك في السباق. يمكن أن يكون أي شخصٍ من مُنافسينا الأقل مراعاةً للضمير وراء السرقة.

تناولتُ الباب من جارفاس، وأمسكتُ به، مما أثار ارتباك الرجل. إذا لم أفعل ذلك، فمن المحتمل أن يحاول الدخول، بينما تحاول جواني المختلفة ولوج الغرفة. دخل المهندسون، وما إن مرُّوا حتى عبرت جواني الباب، ثم تبعتُهم أنا. تُرى أين ذهب يول؟

قال لي جي سي:

- سيكون من السهل اكتشاف من قام بهذا. علينا فقط معرفة من استعان بتلك القاتلة الأجيرة لمراقبتنا. ما لا أستطيع فهمه هو سبب قلق الجميع إلى هذا الحد. لقد اخترع مهاويس التكنولوجيا هؤلاء عن طريق المصادفة آلة تتسبَّب في الإصابة بالسرطان. ليس لذلك أهمية كبيرة، فلديَّ بالفعل واحدة من تلك الآلات.

أمسك جي سي هاتفه المحمول، وهزَّه بيده.

سألته آيفي باستياء:

- هل لديك هاتف محمول؟

قال جي سي:

- بالتأكيد. الجميع لديهم هواتف محمولة.

- وبمَن ستتَّصل؟ سانتا؟

زمَّ جي سي شفتَيه، ووضع الهاتف في جيبه. كانت آيفي تحوم حول حقيقة أن أيًّا منهم لم يكن حقيقيًّا، لكنها بدت دومًا وكأنها تتعايش مع تلك الحقيقة بسلامٍ في أعماقها، على خلاف جي سي. بينما كنا نسير

في هذا الرواق الجديد، سارت آيفي بجانبه، وشرعت تقول بعض الأشياء الباعثة على الشعور بالارتياح، كما لو أنها تشعُر بالحرج لإفصاحها عن طبيعته وكونه وليد الهلاوس.

كانت هذه المنطقة الأحدث من المبنى أقل شبهًا بروضة الأطفال، وتُشبه كثيرًا عيادةَ طبيب أسنان، وبها حجرات فردية بطول الرواق المزين بدرجات اللون البني الفاتح، مع نباتات صناعية بجوار مداخل الأبواب. أخرج جارفاس بطاقة مفتاح أخرى، عندما وصلنا إلى مكتب بانوس.

سألته:

- جارفاس، لماذا لم تقصدوا الحكومة بذلك الفيروس؟

- كانوا سيرغبون في استخدامه كسلاحٍ فحسب.

وضعتُ يدي على ذراعه قائلًا:

- لا، أشك في ذلك. فلن يخدم سلاح كهذا أيَّ غرضٍ تكتيكي في الحرب. إصابة قوات العدو بالسرطان؟ سيستغرق الأمر شهورًا أو سنوات حتى يتضح تأثيره، وحتى ساعتها ستكون قيمته هامشية. إن سلاحًا مثل هذا لن يكون مفيدًا إلا كتهديدٍ ضد السكان المدنيين.

- ليس من المفترَض أن يكون سلاحًا على الإطلاق.

قلت:

- وكان البارود يستخدم في البداية لصنع الألعاب النارية فحسب.

قال جارفاس:

- لقد ذكرتَ أننا كنا نبحث عن أساليب أخرى لقراءة وكتابة المعلومات في خلايانا، أليس كذلك؟ أساليب لا تستخدم الفيروس؟

أومأتُ.

- دعنا نقل فقط أننا بدأنا تلك المشاريع لأن البعض منا أحسُّوا بالقلق بخصوص طريقة استخدام الفيروس. توقف البحث في مشروع بانوس، لأننا حاولنا إيجاد طريقة للقيام بكل هذا باستخدام الأحماض الأمينية.

- مع ذلك، كان لا يزال عليكم التوجُّه إلى الحكومة.

سألني جارفاس، وهو ينظر في عينيَّ مباشرة:

- وما الذي تعتقد أنهم كانوا سيفعلونه؟ يُربِّتون على رؤوسنا، ويوجِّهون لنا الشكر؟ هل تعرف ما الذي يحدث للمختبرات التي تبتكر مثل هذا النوع من الأشياء؟ إنها تختفي. إما أن تستولي عليها الحكومة، أو يتم تفكيكها. إن أبحاثنا هنا مهمة و... حسنًا، مُربحة. لا نريد أن نتعرض لإغلاق المختبر، كما لا نرغب في أن نصبح مثار تحقيقٍ ضخم. كل ما نريده هو أن تزول هذه المشكلة.

فتح الباب، كاشفًا عن مكتبٍ صغير أنيق. زَيَّنتِ الجدرانَ مجموعةٌ من الصور الموقَّعة لممثلي الخيال العلمي، والتي لها إطار موحد.

قلت لجواني وأنا أعوق تقدُّم جارفاس:

- انطلقوا.

دخل الثلاثة المكتب، وشرعوا يُفتشون ويتفَّحصون الأشياء الموجودة على المكتب والجدران.

قالت آيفي وهي تتفحَّص بعض الكتب على رفٍّ فوق الجدار، ومجموعة من الصور:

- كان من أصلٍ يوناني، من الجيل الثاني على ما أعتقد، لكنه كان ما يزال يتحدث اللغة.

قال جي سي:

- ماذا؟ أليس بانوس ...؟

قالت آيفي:

- انتبه لألفاظك!

- ... اسم مكسيكي؟

انحنى توبياس بجوار المكتب وقال:

- لا. ستيفن، هلا قدمت لي بعض العون من فضلك؟

تقدمتُ نحوه وحركتُ الأوراق على المكتب كي يتمكن توبياس من إلقاء نظرة فاحصة على كل منها. قال:

- الرسوم المستحقة لورشة محلية للتصنيع الرقمي ... كتيب خاص بمؤتمر لينكس ... مجلة للصناعات اليدوية ... كان صديقنا هنا صانعًا.

قال جي سي:

- فلتتحدث بلغةٍ يفهمها الأغبياء من فضلك.

قال توبياس:

- إنها ثقافة فرعية خاصة بعشّاق التكنولوجيا والأفراد المبدعين يا جي سي. قد تكون موازية، أو ناتجة عن حركة البرمجيات مفتوحة المصدر. إنهم يقدرون التدريب العملي على الحِرَف اليدوية والتعاون، خاصة فيما يتعلق بالتطبيقات الإبداعية للتكنولوجيا.

قالت آيفي:

- لقد احتفظ بشارة الاسم من كل المؤتمرات التي حضرها.

أشارت نحو كومةٍ منها، وواصلت قائلة:

- وكل منها مُوقَّع، ليس بأسماء المشاهير، لكن على ما أظن بأسماء الأشخاص الذين حضر محاضراتهم. يُمكنني التعرُّف على بعض الأسماء.

نخر جي سي، وقال:

- أترى ذلك الوتد المطاطي على الأرض؟ هناك جزء مهترئ من السجادة. غالبًا ما كان يدفع ذلك الوتد أسفل بابه ليُبقيه مفتوحًا، مُتحايلًا بذلك على القفل الآلي. كان يُحب أن يترك مكتبه مفتوحًا، كي يتمكن الناس من المرور وتبادل الحديث.

نقرتُ بإصبعي على بعض الملصقات الكائنة على مكتبه. «ادعموا البرمجيات المفتوحة. المعلومات للجميع. يجب أن تكون الكلمات مجانية».

جعلني توبياس أجلس على الكمبيوتر. لم يكن مَحميًّا بكلمة مرور. رفع جي سي حاجبًا.

كانت أحدث المواقع التي زارها بانوس على الإنترنت عبارة عن منتديات، حيث نشر بحماس، لكن بأدب، عن قضايا المعلومات والتكنولوجيا. تفحصتُ بعض رسائل بريدِه الإلكتروني قائلًا:

- لقد كان متحمسًا، وثرثارًا، وأحبَّه الناس بصدق. كثيرًا ما كان يحضر مؤتمرات مهاويس التكنولوجيا، وعلى الرغم من تحفُّظه في الحديث عنها في بادئ الأمر، إلا أنك إذا تمكنت من استخلاص القليل منه، فسوف يندفع الباقي كالطوفان. ودومًا ما كان يعبث بالأشياء. كانت المكعبات البلاستيكية فِكرته، أليس كذلك؟

تقدم جارفاس ليقف بجواري، وقال:

- كيف ...؟

ضيقتُ عينيَّ وأنا أطالع إحدى مشاركات بانوس في منتدى لينكس، وواصلتُ قائلًا:

- كان مؤمنًا بعملكم، لكن لم يُعجبه الهيكل التنظيمي لشركتكم، أليس كذلك؟

- مثل الكثير منّا، شعر أن المستثمرين جزء مزعج، ولكنه ضروري للقيام بما نُحبه.

تردَّد جارفاس قبل أن يُواصل قائلًا:

- إنه لم يَخُنَّا يا ليدز، إذا كان هذا ما تتساءل عنه. لم يكن ليخُوننا.

استدرتُ في المقعد وقلت:

- أوافقك الرأي. لو كان هذا الرجل سيخون شركتَه، لنشَر كلَّ شيءٍ ببساطة على الإنترنت. أجد أنه من غير المرجح بدرجةٍ كبيرة أن يُقدِم على بيع ملفاتكم إلى شركة خبيثة أخرى، بدلًا من التخلي عنها من دون مقابل فحسب.

استرخى جارفاس.

قلت:

- سأحتاج قائمةً بأسماء الشركات المنافسة لكم، وتقارير الطبيب الشرعي مع صوَر الجثة، علاوة على تفاصيل كيفية اختفاء الجثة. سأحتاج أيضًا إلى تفاصيل بخصوص مكان سكن بانوس، وأسرته، وأي أصدقاء له قد تعرفهم من غير زملاء العمل.

- إذن ... هل توافق على مساعدتنا؟

نهضت قائلًا:

- سأعثر على الجثة يا جارفاس. لكنني سأذهب لخنق ربِّ عملك أولًا.

7

وجدتُ يول جالسًا بمفرده في كافيتريا، محاطًا بطاولات بيضاء نظيفة، ومقاعد باللون الأخضر والأحمر والأصفر. على كل طاولة جرةٌ مليئة بالليمون.

كانت الغرفة خالية، لكنها ملونة بألوان زاهية، فبدت ... كما لو أنها تحبس أنفاسها، في انتظار حدوث شيءٍ ما. أشرتُ لجوانبي المختلفة كي ينتظروا في الخارج، ثم دخلتُ لمواجهة يول بمفردي. كان قد خلع نظارته الشمسية المبهرجة، وبدا من دونها وكأنه رجل أعمال عادي تقريبًا. هل كان يرتدي النظارات للتظاهُر بأنه نجم، أم كان يرتديها لمنع الناس من رؤية عينَيه الثاقبتَين، المليئتَين باليقين والمكر الشديدَين؟

جلستُ في مقعد بجواره، وقلت:

- لقد ورَّطتني، بلا رحمة، كمحترف.

لم ينبس يول بكلمة.

واصلتُ قائلًا:

- إذا انفضحَت هذه الحكاية، وتداعى كل ما يتعلق بشركة «I3» وسقط في أعماق الجحيم، فسوف أصير مُتورطًا بصفتي مالكًا جزئيًا في الشركة.

انتظرتُ أن تُوبِّخني آيفي لألفاظي، رغم أنها لم تكن شديدة، لكن آيفي كانت في الخارج.

قال يول:

- يمكنك قول الحقيقة. لن يكون من الصعب للغاية إثبات أنك حصلت على الأسهم اليوم فحسب.

- لن يُجدي ذلك نفعًا، فأنا أُمثل حكاية مثيرة يا يول. أنا غريب الأطوار، ولا تُفسِّر الصحافة الشكوك بوصفها في صالحي. إذا كانت لي أدنى صلة بالموضوع، فلن يُفيد أي احتجاجٍ في إبقائي بعيدًا عن الصحف الصفراء، وأنت تعرف ذلك. لقد منحْتَني تلك الأسهم تحديدًا كي أكون في نفس القارب معك أيها الوغد.

تنهد يول. كان يبدو أكبر سنًّا بكثير، حينما يتمكن المرء من رؤية عينَيه. قال:

- ربما. أردتُك أن تشاركني شعوري فحسب. لم أكن أعلم شيئًا عن فضيحة السرطان برمتها عندما اشتريتُ هذا المكان. لقد أبلغوني بأسوأ ما في الأمر منذ أسبوعين.

قلت:

- يول، عليك التوجُّه إلى السلطات. هذا الأمر أكبر مني ومنك.

- أعرف هذا، وقد فعلتُ. سيُرسل العملاء الفيدراليون الليلة مسؤولي مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها. سيُوضَع المهندسون في الحجر الصحي، وغالبًا سأُوضَع أنا أيضًا بالحجر. لم أُبلغ شخصًا آخر بعد. لكن الحكومة مخطئة، يا ستيفن. إنهم ينظرون إلى الأمر على نحوٍ خاطئ، فهو لا يتعلق بالمرض، بل بالمعلومات.

أومأتُ قائلًا:

- الجثة. كيف سمحت شركة «I3» بحدوث ذلك؟ ألم يضعوا في الاعتبار أنه كان، حرفيًّا، عبارة عن قرصٍ صلب يسير على قدمَين؟

قال يول:

- كان من المقرر حرق الجثة، كجزءٍ من اتفاقٍ داخلي بالشركة. لم يكن من المفترَض أن يمثل ذلك مشكلة. وعلى الرغم من ذلك، قد لا يكون من السهل الحصول على المعلومات. من المفترض أن يقوم كل شخصٍ هنا بتشفير البيانات المخزَّنة داخل خلاياه. هل سمعتَ عن لوحة المرة الواحدة؟

قلت:

- بالتأكيد. إنها عبارة عن تشفيرٍ عشوائي يتطلَّب مفتاحًا فريدًا لفك الشفرة. من المفترَض أنها غير قابلة للفك.

قال يول:

- إنه الشكل الوحيد من أشكال الشفرة غير القابل للفك، رياضيًّا. إنها ليست عملية للاستخدام اليومي، لكن ما يفعله الناس هنا لم يكن متعلقًا بالتطبيق العملي بعد. أصرَّتْ سياسات الشركة على مثل هذا النوع من التشفير، وقبل أن يضعوا البيانات داخل أجسادهم، كان يتعيَّنُ عليهم تشفيرها بمفتاحٍ فريد. لقراءة البيانات، ستحتاج هذا المفتاح تحديدًا. ولسوء الحظِّ، فإن المفتاح الذي استخدمه بانوس ليس بحوزتنا.

- هذا بافتراض أنه اتبع سياسة الشركة بالفعل، وقام بتشفير بياناته.

تجهَّم يول وقال:

- هل لاحظت ذلك؟

- لم يكن صديقك المتوفَّى أكثر الناس اكتراثًا بالأمن.

- حسنًا، علينا أن نأمُل أنه استخدم مفتاحًا، لأنه إذا فعل ذلك، فلن يتمكن الأشخاص الذين لديهم جثته من قراءة ما خزَّنه من معلومات، وقد نُصبح في أمان.

- إلا إذا وجدوا المفتاح.

دفع يول نحوي بملفٍّ سميك وقال:

- بالضبط. جعلتُهم يطبعون لك هذا، قبل وصولنا.

- ما هذا؟

- تفاعلات بانوس عبر الإنترنت. كل ما قام به خلال الأشهر القليلة الماضية: كل رسالة بريد إلكتروني أرسلها، وكل مشاركة له في جميع المنتديات. لم نتمكن من العثور على أي شيء فيه، لكنني اعتقدت أنه من الواجب أن تحصل عليه، على سبيل الاحتياط.

- أنت تفترض أنني سوف أقدم لك العون.

- لقد أخبرت جارفاس . . .

- قلتُ له إنني سوف أعثر على الجثة. لستُ متأكدًا من أنني سأُعيدها لك، عندما أفعل.

نهض يول وأخرج نظارته الشمسية من جيبه، وقال:

- لا بأس في ذلك. لدَينا بياناتنا يا ستيفن، لكننا لا نريدها أن تقع في الأيدي الخطأ فحسب. أخبرني إذا كنت تُخالفني الرأي.

- أنا متأكد تمامًا أن يدَيك هما الأيدي الخطأ.

توقفتُ عن الحديث للحظة، قبل أن أواصل قائلًا:

- هل قتلتَه يا يول؟

- بانوس؟ لا. كان الأمر حادثًا بالفعل، على حدِّ علمي.

تفحّصتُه، والتقت عيناه بعيني، قبل أن يرتدي تلك النظارة الشمسية السخيفة. هل كان جديرًا بالثقة؟ لطالما اعتقدتُ ذلك في الماضي. نقر بإصبعه على رزمة المعلومات، وقال:

- سأتأكد من أن جارفاس وفريقَه سيجلبون لك كل شيءٍ آخر مما طلبتَه.

قلت:

- لو كانت شركتك أنت فقط، لتركتك على الأرجح كي تحترق فحسب.

- أعرف هذا، لكن الناس في خطر.

عليه اللعنة، كان مُحقًّا. نهضتُ واقفًا.

قال يول:

- لديك رقمي. غالبًا ما سأكون محتجزًا هنا تحت الحجر، مع ذلك سيظل بإمكاني الحديث. لكن يتعين عليك الإسراع بالرحيل قبل وصول العملاء الفيدراليين.

- حسنًا.

تجاوزته، متجهًا نحو الباب.

نادى يول خلفي قائلًا:

- إن العثور على مفتاح فكِّ الشفرة ليس كافيًا؛ إذ إننا لا نعرف عدد النسخ الموجودة منه، بافتراض أن بانوس اتبع بروتوكول التشفير من الأساس. اعثر على تلك الجثة يا ستيفن، وأحرِقها. هذا ما أتمنَّى لو أنني فعلته بهذا المبنى بأكمله منذ أسابيع مضت.

فتحتُ الباب، وخرجتُ ملوِّحًا نحو آيفي، وتوبياس، وجي سي، الذين أتوا للسير بجواري.

قلت:

- جي سي، استخدِم هاتفك هذا، واتصل بباقي جوانبي. أرسلهم إلى الغرفة البيضاء. لدينا عمل لنباشره.

الجزء الثاني

8

لدي جوانب متعددة. سبعة وأربعون، على وجه الدقة، وكان أرنو هو آخر من انضمَّ إلينا. لا أحتاجهم جميعًا في الغالب، وفي الواقع فإن تخيُّل أكثر من أربعة أو خمسة في نفس الوقت أمر مرهق، ولا يمكنني القيام به لفترة طويلة. كان هذا القيد شيئًا آخر تسبَّب في إسالة لعاب علماء النفس: مريض بالذهان يجد صعوبة في خلق عالَمِه الخيالي، أكثر من العيش في العالَم الواقعي؟

في بعض الأحيان، تأتي مهمة تتطلَّب جهدًا إضافيًّا، وأحتاج إلى أن يصغي إليَّ عدد أكبر من جوانبي. لهذا السبب أنشأتُ الغرفة البيضاء. كانت جدرانها خاليةً، ومطليةً هي والأرض والسقف بنفس اللون الأبيض غير اللامع، وجميع أسطح الغرفة ناعمة وباردة ولا يقطعها شيء سوى الأنوار في السقف. كانت عازلة للصوت وهادئة، ولا يوجد بها ما يُشتت الانتباه، ولا شيء أركز عليه سوى عشرات الأشخاص الوهميين الذين تدفقوا عبر الباب المزدوج.

لم أكن أتعمد اختيار الهيئة التي تبدو عليها جوانبي المختلفة على نحوٍ واعٍ، لكن يبدو أن هناك جزءًا مني يُقدر التنوع. كان لوا، وهو رجل من ساموا، سمين ذو ابتسامة عريضة. كان يرتدي سروالًا واسعًا، ومعطفًا مُغطًّى بالجيوب، يلائم خبير في أساليب النجاة. كانت مي وون الكورية

هي الجرَّاحة والمسعفة الميدانية لدَينا. أما نجوزي، الباحثة في الطب الشرعي، فقد كانت امرأةً سوداء البشرة، يبلغ طولها 193 سنتيمترًا. في حين كان فليب قصيرًا، سمينًا، أبيض البشرة، يغلب عليه الإرهاق في الغالب.

كانت القائمة تطول. انضمُّوا إليَّ على مهل، في مهمةٍ تلوَ الأخرى، حينما كنت أحتاج إلى تعلُّم مهارة جديدة، لأحشو عقلي المكتظ بالفعل بمجموعة متنوعة من الكفاءات المتزايدة. تصرفوا مثل الأشخاص الحقيقيِّين تمامًا، وهم يتحدثون بعدة لغات. بدت أودري مشعثة، ومن الواضح أنها كانت تغفو. ارتدى كلايف وأوين ملابس الجولف، وحمل كلايف مضرب جولف على كتفه. لم أكن أعرف أن أوين جعله يمارس هذه الرياضة أخيرًا. ارتدت كالياني ساريًا من الحرير اللامع باللونين الأحمر والذهبي، وأدارت عينيها في محجريهما عندما ناداها جي سي باسم «أحمد» مرة أخرى، لكن كان بوسعي إدراك أنه بدأ يميل إليها. كان من الصعب ألا يميل المرء إلى كالياني.

قالت كالياني:

- سيد ستيف! كيف كان موعدك؟ آمُل أن تكون قد استمتعت.

تجولتُ بنظري في أرجاء الغرفة، وقلت:

- كان بمثابة خطوة إلى الأمام. هل رأيتِ أرماندو؟

أمسكتْ المرأة الهندية الضئيلة بذراعي قائلة:

- أوه! يا سيد ستيف، حاولَ بعضُنا حمله على النزول، إلا أنه رفض. يقول إنه مُضرب عن الطعام، حتى يعود إليه عرشه.

جفلتُ. كانت حالة أرماندو تزداد سوءًا. وجهتْ لي آيفي نظرةً ذات مغزى، من موقعها في الجوار.

قالت كالياني:

- سيد ستيف، عليك أن تسمح لزوجي، راهول، بالانضمام إلينا.
- لقد أوضحتُ لكِ هذا من قبل يا كالياني. إن زوجك ليس أحد جوانبي.

قالت كالياني:

- لكن راهول مفيد للغاية. إنه مُصور، وبما أن أرماندو لم يعد مفيدًا بدرجةٍ كبيرة في الفترة الأخيرة ...

قلت:

- سأُفكر في الأمر.

وبدا ذلك مُرضيًا لها. كانت كالياني جديدة، ولم تتعلَّم بعدُ كيف تسير هذه الأمور. لم يكن بوسعي خلق جوانب جديدة حسب الرغبة. وعلى الرغم من أن كثيرًا من جوانبي كانوا يتحدثون عن حياتهم، وأُسرهم، وأصدقائهم، وهواياتهم، إلا أنني لم أرَ في الواقع أي شيءٍ من هذا. وكان ذلك من الجيد، لأن تتبُّع سبعٍ وأربعين هلوسة أمر شاق بما فيه الكفاية. لو كان عليَّ تخيُّل أقاربهم أيضًا، فقد ينتهي بي الحال إلى الجنون.

تنحنح توبياس، محاولًا لفت انتباه الجميع. ثبت أن ذلك غير ذي جدوى في مواجهة حشد الجوانب الذي انشغل بالثرثرة. كان اجتماعُهم معًا في نفس الوقت أمرًا جديدًا للغاية بالنسبة لهم، وقد استمتعوا بذلك. لذا أخرج جي سي مسدسه، وأطلق النار مرةً واحدة في الهواء.

عمَّ الصمت الغرفة على الفور، ثم تعالى صوت الجوانب المختلفة وهم يتذمَّرون ويشكون، ويفركون آذانهم. خطا توبياس جانبًا ليبتعِد عن آثار الغبار المتساقِط من أعلى.

حدقتُ إلى جي سي بغضب، وقلت:

- هل تدرك، أيها العبقري، أنه سيتعين عليَّ الآن أن أتخيل ثقبًا في السقف، في كل مرة نأتي إلى هنا؟

هزَّ جي سي كتفَيه، وأعاد سلاحه إلى جرابه. على الأقل كان يتمتع بما يكفي من التهذيب ليبدو عليه الشعور بالحرج.

ربَّت توبياس على ذراعي قائلًا:

- سأقوم بسد الثقب.

ثم التفت إلى الحشد الذي ران عليه الصمت الآن، وتابع الحديث:

- لقد سُرِقَت جثة، وتم الاستعانة بنا لاستعادتها.

سارت آيفي بين الجوانب المختلفة، وهي توزِّع عليهم أوراقًا.

واصل توبياس قائلًا:

- ستجدون التفاصيل موضحة هنا.

على الرغم من أنهم جميعًا يعرفون ما أعرفه أنا، إلا أن التظاهر بتقديم المعلومات في بعض الأحيان كان أفضل بالنسبة لنا جميعًا.

- من المهم أن تفهموا أن هناك أرواحًا معرضة للخطر. ربما تكون أرواحًا كثيرة. نحن بحاجة إلى خطة على وجه السرعة. فلتباشروا العمل.

انتهت آيفي من توزيع الأوراق، وعادت إلى جواري. ناولتني آخر مجموعة من الأوراق.

قلت:

- أنا أعرف التفاصيل بالفعل.

قالت آيفي:

- إن ورقتك مختلفة. بها كل ما تَعرفه عن الشركات المنافسة لشركة «I3».

ألقيتُ عليها نظرة سريعة، وفوجئتُ بكمية المعلومات التي تحتويها. كنت قد أمضيتُ الرحلة في طريق العودة إلى هنا مُستغرقًا في التفكير في الأشياء التي أخبرني بها يول، ولم أقرأ تقاريره بما يتعدّى إلقاء نظرة خاطفة على أسماء الشركات الثلاث التي اعتقد أنها قد تكون وراء سرقة الجثة على الأرجح. حسنًا، كانت المعلومات المتعلقة بكل شركةٍ مختزنةً في أحد أركان عقلي على ما يبدو. قلبتُ الصفحات، متأملًا. لم أقُم بأي أبحاثٍ عن شركات التكنولوجيا الحيوية منذ أن ... رحل عنا إجناسيو. افترضتُ أن مثل هذه المعرفة رحلت معه.

قلت لآيفي:

- أشكرك.

- يُسعدني ذلك.

انتشرت جوانبي في أرجاء الغرفة البيضاء، وبدأ كل منهم العمل بطريقتِهِ الخاصة. جلست كالياني على الأرض بجوار الحائط، وأخرجَت قلمًا أحمر زاهيَ اللون. شرع ديلان يذرع جيئةً وذهابًا. اقترب لوا من أقرب شخصٍ له، وبدأ يتجاذب أطراف الحديث. دوَّن معظمهم أفكارهم، مُستخدمين الجدران كسبورة. أخذ البعض يرسُم أثناء الكتابة، بينما تطورت أفكار البعض الآخر بشكلٍ خطِّي. كما ظلَّ البعض يكتب أشياء ويشطبها.

قرأتُ صفحات آيفي لإنعاش ذاكرتي، ثم شرعتُ في دراسة الوثائق التي منحني يول إياها. اشتمل ذلك على تقارير الطبيب الشرعي، مع صور المتوفَّى، الذي بدا ميتًا تمامًا بالفعل. كانت ليزا بنفسها هي من كتب التقرير. قد أحتاج لزيارتها، للأسف.

ما إن انتهيتُ من القراءة حتى تجولتُ في الغرفة، مُطالعًا عمل كل جانبٍ من جوانبي، وتوبياس إلى جواري. ركزتْ بعض الجوانب على ما

إذا كان يول يخدعنا أم لا. بينما حاول آخرون، مثل آيفي، استنتاج المعلومات من خلال ما نعرفه عن بانوس، في محاولةٍ لتحديد المكان الذي يعتقدون أنه من المرجَّح أن يُخفي فيه مفتاح البيانات. واستمر آخرون في العمل على مشكلة الفيروس.

بعد جولةٍ واحدة في الغرفة، استندتُ إلى الجدار، والتقطتُ كومة الأوراق الأكبر التي أعطاني يول إيَّاها، والتي تحوي سجل تفاعلات بانوس على الإنترنت، وتفاعلاته عبر البريد الإلكتروني على مدار الأشهر القليلة الماضية. كانت كومة الأوراق سميكة، لكنني لم أهتمَّ هذه المرة بالانتباه الواعي لما أقرؤه. أردت فقط الانتهاء من القراءة سريعًا لإفراغ المعلومات في ذهني، حتى تتمكن جوانبي من دراستها.

مع ذلك، استغرق الأمر أكثر من ساعة. عندما وقفتُ أتمطَّى، كانت معظم المساحة البيضاء في الغرفة قد امتلأت بالنظريات والأفكار، وفي حالة ماريندا، نقوش ضخمة من الزهور، ورسم تفصيلي مبهر لتنِّين. عقدتُ يدي وراء ظهري، وقمتُ بجولة أخرى في الغرفة، وشجعتُ أولئك الذين أصابهم الملل، وطرحتُ أسئلةً حول ما كتبوه، وفضضتُ بعض الاشتباكات.

في خِضَمِّ ذلك، مررتُ بأودري، التي كانت تُدوِّن ملحوظاتها في الهواء، مستخدمةً إصبعها بدلًا من القلم.

وقفتُ ورفعتُ حاجبي تجاهها، قائلًا:

– أرى أنك تتصرفين بحرية، من تلقاء نفسك.

هزت أودري كتفَيها. كانت تصف نفسها بأنها «ذات جسدٍ مُثير باستدارته»، ولها شعر طويل داكن، ووجه جميل. بالنسبة إلى كونها خبيرةً في تحليل خط اليد، فقد كان خطها فظيعًا.

قالت أودري:

- لم يعُد هناك مكان مُتبقٍّ على الجدار.

نظرتُ إلى كتابتها المحلِّقة في الهواء وقلت:

- أنا متأكد من ذلك.

بعد ثانية، ظهر في الغرفة لوح من الزجاج في المكان الذي كانت تكتب فيه، مما جعلها تبدو وكأنها كانت تكتب على الزجاج طوال الوقت. شعرتُ ببوادر صداع.

عقدتْ ذراعَيها قائلة:

- أوه، هذا ليس ممتعًا.

قلت:

- هذا هو ما يجب أن يكون يا أودري. هناك قواعد.

- قواعد ابتكرتها أنت.

قلت:

- قواعد نتبعها جميعًا، من أجل مصلحتنا.

عبستُ عندما قرأتُ ما كتبتْه، وواصلت قائلًا:

- معادلات كيمياء حيوية؟ منذ متى وأنت مهتمة بذلك الموضوع؟

هزت كتفَيها وقالت:

- ظننتُ أنه من الواجب على شخصٍ ما دراسة ذلك الموضوع، وكان لديَّ الوقت، بما أنك ترفض بشدة أن تتخيل لي حيوانًا أليفًا.

أرحتُ أصابعي على لوح الزجاج، وألقيتُ نظرة على ملاحظاتها المكدسة. كانت تحاول اكتشاف الطريقة التي استخدمها بانوس لتخليق الفيروس. لكن كانت هناك فجوات كبيرة في مخططاتها، وفراغات تبدو

وكأنها انتُزعت من وسط الكتابة. أما ما تبقَّى، فلم يكن يتجاوز أساسيات الكيمياء.

قلت:

- لن ينجح الأمر يا أودري. لم يعد هذا شيئًا يمكننا القيام به بعد الآن.

- أليس من المفترَض أن يكون لا يزال موجودًا هناك، في مكانٍ ما؟

- لا، لقد اختفى.

- لكن ...

قلت بحزم:

- لقد اختفى.

- أنت شخص مشوَّش للغاية.

- أنا أعقل فردٍ في هذه الغرفة.

قالت:

- في الواقع، أنت أيضًا الأكثر جنونًا.

تجاهلتُ التعليق، وجلستُ القرفصاء بجانب لوح الزجاج، وتفحصتُ بعض الملاحظات التي كتبتُها بخصوص موضوعات أخرى.

- هل تبحثين عن أنماطٍ متكررة في الأشياء التي كتبَها بانوس على الإنترنت؟

أوضحتْ أودري قائلة:

- ظننتُ أنه قد تكون هناك رسائلُ خفيَّة في مشاركاته بالمنتدى.

أومأتُ برأسي. عندما درستُ تحليل خط اليد، وخلقتُ أودري خلال ذلك، كنت قد أجريتُ أيضًا بعض البحوث الموازية في مجال التشفير. كان كِلا فرعَي المعرفة يتحركان في نفس الدوائر، وقد وصفَت بعض

الكتب التي قرأتها طريقةً لفك تشفير الرسائل من خلال ملاحظة بعض التغييرات المقصودة في خط اليد، كأن يُغير الكاتب من اتجاه مَيل بعض حروفه، لنقل معلومات خفية.

كان هذا يعني أن أودري لديها بعض الخبرة البسيطة في مجال التشفير، أكثر من أي واحدٍ منَّا. نقرتُ لوح الزجاج قائلًا:

- قد يكون هذا مفيدًا.

قالت:

- قد يكون مفيدًا بدرجةٍ أكبر لو كانت لديَّ - لديك أنت - معرفة أعمق بالتشفير. هل لديك الوقت لتحميل مزيدٍ من الكتب، ربما؟

نهضتُ قائلًا:

- أنت تريدين الذهاب في مزيدٍ من المهام فحسب.

- هل تمزح؟ أنت تتعرض لإطلاق النار في تلك المهام!

- بين حين وآخر فقط.

- هذا كثير بما فيه الكفاية. لا أشعر بالارتياح لكوني كائنًا خياليًّا، بالدرجة التي أرغب فيها في رؤيتك مُلقًى ميتًا على الأرض. أنت تُمثل عالمي كله، حرفيًّا، يا ستيفو ...

توقفتْ عن الحديث، ثم تابعتْ قائلة:

- على الرغم من ذلك، لأكون صادقة، فلطالما شعرتُ بالفضول عما سيحدث إذا تناولتَ عقار إل إس دي.

قلت:

- سأرى ما يُمكنني القيام به بخصوص التشفير. استمرِي في تحليل مشاركاته في المنتدى، وتوقفي عن تصنُّع المعرفة بالكيمياء.

تنهدتْ، لكنها مدَّت يدها وشرعت تمسح المعادلات بكمِّها.

ابتعدتُ، وأخرجتُ هاتفي، وأحضرتُ بعض الكتب عن التشفير. إذا تعمقتُ في دراسة الموضوع، هل سأخلق جانبًا آخر؟ أم هل ستكتسب أودري تلك المقدرة حقًّا، كما لمحتْ؟ كنت أرغب في القول بأن الاحتمال الأول هو الأكثر ترجيحًا، لكن أودري – باعتبارها تتمتع بالوعي الذاتي بدرجة أكبر من باقي جوانبي – كانت تنجح في الإفلات بأفعالٍ لم أكن أتوقَّعها.

انضمَّ إليَّ توبياس بينما أنا أُرتب المجلدات المتاحة إلكترونيًّا.

سألته:

– هل لديك تقرير؟

قال توبياس:

– هناك إجماعٌ عامٌّ على أن هذه التكنولوجيا قابلة للتطبيق، وأن الخطر حقيقي، لكن مي وون ترغب في التفكير بدرجةٍ أكبر في آثار تحميل عضلات الجسد بسلالات الحمض النووي المتفشِّية. يقول جي سي إننا سنحتاج إلى التأكُّد بشكلٍ مستقل من أن «I3» تحت الحجر الصحي، وأن العملاء الفيدراليين متورطون في الموضوع بالفعل. سيُخبرنا ذلك الكثير عن مدى صدق السيد تشاي معنا.

– فكرة جيدة. من هو مصدر معلوماتنا في جهاز الأمن القومي؟

قال توبياس:

– إنها إلسي. لقد عثرت على قِطتها.

أجل، قطتها. لا تدور كل مهامي حول الإرهابيين، أو نهاية العالم. بعضها عادي، وأكثر بساطة. مثل العثور على قطة تنتقل آنيًّا.

قلت بشرود:

- اتصل بها، ولنرَ ما إذا كانت ستؤكد لنا ما قاله يول بخصوص الاتصال بالسلطات.

توقف توبياس بجواري وقال:

- أتَّصِل بها؟

رفعتُ عيني عن شاشتي، ثم تضرَّج وجهي بالحمرة وقلت:

- معك حق، معذرة. كنت أتبادل الحديث مع أودري.

كانت تفقدني الشعور بالتوازن.

قال توبياس:

- آه، أودري العزيزة. أعتقد حقًّا أنها لا بد وأن تكون نوعًا ما من أنواع التعويض في ذهنك، أو طريقة لتخفيف التوتر، إذا جاز التعبير. غالبًا ما تكون العبقرية مصحوبةً بنزوات ذهنية. فقد كان تيسلا على سبيل المثال يشعر بنفورٍ مُثير للحيرة ولا مُبرر له حيال اللآلئ. كان يصرف الناس الذين يأتون إليه مُرتدين اللآلئ، ويُقال إن ...

واصل حديثه. استرخيتُ لسماع صوته، واخترتُ كتابًا عن التشفير المتقدم. عاد توبياس في النهاية إلى الحديث عن تقريره بخصوص ما توصلتْ إليه الجوانب. قال:

- يقودنا هذا إلى مسار عملنا التالي. ربما يكون اقتراح أوين هو أكثرهم صوابًا، ولن تتمكن آيفي من إكمال تحليلها النفسي ما لم نعرف المزيد عن الموضوع. يُنصح بالبدء في زيارة أسرة بانوس. بعدها، تحتاج نجوزي إلى مزيدٍ من المعلومات من الطبيب الشرعي. قد نرغب في الذهاب إلى هناك بعد ذلك.

قلت:

– اعكس ترتيب هذين الأمرين. إنها ... ماذا؟ الثالثة صباحًا؟

– السادسة.

قلت مندهشًا:

– هل صارت الساعة السادسة بالفعل؟

لم أكن أشعر بالتعب لهذه الدرجة؛ إذ إن المشاركة في مهمة جديدة، ووجود لغز بحاجةٍ إلى الحل، جعلني في حالة تأهُّب. واصلتُ قائلًا:

– حسنًا، لا زلتُ أشعر بارتياح أكثر لزيارة مكتب الطبيب الشرعي في مثل هذا الوقت المبكر، أكثر مما أشعر بالارتياح لإيقاظ أسرة بانوس. تصل ليزا إلى العمل ... في السابعة؟

– الثامنة.

لذا كان لديَّ بعض الوقت. قلت:

– ما هي الأدلة التي لدينا ضد الشركات التي قد تكون وراء هذا الأمر؟

– لدى جي سي بعض الأفكار، وهو يرغب في التحدث معك.

وجدته متكئًا على الجدار، بالقرب من المكان الذي تعمل فيه آيفي. أخذ يثرثر، مُشتِّتًا انتباهها. قبضتُ على كتفه، وسحبتُه جانبًا.

– قال توبياس إنَّ لدَيك ما تُخبرني به.

قال:

– قاتلتُنا الأجيرة، زن ريجبي.

– أجل، ماذا بها؟

لم يكن من الممكن أن تتوافر لجي سي أي معلومات جديدة عنها؛ إذ كان يعرف ما أعرفه أنا فحسب، وقد محَّصنا تلك المعلومات جيدًا بالفعل.

قال جي سي:

- كنت أفكر يا سكيني، لماذا ظهَرَت حينما كنت في موعدك؟

- لأن أرباب عملها كانوا يعلمون أنه من المحتمَل أن يأتي يول إليَّ.

- أجل، لكن لماذا يبدءون في مراقبتك في وقتٍ مبكر بهذه الدرجة؟ انظر، إن الجثة بحوزتهم، أليس كذلك؟

- هذا هو ما نفترضه.

- لذا فإن سبب مراقبتك هو تتبُّعك ومعرفة ما إذا كنت ستعثر على مفتاح البيانات. لم يكن هناك سبب لمراقبتك قبل وصول يول. أترى كيف فضح ذلك نواياهم؟ كانِ عليهم الانتظار حتى تُستدعى إلى «I3».

تمعنتُ التفكير في ذلك للحظة. كنا نُحب السخرية من جي سي، لكن الحقيقة هي أنه كان واحدًا من أكثر جوانبي اتصافًا بالعملية. كان كثير منهم يمُضون أيامهم في الحلم والتفكير، أما جي سي فكان يُبقيني على قيد الحياة.

وافقتُه قائلًا:

- يبدو الأمر غريبًا بالفعل، لكن ماذا يعني ذلك؟

قال جي سي:

- هذا يعني أنه ليست لدينا كل الحقائق. ربما كانت تحاول زن أن تزرع بنا جهاز تنصُّت، على سبيل المثال، على أمل أن نذهب إلى «I3»، ونكشف المعلومات.

وجهتُ إليه نظرة حادة، قائلًا:

- هل علينا تبديل ملابسنا؟

قال:

- هذه بداية جيدة. لكن هناك أسباب أخرى كثيرة يمكن أن تكون وراء وجودها هناك في مثل ذلك الوقت المبكر. ربما تكون موظفةً لدى شركة ثالثة، تعرف أن هناك شيئًا ما مُتعلقًا بشركة «I3»، لكنها لا تعرف ما هو الأمر تحديدًا. أو ربما لا تكون متورطة في هذه القضية على الإطلاق.

- أنت لست مقتنعًا بهذا.

وافقني قائلًا:

- لستُ مقتنعًا بذلك بالفعل، لكن لنلتزمِ الحرص، اتفقنا؟ زن خطيرة. لقد التقيتُها عدة مرات خلال مهام العمليات الحكومية السرية، وقد خلفتْ وراءها جثثًا، لعملاء أحيانًا، وفي أحيانٍ أخرى لمجرد مارَّةٍ أبرياء.

أومأتُ.

تابع جي سي الحديث قائلًا:

- ستحتاج إلى حمل سلاح. فأنت تُدرك أنني لن أتمكن من إطلاق النار عليها، في حال حدوث مواجهة.

منحتُه مخرجًا من الأمر، وقلت:

- هل ذلك بسبب معرفتكما السابقة؟

لم أرغب في دفعِه لمواجهة حقيقته، وقدمتُ له بدلًا من ذلك الأسباب التي تمنعُه من التفاعل الحقيقي مع أي شخصٍ نلتقِيه، على الرغم من كونه حارسي الشخصي.

باستثناء تلك المرة الوحيدة التي قام فيها بذلك بالفعل.

قال جي سي:

- لا، بل لا يمكنني إطلاق النار عليها لأنني لستُ موجودًا هنا حقًّا.

جفلتُ. هل ... قلت:

- جي سي، هذه خطوة كبيرة بالنسبة لك.

- لا، لقد فهمتُ الأمر. ذلك المدعو أرنو، إنه فائق الذكاء.

- أرنو؟

نظرتُ عبر الغرفة نحو الفرنسي النحيل الأصلع، الذي كان أحدث إضافة لنا.

وضع جي سي يده على كتفي قائلًا:

- أجل، فكما ترى، لدَيه هذه النظرية القائلة بأننا لسنا من نسج الخيال، أو هلاوس، أو أيًّا كان المصطلح المجنون الذي ترغب في استخدامه في الوقت الحالي. لقد قال ... حسنًا، إنه كلام كثير من أحاديث مهاويس العلم، لكن مفاده هو أنني حقيقي بكل تأكيد، إلا أنني لستُ موجودًا هنا فحسب.

- حقًّا؟

لم أكن متأكدًا من رأيي بخصوص هذا الموضوع.

قال جي سي:

- أجل. عليك سماع ما سيقوله. مرحى، أيها الأصلع!

أشار أرنو إلى نفسه، ثم أسرع نحوَنا عندما لوَّح له جي سي. أحاط جي سي الفرنسي الضئيل بذراعه، كما لو كانا صديقَين مقربَين، وبدا أن تلك الحركة جعلت أرنو يشعر بالانزعاج بصورةٍ واضحة. كان الأمر أشبه بقطٍّ يتودَّد إلى فأر.

قال جي سي:

- فلتوضح له الموضوع.

كان أرنو يتحدث بلكنةٍ فرنسية ناعمة، مثل الزبدة التي تذوب فوق دجاجةٍ مشوية. قال:

- الموضوع؟ أي موضوع تتحدث عنه؟

قال جي سي:

- أنت تعرف. تلك الأشياء التي قلتها عنا.

عدل أرنو من وضع نظارته، وقال:

- حسنًا، هممم، كما ترى، فنحن نتحدث في فيزياء الكم عن الاحتمالات. يقول أحد التفسيرات إن الأبعاد لا نهائية، وأن كل شيءٍ يُمكنه الحدوث قد حدث بالفعل. بالتالي إذا كان هذا صحيحًا، فقد كان لكل جانبٍ منًّا وجود في بُعدٍ ما، أو في أحد الأماكن المحتملة، كشخصٍ حقيقي. إنها فكرة غريبة، ألا تتفق معي في هذا يا ستيفن؟

قلت:

- إنها فكرة غريبة حقًّا. وهي ...

قاطعني جي سي قائلًا:

- إذن، أنا حقيقي. لقد قال هذا الرجل الذكي ذلك للتو.

قال أرنو:

- لا، لا. لقد أشرتُ فقط إلى أنه من المحتمَل أن يكون هناك في مكانٍ ما، في مكانٍ وزمان آخر، شخص مُطابق بالفعل ...

دفعه جي سي جانبًا، وأحاط كتفي بذراعه، وأداري بعيدًا عن أرنو. قال:

- لقد فهمتُ الأمر يا سكيني. نحن جميعًا من ذلك المكان الآخر، وعندما تحتاج أنت إلى بعض المساعدة، تتواصَل معنا وتنتزعنا من عالمنا. أنت ساحر فيزياء من نوعٍ ما.

- ساحر فيزياء؟

- أجل، كما أنني لستُ فردًا من أفراد قوات العمليات الخاصة البحرية. عليَّ أن أتقبل ذلك فحسب.

توقف عن الحديث، قبل أن يواصِل قائلًا:

- أنا حارس زمني بين الأبعاد.

نظرتُ إليه وعلى شفتِي ابتسامة عريضة.

لكنه كان جادًّا تمامًا.

قلت:

- جي سي، هذا سخيف، مثل نظرية أوين المتعلقة بالأشباح.

قال جي سي بعناد:

- إنها ليست سخافة. انظر، بخصوص تلك المهمة في القدس، ما الذي حدث هناك في النهاية؟

ترددتُ. كنت محاصرًا، ويدي ترتجف بينما أمسك بمسدس أعرف بالكاد كيفية استخدامه. في تلك اللحظة، أمسك جي سي بذراعي ووجَّهه، مما جعلني أُطلق النار بالنمط الدقيق المطلوب لإسقاط كل فردٍ من العدو.

قلت:

- أنا أتعلم بسرعة. الفيزياء، والرياضيات، واللغات ... أحتاج فقط إلى قضاء وقتٍ قصير في الدراسة، ويمكنني بعدها أن أصبح خبيرًا، من خلال أحد جوانبي. ربما لا تختلف الرماية عن هذا. لقد

درستُها، وأطلقتُ النار عدة مرات في ميدان الرماية، وأصبحتُ خبيرًا. لكن هذه المهارة مختلفة - لا يُمكنك مساعدتي من خلال الحديث - لذا لم أتمكن من استغلالك بشكلٍ صحيح، حتى تخيلتُ أنك ترشدني. لا يختلف الأمر كثيرًا عما تفعله كالياني عند إرشادي خلال الحديث بلغةٍ أخرى.

قال جي سي:

- أنت تبالغ. لماذا لم ينجح هذا مع أي مهارةٍ أخرى جربتها؟

لم أعرف الجواب.

عاد جي سي ليقول بعناد:

- أنا حارس زمني.

- إذا كان ذلك صحيحًا - وهو ليس كذلك - ألن تغضب مني لانتزاعك من حياتك الأخرى، وإبقاء شبحك الكمِّي حبيسًا هنا؟

قال جي سي:

- لا، هذه هي مهمتي، وهي عقيدة حارس الزمن. علينا حماية الكون، وفي الوقت الحالي، فإن هذا يعني حمايتك بقدْر استطاعتي.

- أوه، بحق الـ . . .

قاطعني جي سي قائلًا:

- ألا نعاني من ضيق الوقت؟ يجب أن تتحرك.

قلت:

- لا يمكننا فعل الكثير حتى يحلَّ الصباح.

لكنني تركتُ نفسي أنتقل إلى موضوع آخر. لوحتُ لتوبياس كي يأتي، وقلت:

- فلتبقِ الجميع منشغلين بالعمل. سأذهب للاستحمام، ثم سأقرأ لبعض الوقت. بعد ذلك، سننزل إلى الميدان.

قال توبياس:

- سأفعل. والفريق الميداني مكون من ...؟

قلت:

- كالمعتاد. أنت، وآيفي، وجي سي، و ...

تجولتُ بنظري في أرجاء الغرفة، ثم تابعتُ قائلًا:

- وسنرى مَن أيضًا.

وجه لي توبياس نظرة مليئة بالفضول. قلت:

- اجعل الفريق يُقابلني في المرآب، جاهزًا للانطلاق، في السابعة والنصف.

9

ضبطتُ كتاب التشفير ليصير كتابًا صوتيًّا، ورفعتُ الصوت، وزدتُ السرعة لتصبح أسرع من معدلها الطبيعي بخمس مرات. كان الحمام التالي لذلك طويلًا ومنعشًا. لم أنشغل بالتفكير في المشكلة، بل تعلمتُ فحسب.

عندما دخلت غرفة نومي مرتديًا رداء الحمام، وجدتُ أن ويلسون قد أعد لي وجبة الإفطار، بالإضافة إلى كوبٍ طويل من عصير الليمون. أرسلتُ له رسالة نصية، أطلب منه فيها أن يجعل السائق يُعد سيارة الدفع الرباعي الرياضية، وهي أقل لفتًا للأنظار بكثير، من ركوب الليموزين في السابعة والنصف صباحًا.

انتهيتُ من الكتاب أثناء تناول الطعام، ثم اتصلتُ بإلسي، مصدر معلوماتي في جهاز الأمن القومي. لسوء الحظ، أيقظتها من النوم، لكنها كانت لا تزال على استعدادٍ لأن تتحقق لي من الأمر. اتصلتُ بمكتب الطبيب الشرعي، فأجابني البريد الصوتي، لكنني تركت رسالةً لليزا. وبينما كنت أنتهي من تسجيل الرسالة، تلقيت رسالة نصية من إلسي. كانت شركة «I3» موضوعة تحت الحجر الصحي بالفعل، مع قيام مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها بالتحقيق، وتدخُّل مكتب التحقيقات الفيدرالي في الأمر.

دخلتُ المرآب بعدها بفترة قصيرة، مُرتديًا ملابسي ومنتعشًا إلى حدٍّ ما، وفي الوقت المناسب للرحيل. هناك وجدتُ ويلسون نفسه – بوجهه المربع، ونظارته ذات البعد البؤري المزدوج، وشعره الأشيب – ينفض ذرةً من شيءٍ ما مِن على قبعة السائق، التي شرع يضعها على رأسه.

قلت:

– انتظِر، أليس من المفترض أن يكون توماس موجودًا صباح اليوم؟

قال ويلسون:

– لسوء الحظ، لن يأتي إلى العمل اليوم، ولا في أي وقتٍ آخر على ما يبدو، حسب رسالته هذا الصباح.

قلت:

– أوه، لا. ما الذي حدث؟

– ألا تتذكر أنك أوضحتَ له كونك من عبدة الشيطان، يا سيد ليدز؟

قلت:

– أنا من عبدة الشيطان بنسبة اثنين بالمائة، كما أن زافيير تقدُّمي للغاية بالنسبة إلى كونه من عبدة الشيطان. فهو لم يجعلني أُضحي بأي شيءٍ آخر على الإطلاق سوى الدجاج الخيالي.

– أجل، حسنًا ...

تنهدتُ. ها نحن خسرنا خادمًا آخر. قلت:

– يمكننا استدعاء سائق لهذا اليوم. سهرنا حتى وقتٍ متأخر الليلة الماضية. لا يتعين عليك العمل في مثل هذا الوقت المبكر.

قال ويلسون:

- لا مانع لديَّ. يجب أن يقوم شخصٌ ما على رعايتك، يا سيد ليدز. هل نِمت على الإطلاق؟

- آه ...

- فهمتُ. وهل تناولتَ أي شيءٍ على العشاء الليلة الماضية قبل أن ينتهي بك الأمر في الصحف الصفراء؟

- هل نُشرت الحكاية بالفعل، إذن؟

- نُشِرت في جريدة «ذا ماج»، كما نُشِرت على موقع «سكواكر» صباح اليوم، إلى جانب مقالٍ كتبتْهُ الآنسة بيانكا نفسها. لقد فوَّتَّ وجبة العشاء، كما فوَّتَّ الغداء بالأمس أيضًا، لإصرارك على أنك لا تُريد إفساد شهيتك قبل الموعد.

بل في الغالب لم أكن أريد التقيؤ بدافعٍ من الشعور بالتوتر. مددتُ يدي نحو مقبض باب السيارة، وقلت:

- لا عجبَ أن الإفطار كان شهيًّا.

وضع ويلسون يدَه على ذراعي قائلًا:

- لا تنشغل كثيرًا بإنقاذ العالَم يا سيد ليدز، بدرجةٍ تنسى معها الاعتناء بنفسك.

ربَّت على ذراعي، ثم جلس في مقعد السائق.

كان فريقي بالداخل، ما عدا أودري، التي اقتحمت المرآب مُرتديةً سترة ووشاحًا. لم يظهر أي جانب آخر عقب قراءتي للكتاب، واكتسبت أودري المعرفة، كما توقعتْ. أسعدني ذلك، إذ إن كل جانبٍ جديد كان يضيف ضغطًا زائدًا عليَّ، وكنت أفضل أن يتعلَّم القدامى أشياء جديدة. على الرغم من ذلك، كان من الممكن أن يُمثل وجود أودري في المهمة نوعًا خاصًّا من أنواع المصاعب.

فتحتُ لها الباب قائلًا:

- أودري، إنه شهر يونيو تقريبًا. أترتدين وشاحًا؟

قالت بابتسامةٍ عريضة:

- حسنًا، ما فائدة أن تكون من وحي الخيال، إذا كنت لا تستطيع تجاهل الطقس؟

ألقت بوشاحِها فوق كتفِها على نحوٍ مسرحي، ثم دخلتِ السيارة، ودفعت جي سي بمرفقها في طريقها.

زمجر فيها قائلًا:

- إذا أطلقتُ عليك النار يا امرأة، فسوف تشعرين بالألم. يمكن لرصاصاتي أن تؤثر على المادة بين الأبعاد.

قالت:

- يمكن لرصاصاتي أنا الالتفاف حول الزوايا، كما أنها تجعل الزهور تنمو.

استقرت في مقعدِها بين آيفي وتوبياس، ولم تربط حزام الأمان.

ستكون هذه مهمة مشوِّقة.

خرجنا إلى الطريق، وحل الصباح. كان النهار مشرقًا، وساعة الذروة في أوْجِها. صوَّبتُ نظري خارج النافذة، وانشغلتُ بالتفكير لبعض الوقت، حتى لاحظتُ جي سي يعبث بحقيبة آيفي.

قلت:

- آه ...

أبعد جي سي يد آيفي وهي تحاول استعادة حقيبتها، وقال:

- لا تلتفتي.

أخرج مرآة ماكياجها الصغيرة، ورفعها كي يُلقي نظرةً وراء كتفِه عبر النافذة الخلفية، إذ إنه لم يكن يريد أن يدير وجهه.

تابع حديثه قائلًا:

- أجل، من المحتمَل أن يكون هناك من يتتبعنا.

سألته آيفي:

- من المحتمَل؟

حرك جي سي المرآة قائلًا:

- يصعب الجزم بذلك. لا تُوجَد لوحة أرقام أمامية للسيارة.

سألته:

- هل تعتقد أنها هي؟ القاتلة الأخيرة؟

قال جي سي:

- أُكرر مرة أخرى: لا تُوجَد طريقة للجزم بذلك.

نقرتْ أودري رأسها والمعلومات الجديدة التي بداخلها، وقالت:

- قد تكون هناك طريقة. هل تريد أن تجرب بعض القرصنة يا ستيفو؟

قالت آيفي:

- القرصنة؟ كما هو الحال في قرصنة الكمبيوتر؟

أدارت أودري عينيها في محجرَيهما وقالت:

- لا، كما هو الحال في السعال. هاك، سوف أكتب لك بعض التعليمات.

راقبتُها بفضول بينما هي تدون على عجلٍ قائمةً من التعليمات، ثم ناولَتْها إليَّ. كانت ورقة خيالية، لكنني لم أستطع تمييز ذلك. تناولتُها وقرأتُ التعليمات، ثم ألقيتُ نظرة خاطفة على أودري.

قالت أودري:

- عليك أن تثق بي.

- لقد قرأتُ لك كتابًا واحدًا فحسب.

- كان ذلك كافيًا.

تفحَّصتها، ثم هززتُ كتفي وأخرجت هاتفي. كان الأمر يستحقُّ المحاولة. اتبعتُ تعليماتها، واتصلتُ بمطعم «إف آي جي »، حيث تناولتُ الطعام -أو على الأقل طلبتُ الطعام - في الليلة الماضية. رن الجرس، ولحُسن الحظ كان طاقم العمل خلال فترة الإفطار موجودًا بالفعل. أجابني صوت غير مألوف، قائلًا: «مرحبًا».

اتبعتُ تعليمات أودري، وقلت:

- أجل، مرحبًا. لقد تناولتْ زوجتي الطعام لديكم الليلة الماضية، لكن صادفتنا حالة طوارئ عائلية، واضطرَّتْ للرحيل على عجل، قبل الانتهاء من طعامها. في الواقع، كانت في عجلة من أمرها، لدرجة أنها استخدمت بطاقة ائتمان العمل للدفع، بدلًا من بطاقتنا المنزلية. كنتُ أتساءل عما إذا كان بوسعي تبديل البطاقتَين.

قالت المرأة على الطرف الآخر من الهاتف:

- حسنًا، ما الاسم؟

استخدمتُ الاسم المستعار الذي استغلَّتْه زن للحجز، وقلت:

- كارول وستمنستر.

مرَّت بضع دقائق. أملتُ أن تكون إيصالات الليلة الماضية لا تزال في متناول اليد. وبالفعل، بعد تقليب الأوراق للحظة، عادت المرأة إلى الهاتف وقالت:

- حسنًا، ما هو الاسم المدون على البطاقة الجديدة؟

- ما هي البطاقة التي استخدمتها؟

بدأ الارتياب يظهر في صوت المرأة، وقالت:

- إنها بطاقة كي تراست، تنتهي برقم 3409.

أجبتها قائلًا:

- أوه! حسنًا، يبدو في النهاية أن هذه هي البطاقة الصحيحة. شكرًا لك، على أي حال.

بدت المرأة منزعجةً قبل أن تغلق الهاتف، وقالت:

- رائع، شكرًا.

دونتُ الرقم في دفتر ملحوظاتي الذي أحمله في جيبي.

قال جي سي:

- هل تُسمِّي ذلك قرصنة؟ ما الهدف؟

قالت أودري:

- انتظر، وسترى.

شرعتُ أتَّصل بالفعل برقم البنك الخاص بمنع الاحتيال لبطاقات الائتمان. واصلنا السير بالسيارة، وانحرفنا في مخرجٍ إلى الطريق السريع المتجه جنوبًا، بينما كنت أستمع إلى موسيقى الانتظار على الهاتف. وبجواري، أبقى جي سي عينَيه على ذلك الذي افترض أنه يتتبعنا، من خلال مرآة آيفي. أومأ إليَّ، إذ كانوا قد تبعونا على الطريق السريع.

عندما انتهيتُ أخيرًا من كل القوائم، وموسيقى الانتظار، والتحذيرات القائلة بأنه قد يتمُّ تسجيل مكالمتي، انتهى بي الأمر مع رجلٍ لطيفٍ بلكنة جنوبية على الطرف الآخر من الخط. سألني:

- كيف يُمكنني مساعدتك؟

قلت:

– أحتاج إلى الإبلاغ عن بطاقة ائتمان مسروقة. لقد سُرقت حقيبة زوجتي من منزلنا الليلة الماضية.

– حسنًا، ما الاسم المدون على البطاقة؟

– كارول وستمنستر.

– ورقم البطاقة؟

حاولتُ أن أبدو غاضبًا، وقلت:

– ليس لديَّ الرقم. ألم تنتبِه لما قلتُه بخصوص ضياع البطاقة؟

– سيدي، كل ما عليك هو البحث على الإنترنت . . .

– لقد حاولتُ! كل ما يُمكنني رؤيته هو آخر أربعة أرقام.

– عليك أن . . .

قاطعته قائلًا:

– يمكن أن يكون هناك شخص ما ينفق أموالي الآن. هل لدينا الوقت لهذا؟

– سيدي، لديك حماية ضد الاحتيال.

– أنا آسف، معذرة. أنا قلِق فحسب. لا ذنب لك في الأمر. ولا أعرف ما يتعين عليَّ القيام به. أرجوك، يمكنك المساعدة، أليس كذلك؟

زفر الرجل على الطرف الآخر من الخط، كما لو أن تغيُّر نبرة صوتي أشار لكونه تفادى للتوِّ واقعةً صعبة محتملة الحدوث. بدا صوته أكثر استرخاء وهو يقول:

– فلتُخبرني إذن بالأربعة أرقام الأخيرة فحسب.

– يوضح جهاز الكمبيوتر رقم 3409.

– حسنًا، لنرَ . . . هل تعرف الرقم السري، يا سيد وستمنستر؟

- آه ...

- رقم الضمان الاجتماعي المرفق بالبطاقة؟

قلت بثقة:

- 805-31-3719

ساد الصمت للحظة، قبل أن يقول:

- هذا لا يتطابق مع سجلاتنا، يا سيدي.

- لكن هذا هو رقم الضمان الاجتماعي الخاص بي.

- ربما كان الرقم الذي لديَّ هو رقم زوجتك يا سيدي.

- لماذا يهم ذلك؟

قال الرجل بصوتٍ محايد وصبور، كمن اعتاد على الحديث عبر الهاتف كل يوم مع أشخاصٍ يستحقُّون الخنق:

- لا يُمكنني السماح لك بإجراء أي تغيير حتى أتحقَّق من الأمر يا سيدي.

سألته:

- هل أنت متأكد؟

- أجل يا سيدي. معذرة.

قلت:

- حسنًا، أعتقد أنه يمكنك الاتصال بها. إنها في طريقها إلى العمل، وليس لديَّ رقم ضمانها الاجتماعي.

قال الرجل:

- يُمكنني القيام بذلك. هل الرقم المسجل لدينا صحيح؟

سألته:

- أي رقم هذا؟ كان هاتفها الجوال في حقيبتها.

- 555-626-9013

دونتُ الرقم سريعًا، وقلت:

- تبًّا! هذا هو رقم الهاتف المسروق. سأضطر إلى الاتصال بها عندما تصل إلى العمل، وسأطلب منها الاتصال بك.

- حسنًا. هل هناك أي شيءٍ آخر يا سيدي؟

- لا، شكرًا لك.

أغلقتُ الهاتف، وأدرتُ الدفتر كي أظهر الرقم للآخرين.

- رقم هاتف القاتلة الأجيرة.

قال جي سي:

- رائع، يمكنك الآن دعوتها للخروج.

أدرتُ الدفتر، وتأملتُ الرقم.

- أتدري، كان الأمر سهلًا بدرجةٍ صادمة، إذا أخذنا كل شيءٍ في الاعتبار.

قالت أودري:

- تقتضي القاعدة الأولى لفك التشفير أنه إذا لم يكن يتعين عليك فك الشفرة، فلا تفعل. عادة ما يكون الناس أقل أمانًا بكثير من استراتيجيات التشفير التي يلجئون إليها.

قلت:

- ما الذي سنفعله بهذا، إذن؟

قالت أودري:

- حسنًا، هناك تطبيق صغير ستحتاج إلى تنزيله على هاتفك أولاً. جي سي، أي من المنافسين الثلاثة تعتقد أنه من المرجَّح أن يكون قد وظف تلك المرأة؟

قال جي سي من دون تردد:

- إكسيلتيك. إنهم الأكثر يأسًا من بين الثلاثة. تلقوا التمويل لسنوات، من دون تحقيق تقدُّمٍ ملحوظ، وقد بدأ المستثمرون يراقبونهم من كثب، كما أن لديهم تاريخًا من التجسُّس، وتحيط بهم الشكوك الأخلاقية. خضعوا لثلاث تحقيقات، من دون التوصل إلى نتائج قاطعة.

قالت أودري:

- تحوي هذه الرزمة أرقام هواتف مديريهم التنفيذيين.

ابتسمتُ، وبدأتُ في العمل على الهاتف. بعد فترةٍ وجيزة، أعددتُ هاتفي المحمول لإرسال معلوماتٍ مزيفة إلى كاشف هوية المتصل الخاص بزن، ليُشير إلى كوني ناثان هايت، مالك إكسيلتيك.

قالت أودري:

- اجعل ويلسون يستعدُّ للضغط على آلة التنبيه.

طلبتُ منه الاستعداد، ثم اتصلتُ بالرقم.

رن مرة. مرتين.

بعدها ردت.

قال صوت نسائي بنبرة فظة:

- ماذا هناك؟ أنا مشغولة.

أشرتُ لويلسون، فضغط على آلة التنبيه مُصدرًا صوتًا مرتفعًا.

سمعتُ الصوت عبر الهاتف أيضًا. كانت زن تتبعنا بكل تأكيد. ضغطتُ الزرَّ الموجود في تطبيق هاتفي، والذي كان يُقلد صوت الوشيش في الخط، ثم قلتُ شيئًا كنت أعرف أنه سيتشوَّه بالدرجة التي تجعل من الصعب تمييزه.

أطلقتْ زن السباب، ثم قالت:

- لا يُهمني مدى توتر الشركاء الآخرين. لن يؤدي الاستمرار في إزعاجي إلى الإسراع من سير الأمور. سأرسل تقريرًا حينما أعرف شيئًا ما. حتى ذلك الحين، دعني وشأني.

أغلقتِ الهاتف.

قال جي سي:

- كانت هذه هي أغرب قرصنة رأيتُها على الإطلاق.

بدت أودري متعجرفةً وهي تقول:

- هذا لأنك لا تعرف ماهية القرصنة بالفعل. كل ما تتخيَّله هو مهاويس التكنولوجيا أمام الكمبيوتر، لكن في الواقع، فإن معظم من يمارسون «القرصنة» اليوم - على الأقل هذا هو ما تصف به وسائل الإعلام الأمر - يقضون وقتهم على الهاتف فحسب، في محاولةٍ لاستخلاص المعلومات.

قالت آيفي:

- إذن، فنحن نعلم أنها تتبعنا. كما نعرف اسم الشركة المنافسة لنا. مما يُخبرنا مَن بحوزته الجثة.

قلت:

- ليس الأمر مؤكدًا، لكنه يبدو مبشرًا.

نقرتُ هاتفي وأنا مُستغرق في التفكير، بينما ابتعد ويلسون عن الطريق السريع، وبدأ يقود السيارة في وسط المدينة.

تابعتُ قائلًا:

- هل هناك أي نصائح؟

قالت آيفي:

- علينا أن نتجنَّب التورُّط في الأمر بما يفوق قدراتنا، إذا كان ذلك ممكنًا بالنسبة لنا.

قال توبياس:

- أتفق في الرأي. ستيفن، إذا عثرنا على دليل بأن إكسيلتيك هم من سرقوا الجثة، فقد يصبح مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها على استعداد لمداهمة مقرهم.

قال جي سي:

- يمكننا مداهمة مقرهم بأنفسنا، والاستغناء عن الوسيط.

أجابه توبياس:

- أُفضل عدم القيام بأي عملٍ غير قانوني، على وجه التحديد.

قال جي سي:

- لا تقلق، بصفتي حارسًا زمنيًّا بين الأبعاد، فلديَّ تصريح خاص رقم 876، يسمح لي بتجاهل التشريعات القانونية المحلية في أوقات الطوارئ. انظر يا سكيني، سينتهي بنا المطاف إلى فضح إكسيلتيك، يمكنني الشعور بذلك. حتى إذا لم تكن الجثة محفوظة في مقرِّهم المحلي، فسيكون هناك أثر يقود إليها، في مكانٍ ما هناك.

أضافت أودري قائلة:

- إذا كان لرأيي أي أهمية، فأنا أتفق مع جي سي. يبدو اقتحام المكان ممتعًا.

تراجعتُ في مقعدي، واستغرقتُ في التفكير. أخيرًا قلت:

- سوف نذهب إلى الطبيب الشرعي.

تلقيتُ إيماءةً من توبياس وآيفي، وواصلتُ قائلًا:

- أفضل أن نعثر على دليلٍ يُدين إكسيلتيك، وبعد ذلك نقوم بغارة رسمية.

كانت هناك خطة قد بدأت تتشكل في ذهني.

أضفتُ قائلًا:

- علاوة على ذلك، فإن اقتحام المكان ليس هو الطريقة الوحيدة لاكتشاف ما تعرفه إكسيلتيك.

10

انطلقت السيارة في أحد شوارع المدينة التي بدأت تستيقظ للتو، وقد شرعت المصابيح تنطفئ الآن بعد أن أشرقت الشمس بالكامل، كخدم يحنون رؤوسهم أمام ملكهم. كانت مشرحة المدينة بالقرب من المستشفى، وتقع داخل مجمع شركات مترامي الأطراف، كان يمكن أن يتسع بسهولة لثلاثٍ أو أربعٍ من شركات الإنترنت الناشئة المثيرة. مررنا بشجيرات وأشجار مقصوصة بعناية، وأنوار عيد الميلاد لا تزال ملتفّةً حولها منذ العام الماضي، في سبات حتى يبدأ الموسم مرة أخرى.

قال لي جي سي:

- حسنًا، هل أنت مستعد لهذا؟

قلت:

- مستعد؟

قال:

- هناك قاتلة أجيرة تُلاحقنا يا سكيني. ذلك الإحساس الذي تستشعره بين لوحَي كتفَيك، ناتج عن إدراكك أن هناك من يُصوب عليك السلاح. يمكنها الضغط على الزناد في أي لحظة.

قالت آيفي:

- لا تكن سخيفًا. إنها لن تؤذِيَنا، طالما أنها تعتقد أننا نقودها إلى معلومات مهمة.

قال جي سي:

- هل أنت متأكد؟ لأنني لست متأكدًا. قد يقرر رؤساؤها في أي لحظة أن عملك لصالح يول أمر سيء للغاية. قد يقررون التخلُّص من منافسيهم، والمجازفة بالبحث عن المفتاح بأنفسهم.

قال ذلك بطريقةٍ باردة وصريحة، جعلتني أشعر بالخوف.

قالت آيفي:

- أنت لا تُحب أن يلاحقك أحدهم فحسب.

- تبًّا، أنت محقة.

- انتبه لألفاظك.

قال جي سي:

- انظر، لدى زن معلومات نرغب بشدة في معرفتها. إذا قبضنا عليها، قد يوفر لنا ذلك وحدَه ما نحتاجه من دليل. نعرف مكانها، كما أن عامل المفاجأة في صالحنا. إلى أي مدًى تعتقد أنك تستطيع تنفيذ عملية إخلاء هادئة؟

قلت:

- ليس بدرجةٍ كبيرة.

قال جي سي:

- دعنا نُجرب على أي حال.

ثم أشار وهو يواصل قائلًا:

- أترى ذلك المنعطف الكائن أمامنا مباشرة، في طريقنا إلى ساحة انتظار السيارات؟ سيُخفينا سياج الشجيرات هناك، بعيدًا عن

مرأى السيارة التي تتبعنا. ستحتاج إلى الخروج من السيارة هناك – لا تقلق، سوف أساعدك – واطلب من جيفز إيقاف السيارة أمام المبنى، بجوار الشجيرات. هكذا يمكننا التفوُّق على زن، وقلب هذه المطاردة رأسًا على عقب.

قالت آيفي:

– هذا تهور.

كان تهورًا بالفعل، لكنني حسمتُ أمري مع اقتراب المنعطف. قلت:

– دعونا ننفذ الأمر. ويلسون، سأتسلل خارجًا من السيارة عند المنعطف التالي. واصل القيادة كما لو أن شيئًا لم يحدث، ولا تُبطِّئ السرعة أكثر من المعتاد. أوقف السيارة أمام المشرحة مباشرة، ثم انتظر.

عدل مرآة الرؤية الخلفية كي يتمكن من النظر إلى عينَي. لم يقل شيئًا، لكنني رأيتُ أنه يشعر بالقلق.

عندما أدار المرآة، تمكنتُ من اختلاس نظرةٍ خاطفة إلى السيارة الداكنة خلفنا. تحسستُ أسفل سترتي، بحثًا عن المسدس الذي أصرَّ جي سي أن أحضره. لم تكن هذه هي الطريقة التي أفضل أن تسير بها المهام. كنت أفضل قضاء عشر ساعات في غرفة، محاولًا حل أحجية، أو فتح خزنة من دون قفل. لماذا بدت الأمور وكأنها تتطلب وجود الأسلحة دومًا في الآونة الأخيرة؟

اقتربتُ من الباب الجانبي، ثم جلستُ القرفصاء وأنا مُمسك بالمقبض. انتقل جي سي ليصير ورائي، ووضع يدَه على كتفي.

عدَّ قائلًا:

– خمسة، أربعة، ثلاثة . . .

أخذتُ نفسًا عميقًا.

- اثنان، واحد!

فتحتُ الباب تمامًا في نفس اللحظة التي دار فيها ويلسون بالسيارة حول السياج. دفعني جي سي من ظهري، وتمكن بطريقةٍ ما من أن يفعل ذلك على نحوٍ صحيح تمامًا، بحيث تدحرج جسدي المكور بعد أن اصطدم بالأرض، عقب خروجي من السيارة، إلا أن ذلك كان لا يزال مؤلما.

أدَّت سرعة دوران السيارة إلى إغلاق الباب، بينما تدحرجتُ أنا وجثمتُ بجوار السياج، حيث انتظرتُ حتى سمعتُ السيارة التي تتبعنا تبدأ في الدوران حول المنعطف.

تسللتُ عبر السياج إلى الجانب الآخر، في نفس اللحظة التي دارت فيها السيارة حول السياج وهي تتبع ويلسون. كان هذا يعني أن جدارًا قصيرًا من أوراق الشجر الكثيفة يفصل بيني وبين زن، وقد امتدَّ بطول ساحة انتظار السيارات هنا.

أسرعتُ خلف السياج، وأبقيتُ رأسي منخفضًا، وأنا أواكب سيارة زن. تجاوزتْ ويلسون وهو يوقف السيارة، ثم واصلتِ التحرك بطريقةٍ يفترض ألا تثير الشكوك، نحو جزءٍ آخر من ساحة انتظار السيارات. اختلستُ نظرات خاطفة نحو السيارة السوداء، عبر فجوات في السياج. بدا السائق غارقًا في الظلال، لكن لم يكن هناك أي شخص آخر ظاهر. توقفت السيارة في مكان على مسافة قصيرة من نهاية السياج.

تعالى حفيف أوراق الشجر أمامي، وتسلل جي سي من خلالها ومُسدسه في يده، لينضمَّ إليَّ. همس لي قائلًا:

- أحسنت. سنصنع منك حارسًا في نهاية المطاف.

قلت:

- كانت دفعتك لي هي ما ساعدني. جعلتني أتدحرج بالطريقة الصحيحة تمامًا.

- قلت إنني سأقدم لك العون.

لم أقل شيئًا، إذ منعني شعوري بالتوتر من مواصلة الحديث.

بدأتُ أجسد شيئًا جديدًا، كامتدادٍ لنظامي السابق المعتاد. ما الذي يمكنني تعلُّمه أيضًا من خلال جعل أحد جوانبي يوجِّه أصابعي أو خطواتي؟

اختلستُ النظر عبر السياج، ثم أخرجت مُسدسي. أشار لي جي سي بعنفٍ كي أُخفيه أمامي، حتى لا تراه السيارات المارة في الطريق على يميني. بعدها، أومأ جي سي نحو فتحة في السياج.

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن أعبر من خلاله، وأقطع المسافة القصيرة إلى سيارة زن. تبعني جي سي. اقتربتُ من السيارة منحنيًا.

سألني جي سي:

- مستعد؟

أومأتُ برأسي.

- أبقِ إصبعك على الزناد يا سكيني. الأمر جدِّي.

أومأتُ ثانية. كانت نافذة الراكب الجانبية مفتوحة، فوقي مباشرة. أخذت راحتي تتصبب عرقًا، ووقفتُ فجأة موجهًا مسدسي إلى السائق، عبر النافذة المفتوحة.

لم تكن القاتلة المأجورة.

11

كان السائق فتى داكن الشعر، ربما في الثامنة عشرة من عمره، يرتدي سترة لها قلنسوة. صاح وأسقط المنظار الذي كان يستخدمه لمراقبة سيارتي، وصار وجهه شاحبًا كالثلج وهو يحدق إلى مسدسي.

لم يكن زن ريجبي، بكل تأكيد.

تحول جي سي بنظره في ساحة انتظار السيارات، وقال:

- اركب السيارة يا سكيني. في المقعد الخلفي، حتى لا يتمكن من الإمساك بك. مُرْه بالصمت، وحاول ألا تبدو مثيرًا للريبة.

أملتُ ألا يلحظ الفتى أن مسدسي يهتز في يدي، وقلت له:

- أبقِ يدَيك حيث يمكنني رؤيتهما، ولا تنطق بكلمة.

فتحتُ الباب الخلفي ودخلت السيارة، لكنني أبقيتُ المسدس مصوبًا عليه.

بقي الفتى هادئًا، باستثناء أنينٍ مكتوم في حلقه. كان إما مرعوبًا، أو ممثلًا فائق البراعة.

رفعتُ المسدس إلى رأسه قائلًا:

- أين زن؟

قال:

- من؟

- لا تمارس معي الألاعيب. أين هي؟
- لا أعرف ... لا أعرف شيئًا ...

شرع الفتى يبكي.

وقف جي سي بجوار النافذة الأمامية وقال:

- تبًا. هل تعتقد أنه يمثل؟

أجبته قائلًا:

- ليست لديَّ فكرة.
- ينبغي أن أحضر آيفي.

قلت:

- لا.

لم أرغب في أن يتركني بمفردي. تفحصتُ وجه الفتى الباكي المنعكس في مرآة الرؤية الخلفية. كان له لون بشرة سكان حوض البحر الأبيض المتوسط ... ونفس الأنف ...

همس الفتى قائلًا:

- لا تقتلني. أردتُ معرفة ما الذي فعلتموه به فحسب.

خمنتُ قائلًا:

- أنت شقيق بانوس.

أومأ الفتى برأسه، وهو لا يزال يبكي.

قال جي سي:

- أوه، اللعنة. لا عجب أنه كان من السهل للغاية رؤية من يتعقَّبنا. كان هناك شخصان يتتبعاننا: أحدهما هاوٍ، والآخر محترف. يا لي من أحمق.

سرَت فيَّ البرودة. كنت قد سمعتُ آلة تنبيه ويلسون عبر الخط، وأنا على الهاتف مع زن، مما يعني أنها كانت قريبة، لكننا لم نرصُدها. ظلَّت زن غير مرئيةٍ بالنسبة لنا، طوال الوقت.

كان ذلك أمرًا سيئًا.

سألتُ الفتى:

- ما اسمك؟

- ديون.

- حسنًا يا ديون، سوف أُبعد المسدس. إذا كنت من تدَّعي حقًّا، فلا داعي للخوف. سأحتاج منك أن تأتي معي، وإذا بدأت في الجري، أو الصراخ، أو شيء من هذا القبيل ... حسنًا، سأضطر إلى إيقافك.

أومأ الفتى برأسه.

نزلتُ من السيارة بعد أن أعدتُ مسدسي إلى جرابه، وجذبتُ الفتى من كتفِه. بعد تفتيشه سريعًا، اتضح أنه لم يكن مُسلحًا، على الرغم من أنه كان يظن نفسه جاسوسًا ماهرًا. كان بحوزته مصباح يدوي، وقناعُ تزلج، وهاتف محمول، أخذته منه وأطفأته. دفعتُه عبر ساحة انتظار السيارات، وأنا مدرك تمامًا أن تفاعلنا هذا سيبدو مُريبًا للغاية لأي شخصٍ يراقبنا. لكن توجيهات جي سي ساعدتني على الاستمرار في التصرف وكأنني أعرف ما أفعله، وذراعي على كتف الشابِّ بينما أسير بخُطًى واثقة. كنا في مجمع حكومي، وأملتُ أن يعتقد أي شخصٍ يرانا أنني شرطي.

وإذا لم يفعلوا ... حسنًا، فلن تكون هذه هي المرة الأولى التي تُستدعى فيها الشرطة للتعامُل معي. أعتقد أنه كان لديهم رهان جارٍ في القسم، بخصوص عدد المرات التي يتم استدعاؤهم فيها بسببي.

دفعتُ ديون داخل سيارتي، ثم دخلتُ وأنا أشعر بأمانٍ أكثر في وجود النوافذ الداكنة، وفي حضور مزيدٍ من جوانبي. انتقل ديون إلى المقعد الخلفي وارتمى هناك، مُجبرًا أودري على الجلوس على حجر توبياس، مما كان غير مُتوقع للغاية، لدرجةٍ بدا معها ذلك الجانب العجوز وكأنه على وشك الاختناق.

قلت:

- ويلسون، من فضلك حذِّرني إذا اقترب أحد. حسنًا، يا ديون، خبِّرني بما لديك. لماذا تتعقَّبني؟

قال ديون:

- لقد سرقوا جثة بانوس.

- عندما تقول «سرقوا»، فأنت تعني . . .

- شركة «I3».

- ولِمَ يفعلون شيئًا كهذا، بحق السماء؟

قال ديون:

- من أجل المعلومات. أتدري أنه كان يحتفظ بها في خلاياه؟ جميع أسرارهم، وكل الفظائع التي كانوا سيرتكبونها.

تبادلتُ النظر مع جي سي، الذي غطَّى وجهه بكفَّيه بعدها. تحدث بانوس مع أسرته بخصوص أبحاثه. رائع. رفع جي سي يدَيه عن وجهه، وحرك شفتَيه هامسًا لي:

- هذا كابوس أمني.

قلت:

- وما هي طبيعة تلك الفظائع التي تعتقد أن شركة «I3» كانت ستُقدِم عليها؟

نظر ديون جانبًا وقال:

- أنا ... أنت تعرف، أشياء متعلقة بالشركات.

خمَّنت أودري قائلة:

- مثل منع الحضور بملابس غير رسمية في أيام الجمعة.

إذن لم يكن بانوس قد أسرَّ لشقيقه بكل شيء. نقرتُ بأصابعي على مسند الذراع. افترضتِ العائلة أن يول وأتباعه أخذوا الجثة لإخفاء معلوماتهم، وكي أكون صادقًا، لم يكن ذلك بعيدًا عن الحقيقة. ففي النهاية، كانوا يُخططون لإحراقها، لكن ما حدث هو أن أحدهم توصَّل إلى بانوس أولًا.

قلت للفتى:

- وها أنت تتعقبني. لماذا؟

قال ديون:

- لقد انتشرت أخبارك عبر الإنترنت صباح اليوم، وأنت تركب سيارة مع ذلك الرجل الآسيوي الغريب الذي يمتلك «I3». استنتجتُ أنه من المفترض أن تفكَّ الشفرة الموجودة بجسد بانوس. يبدو الأمر واضحًا. أعني، فأنت جاسوس ومُخترِق خارق، أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟

قالت أودري:

- هذا هو ما نفعله بالضبط. ستيفو، أخبره أن هذا هو ما نفعله.

عندما لم أقل شيئًا، وكزتْ توبياس بمرفقها، وهي لا تزال جالسة في حجره، وقالت:

- فلتُخبره، يا جدِّي.

قال توبياس، وهو يشعر بالانزعاج إلى حدٍّ ما:

- ستيفن، يبدو هذا الشاب جادًّا.

تفحَّصَتْه آيفي قائلة:

- إنه صادق، على حسب ما يمكنني تبيُّنه.

قال توبياس:

- يجب أن تطمئنه. انظر إلى الفتى المسكين، إنه يبدو وكأنه لا يزال يعتقد أنك ستطلق عليه النار.

في الواقع، كان كفًّا ديون معقودَين، وعيناه موجَّهتين نحو الأسفل، إلا أنه كان يرتجف.

خففتُ من نبرتي، قائلًا له:

- لم يتم الاستعانة بخدماتي لفك شفرة الجثة؛ إذ إن شركة «I3» لديهم كثير من النسخ الاحتياطية لجميع بياناتهم. أنا هنا للعثور على الجثة.

رفع ديون عينَيه.

قلت:

- لا، لم تأخذ شركة «I3» الجثة. كانوا سيرضون تمامًا بتركها ليتمَّ إحراقها.

قالت آيفي:

- لا أعتقد أنه يصدُقُك يا ستيف.

قلت لديون:

- انظر، لا يُهمني ما يحدث مع «I3». كل ما أريده هو التأكد من تدمير المعلومات الموجودة في تلك الجثة، اتفقنا؟ والآن، أريدك أن تنتظر هنا.

- لماذا ...

ألقيتُ نظرةً خاطفة على ويلسون، الذي أومأ لي بدوره وأنا أقول:

- لأنني لا أدري ما الذي يتعين عليَّ أن أفعله بك.

سيبقي ويلسون عينَه على الفتى. قلت لديون:

- اذهب واجلس في المقعد الأمامي، ويمكننا تبادل حديثٍ طويل عن كل هذا عند عودتي. أما الآن، فعليَّ الذهاب للتعامل مع طبيبة شرعية عصبية للغاية.

242 |

12

كان مقر الطبيب الشرعي في مكتبٍ صغير يعبق برائحة المطهرات، بجوار مشرحة المدينة، والتي كانت عبارة عن مجموعة من الغرف داخل مُجمع طبي أكبر. كانت ليزا تفضل أن يُطلق عليها لقب «المحقق الطبي»، ودومًا ما كانت منشغلةً بدرجةٍ مثيرة للدهشة، بالنسبة لكونها تبدو كشخصٍ يقضي معظم وقته في لعب ألعاب الإنترنت.

عندما دقَّت الساعة الثامنة، دخلتُ المجمع الطبي، وتحملتُ نظرة غاضبة من حارس الأمن الذي كان ضخم الجثة بدرجةٍ تفوق حجم الغرفة الصغيرة التي منحوه إياها، ثم طرقتُ باب مكتب الطبيب الشرعي بهدوء. فتح سكرتير ليزا الباب - نسيتُ اسمه - وهو بادي النفور.

قال الشاب:

- إنها في انتظارك. لكنني لا أستطيع القول بأنها متحمسة.

- رائع، شكرًا لك ...

أكمل توبياس قائلًا:

- جون

- ... يا جون.

أومأ السكرتير، وسار عائدًا إلى مكتبه وهو يقلب بعض الأوراق. مشيتُ عبر رواقٍ قصير يؤدي إلى مكتب لطيف، ازدانت جدرانه بشهاداتٍ رسمية وما شابهها. رأيتُ في لمحةٍ سريعة فيس بوك، منعكسًا على إحدى تلك الشهادات، قبل أن تُغلق ليزا جهازها اللَّوحي، وترفع عينيها إليَّ.

قالت:

- أنا مشغولة، يا ليدز.

كانت ليزا، التي ترتدي معطف المختبر الأبيض فوق سروالٍ من الجينز وقميصٍ وردي اللون، في أواخر الخمسينيات من عمرها. وكانت طويلة القامة بدرجة سئمتْ معها الإجابة عما إذا كانت قد لعبتْ كرة السلة في المدرسة أم لا. من حُسن الحظ أن معظم عملائها كانوا أمواتًا، إذ بدا أن ذلك هو النوع الوحيد من البشر الذي لا يتسبَّب لها في الإزعاج.

اتكئتُ على إطار الباب الخشبي عاقدًا ذراعيَّ، كي أحجب الرؤية عن توبياس الذي أخذ يُحدق إليها بهيام. لم أفهم أبدًا سبب إعجابه بتلك المرأة. قلت:

- حسنًا، لن يستغرق هذا كثيرًا من الوقت.

تظاهرت ليزا بالتوجُّه نحو شاشة الكمبيوتر، وكأن لديها الكثير والكثير من العمل الذي ينبغي إنجازه. قالت:

- لستُ مضطرة للقيام بأي شيءٍ من أجلك، فأنت لست ضالعًا في أي قضيةٍ رسمية. حسب ما سمعتُ مؤخرًا، قرر القسم عدم الاستعانة بك بعد الآن.

نطقتْ تلك العبارة الأخيرة بنبرة انتصار، وتبادلت آيفي النظرات مع جي سي. لم تكن السلطات ... معجبة بنا على وجه الخصوص، في هذه الأيام.

قلت لها:

- لقد اختفت إحدى الجثث التي لديك. ألا يشعر أحد بالقلق حيال ذلك؟

قالت ليزا:

- هذه ليست مشكلتي. لقد أنجزتُ مهمتي. أعلنتُ الوفاة، وتأكدتُ من الهوية، ولم تكن هناك حاجة لتشريح الجثة. حدثت هفوة من جانب المشرحة، ويمكنك التحدُّث معهم حول هذا الشأن.

لم تكن هناك أدنى فرصة لذلك. فلن يسمحوا لي بالدخول؛ إذ لم تكن لديهم السلطة، لكن ليزا كانت تستطيع ذلك. كان هذا قسمها، بغض النظر عما تقوله.

سألتها:

- ألا تشعر الشرطة بالقلق بسبب هذا الاختراق؟ ألم يأتِ الرقيب جريفز للتفتيش، متسائلًا كيف وقعت مثل هذه الفوضى الأمنية الرهيبة؟

بدا التردُّد على ليزا.

قالت آيفي:

- آه، أحسنت التخمين يا ستيف. واصل الضغط في ذلك الاتجاه.

قلت لليزا:

- هذا قسمك أنت. ألا تُريدين حتى معرفة كيف حدث ذلك؟ يمكنني المساعدة.

- في كل مرة تقدِّم فيها العون يا ليدز، يتبع ذلك كارثة من نوعٍ ما.

- يبدو أن الكارثة قد وقعت بالفعل.

قالت آيفي:

- سدِّد الضربات حيث تؤلِمها. اذكر كل المتاعب.

قلت:

- فكِّري في كل الإجراءات الروتينية التي سيتطلبها الأمر. جثة مفقودة، أي أن هناك تحقيقات، وأسئلة، وأشخاص يفتشون المكان، واجتماعات سيتعين عليك حضورها.

لم تتمكن ليزا من أن تُخفي تمامًا التجهُّم والمرارة اللذين ظهرا عليها. وقفت آيفي بجواري، وارتسمت على وجهها ابتسامة رضا عريضة.

اتكأت ليزا إلى الخلف وقالت:

- كل هذا من أجل جثة لم يكن من المفترض أن تُوجَد هنا من الأساس.

سألتها:

- ما الذي تعنينه؟

- لم يكن هناك سبب يدعو لاحتفاظنا بالجثة، فقد تعرفَتْ عليه أُسرته، ولم تكن هناك شبهة جنائية. كان من المفترض تسليم الجثة إلى متعهد دفن الموتى الذي اختارته الأسرة لتحنيطه، إلا أنه لم يتم السماح بذلك. كان من الواجب الاحتفاظ بتلك الجثة هنا، ولم يُبلغني أحد بالسبب. وقد أصر مفوض الشرطة بنفسه على الأمر.

ضيقت عينيها في وجهي وتابعت قائلة:

- وها أنت الآن. ما هو الشيء المميز في ذلك الرجل يا ليدز؟

مفوض الشرطة؟ بذل يول جهدًا كبيرًا لإبقاء هذه الجثة قيد الاحتجاز. بدا ذلك منطقيًا. إذا سمح بالإفراج عن الجثة، ثم أخضعها بعد ذلك لإجراءات تأمين فائقة، كان ذلك سيُعلن أمام العالَم أن بها شيئًا مميزًا. كانت مكالمة سريعة لضمان بقاء بانوس حبيسًا بإحكام في مشرحة المدينة، أقل إثارة للريبة بكثير.

لكن الخطة لم تفلح فحسب.

قالت آيفي:

- سنضطر إلى تقديم بعض التنازلات يا ستيف. إنها تتمسك بالعناد. آن الأوان لإخراج أكبر ما في جعبتنا.

تنهدتُ، وهمستُ قائلًا:

- هل أنت متأكدة؟

- أجل، لسوء الحظ.

نظرتُ في عينَي ليزا، وقلت:

- مقابلة واحدة، لمدة ساعة.

مالت في مقعدها إلى الأمام، قائلة:

- هل تُحاول رشوتي؟

- أجل، وما هو قرارك؟

نقرتْ على سطح طاولتها بإصبعها بتكاسُل، وقالت:

- أنا طبيبة شرعية، ولستُ مهتمةً بنشر الأبحاث.

قلت:

- لم أقل إنه من الضروري أن تكون المقابلة معك أنت. يمكن أن تكون مع أي شخصٍ تُريدينه، أي فرد في المجال الطبي، تحتاجين منه شيئًا ما. يُمكنك استخدامي للمقايضة.

- في كل مرة تقدِّم فيها العون يا ليدز، يتبع ذلك كارثة من نوعٍ ما.
- يبدو أن الكارثة قد وقعت بالفعل.

قالت آيفي:

- سدِّد الضربات حيث تؤلِمها. اذكر كل المتاعب.

قلت:

- فكِّري في كل الإجراءات الروتينية التي سيتطلبها الأمر. جثة مفقودة، أي أن هناك تحقيقات، وأسئلة، وأشخاص يفتشون المكان، واجتماعات سيتعين عليك حضورها.

لم تتمكن ليزا من أن تُخفي تمامًا التجهُّم والمرارة اللذين ظهرا عليها. وقفت آيفي بجواري، وارتسمت على وجهها ابتسامة رضا عريضة.

اتكأت ليزا إلى الخلف وقالت:

- كل هذا من أجل جثة لم يكن من المفترض أن تُوجَد هنا من الأساس.

سألتها:

- ما الذي تعنينه؟
- لم يكن هناك سبب يدعو لاحتفاظنا بالجثة، فقد تعرفَتْ عليه أُسرته، ولم تكن هناك شبهة جنائية. كان من المفترض تسليم الجثة إلى متعهد دفن الموتى الذي اختارته الأسرة لتحنيطه، إلا أنه لم يتم السماح بذلك. كان من الواجب الاحتفاظ بتلك الجثة هنا، ولم يُبلغني أحد بالسبب. وقد أصر مفوض الشرطة بنفسه على الأمر.

ضيقت عينيها في وجهي وتابعت قائلة:

- وها أنت الآن. ما هو الشيء المميز في ذلك الرجل يا ليدز؟

مفوض الشرطة؟ بذل يول جهدًا كبيرًا لإبقاء هذه الجثة قيد الاحتجاز. بدا ذلك منطقيًّا. إذا سمح بالإفراج عن الجثة، ثم أخضعها بعد ذلك لإجراءات تأمين فائقة، كان ذلك سيُعلن أمام العالَم أن بها شيئًا مُميزًا. كانت مكالمة سريعة لضمان بقاء بانوس حبيسًا بإحكام في مشرحة المدينة، أقل إثارة للريبة بكثير.

لكن الخطة لم تفلح فحسب.

قالت آيفي:

- سنضطر إلى تقديم بعض التنازلات يا ستيف. إنها تتمسك بالعناد. آن الأوان لإخراج أكبر ما في جعبتنا.

تنهدتُ، وهمستُ قائلًا:

- هل أنت متأكدة؟

- أجل، لسوء الحظ.

نظرتُ في عينَي ليزا، وقلت:

- مقابلة واحدة، لمدة ساعة.

مالت في مقعدها إلى الأمام، قائلة:

- هل تُحاول رشوتي؟

- أجل، وما هو قرارك؟

نقرتْ على سطح طاولتها بإصبعها بتكاسُل، وقالت:

- أنا طبيبة شرعية، ولستُ مهتمةً بنشر الأبحاث.

قلت:

- لم أقل إنه من الضروري أن تكون المقابلة معك أنت. يمكن أن تكون مع أي شخصٍ تُريدينه، أي فرد في المجال الطبي، تحتاجين منه شيئًا ما. يُمكنك استخدامي للمقايضة.

ابتسمت ليزا قائلة:

- أي شخص؟

- أجل، لساعة واحدة.

- لا، بل بقدْر ما يشاءون.

- هذا مفتوح للغاية على نحوٍ غير مُحدد يا ليزا.

- تمامًا مثل قائمة الأساليب التي تُثير بها أنت الغيظ. فلتقبل الأمر أو ترفضه، يا ليدز، أنا لست مدينة لك بشيء.

قال توبياس:

- سوف نندم على هذا الأمر، أليس كذلك؟

أومأتُ برأسي وأنا أفكر في الساعات التي سأمضيها وأنا أتعرض للفحص من قبل أحد علماء النفس الذين يسعون إلى تعزيز مكانتهم العلمية. بحث آخر، في دورية علمية أخرى، بينما أُعامَل أنا وكأنني فصيلةٌ غريبة من خيار البحر، ينبغي تشريحها وعرضها.

كان الوقت يمر، ولم يكن أمامي سوى القبول بهذا، إو إخبار ليزا سبب أهمية هذه الجثة.

قلت:

- اتفقنا.

لم تبتسِم. كان الابتسام تعبيرًا إنسانيًّا للغاية بالنسبة إلى ليزا. لكن بدا عليها الرضا، والتقطتْ مفاتيحها من على الطاولة، ثم قادتني عبر الرواق، وتبعتنا جواني المختلفة.

صار الهواء أشد برودة على نحو ملحوظ عندما اقتربنا من المشرحة. انفتح الباب المعدني السميك ببطاقة مفتاح. داخل الغرفة، كان بوسع المرء أن يرى سبب اختيار ليزا للعمل هنا، إذ لم يكن الجو شديد البرودة

فحسب، بل كانت كل هذه الأسطح المعدنية تذكرها على الأرجح بسفينة الفضاء التي ألقت بها على كوكبنا.

انغلق الباب خلفَنا، مُرتطمًا في مكانه بعنف. وقفَت ليزا بجوار الحائط عاقدةً ذراعيها، وهي تراقب لمنع وقوع أي خدع. قالت:

- أمامك خمس عشرة دقيقة يا ليدز. فلتبدأ العمل.

مسحتُ بعينيَّ الغرفة التي كان بها ثلاث طاولات معدِنية على عجلات، وطاولة عليها أدوات طبية متنوعة، وجدار مليء بأدراجٍ ضخمة لحفظ الجثث.

قلت لجوانبي الأربعة:

- حسنًا، أريد الآن معرفة كيف أخرجوا الجثة.

قال جي سي وهو يفتش أرجاء الغرفة:

- سنحتاج أيضًا إلى دليل. شيء لربط إكسيلتيك بالجريمة.

قلت له:

- سيكون ذلك رائعًا. لكن في الحقيقة، لا نريد الانسياق في طريقٍ مُحدد. ربما لا تكون بحوزتهم. ركِّز على ما نعرفه. اعثُر على أدلةٍ متعلقة بكيفية نقل اللصوص للجثة أو تخزينها، وقد يقودنا هذا إليها مباشرة.

أومأ الآخرون برءوسهم. تلفتُّ حولي ببطء، وأنا أتفحص الغرفة بأكملها، وأستوعبها في عقلي الباطن. بعد ذلك، أغمضتُ عيني.

بدأت هلاوسي تتحدَّث.

قال جي سي:

- لا تُوجَد نوافذ. هناك مخرج واحد فقط.

قالت آيفي:

- ما لم تكن بلاطات السقف تلك قابلة للإزالة.

- أجابها جي سي قائلًا:

- لا، لقد رأيتُ المواصفات الأمنية لهذا المبنى. أتذكُرين قضية كوبرفين؟ لا تُوجَد مساحة فارغة تسمح بالزحف، كما لا تُوجَد أي مجارٍ هوائية. لا يُوجَد أي شيء غريب في التصميم المعماري.

قال توبياس:

- لقد استُخدِمَت هذه المعدات مؤخرًا. لكنني لا أعرف الغرض منها. ستيفن، سيتعين عليك حقًّا تجنيد طبيب شرعي خاص بك في نهاية المطاف.

قالت أودري:

- لدينا نجوزي. وهي تعمل في تحقيقات الطب الشرعي. لماذا لم نجلبها؟

فكرتُ لنفسي قائلًا: «بسببكِ أنتِ يا أودري. منحكِ عقلي الباطن مهارة مهمة، وأضافكِ إلى فريقي». لماذا؟ كنت أفتقد الأيام التي كان لديَّ فيها مَن أسأله عن مثل هذه الأمور. عندما كانت ساندرا معي، بدا كل شيءٍ منطقيًّا لأول مرة في حياتي.

بدت آيفي غير راضية وهي تقول:

- المكان آمن. ربما كانت عمليةً داخلية؟ أحد عمال المشرحة؟

فتحتُ عينيَّ ونظرتُ نحو ليزا قائلًا:

- هل يمكن أن يكون أحد العاملين هنا قد تقاضى رشوة؟

قالت وهي لا تزال عاقدة ذراعَيها:

- فكرتُ في ذلك، لكنني كنتُ آخر شخصٍ في المكتب في تلك الليلة. لقد دخلتُ وتفحصتُ كل شيء، ثم أطفأتُ الأنوار. يقول الأمن إن أحدًا لم يحضر أثناء الليل.

قلت:

- سأرغب في التحدُّث إلى الأمن، إذن. مَن أيضًا كان هنا في ذلك اليوم؟

هزَّت ليزا كتفَيها وقالت:

- أفراد الأسرة، وكاهن. كان هناك من يُرافقهم على الدوام. هذه الغرفة ليست مفتوحةً لأي شخصٍ سواي أنا، واثنين من الفنيين لدَينا. حتى حارس الأمن لا يستطيع الدخول من دون الاتصال بأحدنا. لكن كل هذا لا صِلة له بالأمر، إذ كانت الجثة لا تزال هنا عند رحيلي تلك الليلة.

- هل أنتِ متأكدة؟

- نعم، كان عليَّ كتابة بعض الأرقام من أجل الأعمال المكتبية، وقد تفقَّدتها تحديدًا.

قال جي سي:

- سنرغب في رفع البصمات في هذا المكان. شئنا أم أبينا، قد نُضطر إلى التوجُّه إلى قسم الشرطة.

أومأتُ قائلًا:

- لقد انتهت الشرطة من رفع الأدلة الجنائية، على ما أفترض.

سألتني ليزا:

- وما الذي يدعوك إلى ذلك الافتراض؟

نظرنا إليها جميعًا، وقلت:

- آه ... كما تعلمين. لأن هناك جريمة وقعت.

قالت ليزا بنبرة ساخرة:

- لقد سُرقت جثة. لم يُصَب أحد، ولا يُوجَد أي دليل فعلي على حدوث اقتحام، كما لا تنطوي القضية على أي أموال. الموقف الرسمي المعلن هو أنهم «يعملون على القضية»، لكن دعني أخبرك أن العثور على هذه الجثة يحتلُّ مرتبة متدنية في قائمة أولوياتهم. إنهم أكثر قلقًا بشأن الاقتحام نفسه، وسيرغبون في إدانة شخصٍ ما بذلك.

عقدتْ ذراعَيها مرة أخرى، ثم غيرَّت وضعها وعقدتهما ثانية. كانت تحاول إظهار الهدوء، لكن القلق بدا عليها جليًّا. أومأتْ آيفي نحوي، وهي بادية السرور لكوني تمكنتُ من قراءة ليزا بصورةٍ جيدة إلى هذا الحد. حسنًا، لم يكن ذلك صعبًا، إذ كنتُ أتعلم بعض الأشياء من جوانبي بين حينٍ وآخر.

تفحَّص جي سي أركان الغرفة قائلًا:

- ماذا عن الكاميرات الأمنية؟

كررتُ السؤال كي تسمَعَه ليزا.

قالت:

- إنها في الخارج فقط، في الممرات.

سألتها:

- أليس ذلك عددًا قليلًا بعض الشيء؟

- المكان بأكمله مُزود بأجهزة الإنذار. إذا حاول شخصٌ ما اقتحام المكان، سيشتعل مكتب حارس الأمن بالأنوار مثل عيد الميلاد.

تجهمتْ وواصلت قائلة:

- اعتَدْنا تشغيل الكاميرات خلال الليل فقط، لكنهم تركوها تعمل طوال يومين متواصلَين الآن. في هذه الأيام، يجب الحصول على إذنٍ حتى لفتح نافذة لعِينة.

نظرتُ إلى الفريق.

قال توبياس:

- ستيفن، سنحتاج إلى نجوزي.

تنهدتُ. حسنًا، لم تكن المسافة طويلة بدرجةٍ تمنع من العودة بالسيارة واصطحابها. أخرج جي سي هاتفه قائلًا:

- هاك، دعني أتصل بها.

قلت:

- لا أعتقد ...

إلا أنه كان قد شرع في الاتصال بالفعل. قال:

- نعم، يا أحمد، نحن بحاجة إلى مساعدتك. ماذا؟ بالطبع لديَّ رقمك. لا، أنا لا أطاردك. هل يمكنك العثور على نجوزي؟ من أين لي معرفة مكانها؟ ربما كانت منشغلةً بغسل يدَيها مائة مرة، أو شيءٍ من هذا القبيل. لا، أنا لا أطاردها هي أيضًا.

أنزل الهاتف، موجهًا نحوَنا نظرة معاناة. ثم رفعه مرة أخرى، وواصل الحديث بعد فترةٍ وجيزة قائلًا:

- رائع. لنعقد مؤتمرًا عبر الفيديو.

نظرنا أنا وتوبياس من فوق كتِفَي جي سي، في حين ظهر وجه كالياني على الشاشة وقد بدت مرحةً ومتحمسة. لوحتْ لنا، ثم أدارت الهاتف نحو نجوزي، التي جلستْ تقرأ على فراشها.

ما الذي يُمكنني قوله عن نجوزي؟ كانت من نيجيريا، ولها بشرة بنية داكنة، وتعلمتْ في أوكسفورد. كما كانت تخشى الجراثيم حدَّ الموت، لدرجة أنها تراجعت مبتعدةً بوضوح، عندما مدَّت كالياني الهاتف نحوها. هزتْ رأسها، واضطرت كالياني للوقوف هناك، ممسكةً بالهاتف.

سألتْ نجوزي بنبرةٍ سريعة مقتضبة:

- ماذا هناك؟

قلت:

- تحقيق في مسرح الجريمة.

- هل ستأتي لاصطحابي؟

- حسنًا، أعتقد أننا فكرنا . . .

ترددتُ، ثم نظرتُ إلى جي سي قائلًا:

- لا أعرف ما إذا كان هذا سينجح، يا جي سي. لم نفعل شيئًا كهذا من قبل.

- لكنه على الرغم من هذا يستحقُّ المحاولة، أليس كذلك؟

نظرتُ إلى آيفي، التي بدت مُتشككة، لكن توبياس هز كتفَيه.

- ما الضرر الذي قد ينتج عن ذلك يا ستيفن؟ إخراج نجوزي من المنزل صعب في بعض الأحيان.

قالت نجوزي:

- لقد سمعتُ ذلك. الأمر ليس صعبًا، لكنني أطلب بعض الاستعدادات المناسِبة فحسب.

قال جي سي:

- أجل، مثل بدلة واقية.

أدارت نجوزي عينيها في محجرَيهما قائلة:

- أرجوك، كل ما في الأمر هو أنني أُفضل أن تكون الأشياء نظيفة.

سألتها:

- نظيفة؟

- نظيفة للغاية. هل تعرف أنواع السموم التي تضخُّها جميع تلك السيارات والمصانع في الهواء كل يوم؟ أين تعتقد أن كل ذلك يذهب؟ هل سبق وأن تساءلت عن طبيعة تلك القشرة السوداء على بشرتك، بعد أن تُمسِك درابزينًا في طريقك إلى نزول درج في مترو الأنفاق؟ وفكر في الناس، الذين يسعلون في أيديهم، ويمسحون المخاط عن أنوفهم، ويلمسون كل شيء، وكل شخص، و...

قلت:

- نحن نتفهَّم الأمر يا نجوزي.

نظرتُ إلى توبياس، الذي أومأ برأسه مُشجعًا. كان جي سي مُحقًّا. يمكن أن يكون استخدام الهاتف بين جوانبي أحد الموارد الثمينة. تناولتُ الهاتف من جي سي، بينما وقفتْ ليزا بالقُرب مني، تُراقبني بما بدا وكأنه أول شعور حقيقي يظهر عليها طوال ذلك الصباح: الانبهار. قد لا تكون طبيبة نفسية، لكن الأطباء من جميع الأنواع كانوا يجدون مميزاتي الغريبة آسِرة للغاية.

فلتهنأ بذلك، طالما أنه يمنعها من التفكير في مقدار الوقت المتبقي من - أو الزائد عن - الخمس عشرة دقيقة الأصلية التي حدَّدتها.

قلت لنجوزي:

- سنُجرب القيام بهذا عبر الهاتف. نحن عند الثلاجة. وتبعًا لجميع الروايات، كانت الجثة موجودة هنا خلال الليل، لكنها اختفت

في صباح اليوم التالي. لم تسجل الكاميرات الأمنية في الردهة شيئًا غريبًا.

أومأتْ لي ليزا برأسها عندما راجعتُها في هذا الأمر. تابعتُ قائلًا:

- لا تُوجَد كاميرا في هذه الغرفة تحديدًا، لكن المبنى به نظام أمني مكثف. فكيف أخرجوا الجثة إذن؟

مالت نجوزي نحو الأمام، لكنها مع ذلك لم تأخذ الكاميرا من كالياني، بل تفحَّصتني بفضول. قالت:

- أرني الغرفة.

تجولتُ في الغرفة، ومسحتُ المكان بالكاميرا، وأنا مُدرك تمامًا أنني لم أكن أحمل شيئًا من منظور ليزا. دندنتْ نجوزي لحنًا بينما كنت أسير في الغرفة. كان لحنًا من إحدى الأفلام الاستعراضية، لكنني لم أكن متأكدًا من أي واحد.

قالت بعد أن قضيتُ بضع دقائق في مسح المكان:

- هل أنت مُتأكِّد إذن أن الجثة اختفت؟

وجهتُ الكاميرا نحو دُرج حفظ الجثث الذي لا يزال مفتوحًا، وقلت:

- بالطبع اختفت.

قالت نجوزي:

- حسنًا، سيكون من الصعب القيام بأي تحرياتٍ جنائية تقليدية هنا. لكن السؤال الذي يتعين علينا طرحه أولًا هو: هل نحن بحاجة إلى ذلك بالفعل؟ ستندهش من عدد المرَّات التي يتم فيها الإبلاغ عن سرقة شيءٍ ما، وفي النهاية يُعثر عليه مفقودًا - أو مخبَّأً - في مكان قريب جدًّا من مكان حدوث السرقة. إذا كان إخراج الجثة

من الغرفة بهذا القدر من الصعوبة، فمن المحتمَل ألا تكون غادرت الغرفة على الإطلاق.

نظرتُ إلى الأدراج الأخرى، ثم تنهدتُ ووضعتُ الهاتف جانبًا، وبدأتُ أفتحها واحدًا تلو الآخر. بعد بضع دقائق، اقتربت ليزا وشرعت تُساعدني. قالت:

- لقد قُمنا بهذا.

لكنها لم تمنعني من التحقُّق مرة أخرى. كانت هناك ثلاثة أدراج أخرى فقط تحوي جثثًا، وتفقَّدنا كلًّا منها بعناية. لم تكن أيًّا منها جثة بانوس.

بعد ذلك، تفقدتُ الدواليب والخزانات بالغرفة، وحتى الأدراج التي كانت أصغر من أن تحوي جثةً بداخلها. بدت عملية طويلة، وكان من دواعي سروري حقًّا كونها غير مثمرة. لم يكن اكتشاف عدة أكياس مليئة بالمرفقين أو ما سواهما من الأعضاء شيئًا جذَّابًا على وجه الخصوص.

نفضتُ الغبار عن يدي، ونظرتُ نحو الهاتف وصورة نجوزي. انضمت إليها كالياني على الفراش، وكانت الاثنتان تتبادلان الحديث بخصوص كيف أنه من الواجب عليَّ التوقُّف عن العمل بكثرة على هذا النحو، والاستقرار مع إنسانةٍ لطيفة، ويُفضل أن تكون بكامل قواها العقلية.

وجهتُ السؤال نحو الهاتف قائلًا:

- ماذا بعد؟

قالت نجوزي:

- مبدأ لوكارد.

- ما هو؟

قالت:

- ينصُّ المبدأ بشكلٍ أساسي على أنه كلما كان هناك اتصال أو تبادل، تتخلف عن ذلك بعض الأدلة. لا يُوجَد لدَينا كثير من الأدلة، لأن الضحية كان قد مات بالفعل عند اختطافه، ومن المفترض أن الجثة كانت لا تزال في كيسٍ مُغلق بإحكام. لكن لا بد وأن الجاني خلَّف وراءه آثارًا تدل على وجوده. لا أعتقد أنه بوسعنا الحصول على مسح للحمض النووي بالغرفة ...

وجهتُ نظرة أمل نحو ليزا وسألتها، فأصدرتْ صوتًا ينم عن السخرية.
لم تكن القضية على ذلك القدر من الأهمية. قلت لنجوزي:

- يمكننا محاولة رفع البصمات بأنفسنا، لكن الشرطة لن تُقدِّم لنا العون.

قالت نجوزي:

- لنعمل على نقاط الاتصال الواضحة أولًا. أعطني صورة مُقرَّبة لمقبض الدُّرج، من فضلك.

جلبتُ الهاتف، وقربته بشدة من مقبض الدرج المخصص لحفظ الجثة.
بعد دقيقة، قالت نجوزي:

- رائع. والآن باب الغرفة.

فعلتُ ذلك، ومررتُ بليزا التي كانت تتفقد ساعتها.

قلت بهدوء:

- ربما يكون الوقت قد بدأ ينفد يا نجوزي.

أجابتني قائلة:

- إن عملي ليس شيئًا يمكن استعجاله، خاصة عن بُعد.

أريتُها مقبض الباب، وأنا غير متأكد حقًّا ما الذي تبحث عنه.
طلبتْ مني نجوزي فتح الباب، كي تنظر إلى الجانب الآخر. كان الباب

ثقيلًا، وصُمِّم كي يُغلَق بعد رحيل أي شخص. ما إن صِرتُ بالخارج، لم أتمكن من فتحه مرةً أخرى. تعيَّن على ليزا أن تفتحه ببطاقة المفتاح.

عندما أدرتُ الكاميرا لإظهار مَصدٍّ لِسان القفل على إطار الباب من الداخل، قالت ليزا:

- حسنًا يا ليدز، أنت ...

قالت نجوزي:

- وجدتها.

تجمدتُ في مكاني، وأعدتُ النظر إلى إطار الباب. تجاهلتُ بقية ما قالته ليزا، وجَثوتُ على ركبتيَّ، محاولًا رؤية ما رأته نجوزي.

سألتني نجوزي:

- هل ترى آثار الغبار تلك؟

- ممم ... لا.

- انظر بتمعُّن. لقد وضع شخصٌ ما شريطًا لاصقًا هنا، ثم أزاله، تاركًا خلفه ما يكفي من المادة اللاصقة لاجتذاب الغبار.

انحنت ليزا بجواري قائلة:

- هل سمعتني؟

سألتها:

- شريط لاصق. هل لديك شريط لاصق؟

- لماذا ...

أمسك جي سي بلفافة شريطٍ لاصق شفَّاف قوي كان على الطاولة، وناداني من داخل الغرفة قائلًا:

- هاك.

– هذا معقول. لكن مَن فعل ذلك؟

– مَن كان آخر شخصٍ في هذه الغرفة يومها؟

– الكاهن. اضطررتُ إلى السماح له بالدخول. كان الآخرون قد عادوا إلى منازلهم ذلك المساء، لكنَّني بقيتُ حتى وقتٍ متأخر.

سألتها:

– هل كانت لديك لعبة من ألعاب ورق السوليتير يتعين عليك إنهاؤها؟

– اخرس.

ابتسمتُ، وقلت:

– هل تعرفتِ على الكاهن؟

هزت رأسها قائلة:

– لا، لكن اسمه كان على القائمة، كما كانت بطاقة هويته صحيحة.

قالت لي آيفي:

– لن يكون من الصعب تزييف بطاقة هوية، بالنظر إلى أهمية ما كان على المحك.

قلت لليزا:

– هذا هو الرجل المطلوب على الأرجح. هيا، أريد التحدُّث إلى ضابط الأمن لديكم. عندما أزالت ليزا الشريط اللاصق من على الباب، شكرتُ نجوزي على مساعدتها، وأطفأتُ الكاميرا، ثم أعدتُ الهاتف إلى جي سي.

ابتسمتْ آيفي قائلةً له:

– عمل جيد.

أعاد الهاتف إلى جيب سرواله قائلًا:

تجاوزتُ ليزا، وجلبتُ الشريط اللاصق - كان جي سي قد وضع لفافته الوهمية، قبل أن أتمكن من رؤية اللفافة الحقيقية - ثم أسرعتُ عائدًا. ألصقتُ قطعةً منه على مصدِّ لسان القفل، وخرجتُ من الغرفة، وتركتُ الباب ينغلق.

ارتطم بعنفٍ في مكانه، وغطّى صوت الارتطام على عدم وجود تكة القفل. عندما دفعتُ الباب، انفتح من دون الحاجة إلى مساعدة من الداخل.

قلت:

- ها نحن عرفنا كيف دخلوا الغرفة.

سألتني ليزا:

- وماذا في ذلك؟ كنا نعلم أنهم دخلوا الغرفة بطريقةٍ ما. كيف يُساعدنا هذا؟

قلت:

- هذا يُخبرنا أنه من المحتمَل أن يكون الفاعل شخصًا ما أتى للزيارة، في اليوم السابق لاختفاء الجثة. ربما كان الزائر الأخير! سيكون في وضع يمكنه من لصق الباب، مع أقل قدرٍ من فرَص الانكشاف خلال النهار.

قالت ليزا:

- أنا متأكدة من أنني كنتُ سألاحظ إذا كان الباب ملصقًا.

- هل كنت ستلحظين حقًّا؟ عند فتح الباب ببطاقة مفتاح، لستُ مضطرة إلى لفِّ المقبض أو الضغط على أي شيء. من الطبيعي بالنسبة لكِ أن تدفعي الباب، لينفتح ببساطة.

فكرتْ في الأمر للحظة، ثم اعترفتْ قائلة:

- شكرًا. لكنه بالطبع ليس هاتفًا في الواقع، بل هو آلة زمنية متعددة الأبعاد ...

قاطعَتْه آيفي قائلة:

- جي سي.

- أجل؟

- لا تفسد هذه اللحظة.

- أوه، نعم. حسنًا.

13

دخلتُ الحمَّام في الرواق، قبل التوجُّه إلى قسم الأمن. لم أكن بحاجة إلى الذهاب إلى الحمام بالفعل، لكن توبياس كان بحاجةٍ إلى ذلك.

بدا الحمَّام نظيفًا، وكنت أقدر ذلك. كانت عبوات الصابون ممتلئة، والمرآة نظيفة، كما كان هناك جدول صغير على الباب مُدرَج به موعد آخِر عملية تنظيف، تعين على العاملين توقيعُه لإثبات أدائهم لعملهم. غسلتُ يدي وأنا أُطالع نفسي في المرآة، ريثما ينتهي توبياس من استخدام المرحاض.

طالَعَني انعكاس وجهي العادي تمامًا. أنا لست ما يتوقَّعه الناس أبدًا. يتخيلني البعض كما لو كنت عالِمًا غريب الأطوار من نوعٍ ما، بينما يتخيلني البعض الآخر كنجم من نجوم أفلام الحركة. لكن ما يجدونه بدلًا من ذلك هو رجل هادئ إلى حدٍّ ما في الثلاثينيات من عمره، طبيعي تمامًا.

أحيانًا ما أشعر وكأنني أُشبِهُ غرفتي البيضاء، بطريقةٍ ما. سجل فارغ تمامًا. تنفرد جوانبي المختلفة بكل الخصائص المميزة، بينما أحاول أنا جاهدًا ألا أكون بارزًا للعيان. لأنني لست مجنونًا.

جففتُ يدي، وانتظرتُ توبياس حتى يغتسل. بعد ذلك، انضممنا للآخرين في الخارج، واتجهنا إلى مقر الأمن. كان يتألف من مكتبٍ دائري

مفتوح من المنتصف، من ذلك النوع الذي يجده المرء في المراكز التجارية أسفل لافتةٍ مكتوبٍ عليها «استعلامات». اقتربتُ، فتفحَّصني حارس الأمن وكأنني شريحة من البيتزا يحاول أن يُقرر كم من الوقت مكثت بداخل الثلاجة. لم يسألني عما أريده؛ إذ كانت ليزا قد اتَّصلت به لتطلُب منه أن يحضر لي تسجيلات الكاميرا.

كان المكتب صغيرًا حقًّا بالنسبة إلى هذا الرجل ضخم الجثة. عندما مال نحو الأمام، ضغطَت مقدمة المكتب على بطنه. خلَّف لديَّ انطباعًا بكونه حبةَ عنبٍ تُعتصَر من الأسفل.

قال الحارس بصوتٍ عميق مرتفع:

– أنت المجنون، أليس كذلك؟

قلت:

– حسنًا، هذا ليس صحيحًا في الواقع. كما ترى، فإن التعريف القياسي للجنون هو ...

انحنى إلى الأمام بدرجةٍ أكبر، فأشفقتُ على المكتب المسكين. قال:

– أنت مُسلح.

– آه ...

قال الحارس بهدوء:

– أنا أيضًا مسلح. لا تحاول أي شيء.

وقفتْ آيفي بجواري وقالت:

– حسنًا، هناك رجل مُخيف يدير قسم الأمن.

قال جي سي:

– إنه يعجبني.

– بالطبع يعجبك.

رفع الحارس ذاكرة فلاش ببطء، وقال:

- التسجيلات موجودة هنا.

تناولتُها منه قائلًا:

- هل أنت متأكد من أن النظام الأمني كان يعمل في تلك الليلة؟

أومأ الرجل برأسه، وكوَّر قبضته، كما لو أنني وجهتُ له سؤالًا غبيًّا، يعد بمثابة جرمٍ يستحق الضرب.

راقبتُ قبضتَه قائلًا:

- آه، تقول ليزا إنكم تتركونه يعمل خلال النهار أيضًا الآن؟

قال الحارس:

- سوف أقبض عليه. لا أحد يقتحم بنايتي.

قلت:

- مرتان.

نظر الحارس إليَّ. قلت:

- لا أحد يقتحم بنايتك مرتَين. بما أنهم اقتحموها مرة بالفعل. في الواقع ... ربما يكونون قد اقتحموها مرتَين بالفعل، بما أنهم وضعوا شريطًا لاصقًا على الباب في المرة الأولى. لكن ربما يُعَدُّ ذلك تسلُّلًا، أكثر منه اقتحامًا.

أشار الرجل نحوي قائلًا:

- لا تتواقح معي، ولا تُثرِ المشكلات، وإلا سأضربك بقوة تدفع بعض شخصياتك إلى الولاية المجاورة.

وقفتْ آيفي تتصفح مجلة وجدَتْها على مكتبه، وقالت:

- هذا مؤلم. إذا كان شديد الانتباه إلى هذا الحد، اسأله لِمَ لمْ يلحظ أن سوستة بنطاله مفتوحة إذن؟

ابتسمتُ، ثم خرجتُ بسرعة. راقبتْني ليزا من مدخل باب مكتبها وأنا أرحل.

عندما وصلتُ إلى الخارج، أمسكتُ بذاكرة الفلاش، وبدأتُ أسير بامتداد جانب المبنى. لوحتُ لويلسون، الذي كان لا يزال في السيارة. جلس شقيق بانوس متجهمًا في مقعد الراكب الأمامي، يشرب كوبًا من عصير الليمون.

درتُ حول المبنى، وتبِعَتني جواني، كي نتمكن من إلقاء نظرة فاحصة عليه من الخارج. كان به نوافذ صغيرة، لكنها قد تكفي لمرور شخصٍ عبرها. لم يكن هناك سُلَّم طوارئ للحريق. اقتربتُ من الباب الخلفي، فوجدته مغلقًا بإحكام. هززتُه بقوة على أي حال.

خاطبتُ جواني قائلًا:

– لقد انتحل شخص ما شخصية كاهن، وتسلل ليتفحص الجثة، ويضع الشريط اللاصق. بعد ذلك، عاد ليلًا لإخراج الجثة. فلماذا لم يأخذ عيِّنةً من خلايا الجثة فحسب، عندما كان هناك معها في نفس الغرفة في المرة الأولى؟

نظرتُ نحو الآخرين، الذين بدَوا جميعًا في حالة من الحيرة.

أخيرًا، قال توبياس:

– أعتقد أنه لم يعرف مكان وجود الخلايا المعدَّلة في الجثة. هناك الكثير والكثير من الخلايا في جسد الإنسان. من أين له أن يعرف أي مكانٍ يحوي المعلومات التي يريدونها؟

قلت:

– ربما.

عقدتُ ذراعيَّ، وأنا غير راضٍ تمامًا. فكرتُ أن هناك شيئًا ما فاتنا. جزئية مهمة للغاية من كل هذا. إنها ...

انفتح الباب الخلفي، ووقف حارس الأمن هناك لاهثًا، ويدُه على مُسدسه. حدَّق إليَّ بغضب.

تفقدتُ مدخل الباب الذي صار مفتوحًا الآن، وقلت:

- أردتُ تفحُّص المكان فحسب.

لن ينجح استخدام الشريط اللاصق هنا؛ إذ كان هناك مزلاج بالباب. أكملتُ الحديث قائلًا:

- توقِيتُ استجابتِك جيد، بالمناسبة.

وكزَني بإصبعه قائلًا:

- لا تضغط عليَّ أكثر من هذا.

صفق الباب بعُنف، وواصلتُ أنا طريقي. انعطفتُ حول ركن المبنى، ودخلت زقاقًا ضيقًا بين هذا المبنى والتالي المجاور له، باحثًا عن مداخل أخرى. وصلتُ إلى منتصفِه تقريبًا، عندما سمعتُ تكةً خافتة خلفي.

التفتُّ، وكذلك فعلتْ جوانبي المختلفة. وقفت زن ريجي بجوار حاوية نفايات ضخمة، تحمل كيسًا ورقيًّا أخفت إحدى يدَيها بداخله، متخذةً وضعية بريئة تمامًا.

نظر جي سي إلى الكيس الذي كان يحوي مُسدسًا من دون شك، وهمس قائلًا:

- سيج سوير بي 239.

سألته آيفي:

- هل يمكنك تمييز نوع المسدس تبعًا لصوت قدح زناده؟

قال جي سي:

- حسنًا، أجل، بكل تأكيد.

لكنه بدا مُحرجًا وهو يقول ذلك، وألقى نحوي نظرة خاطفة. شعر أنه كان يتعين عليه رؤية زن وهي تتسلَّل نحونا، إلا أنه لم يكن بوسعه أن يرى أو يسمع سوى ما أراه وأسمعه أنا فقط.

قالت المرأة:

- سيد ليدز.

مثل الليلة الماضية، كانت ترتدي بدلة نسائية، وقميصًا أبيض اللون. كانت قصيرة القامة ذات بشرةٍ داكنة، ولها شعر أسود أملس، ولا ترتدي أي حلي.

درتُ برأسي نحوها.

قالت زن:

- سأحتاج منك أن تتجرد من سلاحك، بحرصٍ واهتمامٍ من فضلك، كي لا يقع أي حادثٍ مؤسِف.

ألقيتُ نظرة خاطفة نحو جي سي.

بدا عليه التردُّد وهو يقول:

- افعل ما تقوله. لن تُقدِم على محاولة قتلنا هنا، على الأرجح.

سألته أودري وقد بدا عليها الشحوب:

- على الأرجح؟

أخرجتُ مسدسي ببطء، ثم انحنيتُ ووضعتُه على الأرض، قبل أن أركله بعيدًا. ابتسمت زن، وهي لا تزال تحمل الكيس بطريقةٍ تجعل من السهل بالنسبة لها رفعه وإطلاق النار عليَّ.

قالت:

- لقد اتصلتَ بي في وقتٍ سابق، وهي حيلة لا بد لي من الثناء عليها. أعتقد أن الغرض من ذلك كان كي تُحَدِّد ما إذا كنتُ أتبعك أم لا؟

أومأتُ برأسي ويدي إلى جانبي، بينما أنفاسي تتسارع. كثيرًا ما كنت أجد نفسي في مثل هذه المواقف. لم أكن جنديًّا أو شرطيًّا، ولم أكن أتمتع بالهدوء وأنا تحت تهديد الرصاص. لم يُعجبني وجود مسدسٍ مُصوب نحوي.

وقف جي سي بجواري وقال:

- تحكَّم في الموقف يا سكيني. إن من يفقدون السيطرة هم من ينتهي بهم الأمر أمواتًا. لا تدع أعصابك تتحكم في سير الأمور.

قالت زن:

- والآن، سوف أحتاج ذاكرة الفلاش التي بحوزتك.

طرفتُ بعيني. ذاكرة الفلاش ...

لقد اعتقدتْ أن ذاكرة الفلاش تحوي المفتاح لفك شفرة بيانات بانوس. كيف يبدو لها الأمر؟ لقد استعان يول بخدماتي، ثم أمضيتُ الليلة في العمل. بعدها توجهتُ إلى الطبيب الشرعي في أقرب وقتٍ ممكن في الصباح، ثم خرجتُ وبحوزتي ذاكرة الفلاش.

لقد خمنتْ أنني استعدتُ شيئًا مهمًّا. ضحكتْ آيفي، على الرغم من أن القلق ارتسم على وجه جي سي. وجهتُ نحوَه نظرةً سريعة.

همس قائلًا:

- إذا اعتقدتْ أنها حصلت على ما تحتاجه، فنحن في خطرٍ جسيم. إذا أعطيتَها ذاكرة الفلاش، فلا تذهب إلى أي مكانٍ معها.

تراجعتُ مبتعدًا عن زن، ويداي لا تزالان إلى جانبي. حتى صرت ملتصقًا بجدار المبنى، بينما تفحَّصتني هي. كان مُسدسها مزودًا بكاتمٍ للصوت على الأرجح، إلا أنه سيُصدِر صوتًا على الرغم من ذلك. وحيث إننا كنا مكشوفين نسبيًّا، لا بد أن القلق ساورها بشأن إطلاق النار.

أخذ قلبي ينبض على نحوٍ محموم. عليَّ أن أُسيطِر على الموقف. ربما يُمكنني استدراجها إلى الحديث؟

- بمن استعنتِ لانتحال شخصية الكاهن؟

تجهمتْ، ثم رفعتِ الكيس وبداخله المسدس.

- لقد طلبتُ منك شيئًا بكل تهذيب يا سيد ليدز.

قلت:

- ولن أمنحك إيَّاه، حتى أعرف على الأقل كيف نجحتِ في إتمام السرقة. إنها إحدى نزواتي الغريبة. أنا متأكد أنك تُدركين أنني عُرضة لتلك النزوات.

ترددتْ، ثم صوَّبَت نظرَها نحو كِلا الجانبَين.

فكرتُ أنها تبحث عن جواني. كان الناس يفعلون ذلك لا شعوريًّا، وهم برفقتي.

قالت آيفي:

- هذا جيد. إن ادِّعاء الجنون غالبًا ما يُشتِّت انتباه الناس.

فكر، فكر، فكر. دفعتُ رأسي إلى الخلف.

اصطدمتْ بالنافذة ورائي، فتوقفتُ للحظة، ثم بدأتُ أضرب برأسي إلى الوراء بشكلٍ مُتكرر، حتى اهتز الزجاج.

صارت زن بجواري خلال لحظةٍ واحدة، وقبضتْ على كتفي بعُنف، وسحبتْني بعيدًا عن المبنى. ألقت نظرةً خاطفة على النافذة – ورأت أنه لا يُوجَد أحد هناك على ما يبدو– ثم طرحتني أرضًا.

قالت بهدوء:

– أنا لستُ امرأة صبورة يا سيد ليدز.

كدتُ أمنحها ذاكرة الفلاش على الفور، لكنني امتنعتُ، وكتمتُ قلقي وخوفي.

عليَّ أن أُماطل، لفترةٍ أطول قليلًا فحسب. كذبتُ عليها قائلًا:

– أتُدركين أنه لا طائل من وراء كل هذا؟ لقد نشر بانوس المعلومات بالفعل، على الإنترنت، مجانًا للجميع.

كشرتْ قائلة:

– نحن نعلم أن شركة «I3» منعت محاولاته للقيام بذلك.

هل فعل؟ و... هل فعلوا هم؟

ضغطتْ مُسدسها في بطني. انفتحت النافذة خلفها بعنف.

صرخ حارس الأمن قائلًا:

– ليدز! أيها الرجل المجنون! هل ترغب في الموت؟ لأنني سوف أخنقك ... ما هذا! ما الذي يدور؟

التقت نظرة زن بنظرتي، ثم ابتعدَتْ عني واندفعت مُسرعةً وهي تنعطف حول زاوية المبنى. تراجعتُ مستندًا إلى الخلف، بينما أخذ الحارس يُطلق السباب وهو يمدُّ جسدَه خارج النافذة.

– هل كان ذلك الذي تحمله مُسدسًا؟ اللعنة، يا ليدز! ما الذي تفعله؟

قلت:

- أحاول البقاء على قيد الحياة.

كنتُ متعبًا، فنظرت إلى جوانبي قائلًا:

- هل نتحرك؟

قال جي سي:

- الآن.

تركنا الحارس يصرخ، وتوجَّهنا إلى سيارتي. التقطتُ مسدسي عندما مررت بجواره، وما إن صرتُ في مكان مفتوح، لم ألمح أي أثرٍ لزن. صعدتُ إلى مؤخرة السيارة، وطلبتُ من ويلسون الانطلاق.

لم أشعر بأمانٍ أكبر عندما أصبحنا على الطريق.

قالت آيفي:

- لا يُمكنني أن أُصدق أنها أقدمت على ذلك. في مكانٍ مفتوح تقريبًا، ومن دون أدلةٍ تُذكر حتى على أن بحوزتنا ما تريده.

قال جي سي:

- لقد طلبوا منها القبض علينا، على الأرجح. إنها محترفة، ولم تكن لتتصرف بهذا التهوُّر من دون ضغوط خارجية. لقد أبلغت رؤساءها أن بحوزتنا شيئًا ما، ثم أمروها باستعادته.

أومأتُ برأسي، وأخذت أنفاسًا عميقة يائسة، شهيقًا وزفيرًا.

قالت آيفي نيابة عني:

- توبياس، ما الذي نعرفه عن إكسيلتيك؟

قال توبياس:

- لقد تضمن تقرير يول بعض الحقائق الأساسية. إنها شركة تكنولوجيا حيوية، تُشبه «I3» إلى حدٍّ كبير، لكنها أكثر... نشاطًا، إذا جاز التعبير. تأسَّسَت قبل خمس سنوات، وسرعان ما أطلقوا

مُنتجَهم الرئيسي: دواء للمساعدة على السيطرة على أعراض داء باركنسون.

لسوء حظهم، بعد مرور عام، أنتجت شركةٌ منافسة بديلًا أفضل كثيرًا، وفشل منتج إكسيلتيك تمامًا. الشركة مملوكة لعشرة مستثمرين، ويعمل أكبر مساهم فيها - ذلك الذي قلَّدَه ستيفن على الهاتف - كرئيسٍ تنفيذي، ورئيس لمجلس الإدارة. سيخسرون معًا قدرًا كبيرًا من المال في هذه الشركة. لقد أخفقت منتجاتهم الثلاثة الأخيرة، وهم قيد التحقيق لقيامِهم بتصنيع منتجاتٍ رديئة بالخارج، توفيرًا للمال. أي أنهم باختصارٍ في حالة من اليأس.

أومأتُ برأسي، وقد غمرَني صوت توبياس بالهدوء. وصَّلتُ ذاكرة الفلاش بجهاز الكمبيوتر المحمول، ثم عرضتُ التسجيل بسرعةٍ تزيد عن سرعته الطبيعية بمعدل عشرِ مرات، ووضعتُ الجهاز على الأرض كي أتمكن من مشاهدته بطرف عيني. انحنى توبياس، الذي كثيرًا ما كان أشدَّ جوانبي انتباهًا، ليُراقِب بالتفصيل.

في المقعد الأمامي، بدأ ويلسون وديون يتحادثان حول حياة الشاب الأسرية. شعرتُ بالرعدة التي انتابتني إثر التعرُّض لتهديدِ السلاح وهي تتلاشى أخيرًا، واستعرضتُ الوضع. انتقل ويلسون إلى الطريق السريع، ولم يكن مُتوجهًا إلى أي مكانٍ مُحدد، لكنه كان يعرفني جيدًا بما يكفي ليُدرك أنني بحاجةٍ إلى بعض الوقت لاستجماع نفسي، قبل إعطائه أيِّ توجيهاتٍ مُحددة.

نظر ديون في مرآة الرؤية الخلفية لِيُلقي نظرةً عليَّ. لمحَني وأنا أُبادله النظر، فتضرَّج وجهه حمرة، ثم غاص في مقعده وهو يجيب أسئلة ويلسون بخصوص المدرسة. كان ديون قد أنهى دراسته الثانوية للتو، ويستعد

لدخول الجامعة في الخريف. أجاب أسئلة ويلسون عن طيب نفس؛ إذ كان من الصعب مقاومة كبيرٍ خدَمٍ لطيف الطباع. ففي النهاية، كان ويلسون يستطيع التعامُل معي أنا، ومقارنة بذلك، كان التعامل مع الأشخاص العاديِّين أمرًا سهلًا.

قال ويلسون للشاب، ردًّا على توضيحه بخصوص سباق وقع مؤخرًا:

- لا بد وأنه كان حدثًا مُثيرًا. والآن، إذا سمحتَ لي بمقاطعة حديثك، يجب أن أسأل السيد ليدز عن المكان الذي يريد التوجُّه إليه.

سأله ديون وقد بدَت عليه الحيرة:

- ألا تعرف ذلك بالفعل؟ إلى أين كنا نتوجَّه إذن؟

قلت:

- كنت أتجوَّل. كنتُ بحاجةٍ إلى وقت للتفكير. ديون، كان شقيقك يعيش معك أنت ووالدتك، أليس كذلك؟

- بلى. أنت تعرف طبيعة الأُسَر اليونانية ...

تجهمتُ قائلًا:

- لستُ متأكدًا ما إذا كنتُ أعرف بالفعل.

هز ديون كتفَيه قائلًا:

- نحن متقاربون للغاية. إن الانتقال للسكن بمفردك ... حسنًا، هذا لا يحدث فحسب. حتى أنني أعتقد أن بانوس كان سيسكن بالقرب منَّا بعد زواجه أيضًا. لا يمكن مقاومة قوة أواصر الأسرة اليونانية.

ربما يكون مفتاح شفرة جثة بانوس في منزل العائلة. على أقل تقدير، سيكون ذهابنا إلى هناك بمثابة إشارةٍ لزن تدلُّ على أننا ما زلنا نبحث عن شيءٍ ما، مما قد يُشجعها على تأجيل أيِّ مواجهةٍ أخرى.

قلت:

- لنتوجَّهَ إلى هناك يا ويلسون. أريد التحدُّث إلى العائلة.

قال ديون:

- أنا عائلته!

أخرجتُ هاتفي وشرعتُ في الاتصال قائلًا:

- باقي العائلة. انتظر دقيقة.

رن الهاتف عدة مرات، قبل إجابة الاتصال.

قال يول:

- مرحى يا صاح.

- لا أعتقد أن تلك العبارة لا تزال رائجة، يا يول.

- سأجعلها أنا ذات شعبيةٍ مرةً أخرى، يا صاح.

- لا أعتقد ... أتعرف، لا عليك. أنا متأكد من أن الأشرار في حكايتنا هذه هم شركة إكسيلتيك.

- هممم. هذا مؤسِف. كنتُ آمُل أن تكون إحدى الشركتَين الأخريَين. دعني أخرج من الغرفة كي نتمكن من الحديث.

- لم أكن متأكدًا من أنهم سوف يسمحون لك بالرد حتى، بينما أنتم تحت الحجر.

سمعتُ صوت بابٍ يُغلَق، وهو يقول:

- الأمر مزعج، لكنني تمكنتُ من الحصول على بعض الحرية، بما أنني لستُ رهنَ الاعتقال في الواقع، بل تحت الحجر الصحي فحسب. سمح لي العملاء الفيدراليون بإنشاء مكتبٍ مُتنقل هنا، لكن لا أحد يستطيع الخروج أو الدخول، حتى نقنعهم أن ذلك الشيء لم يكن مُعديًا.

- على الأقل يمكنك التحدث.

- إلى حدٍّ ما. إنه أمر مزعج، يا صاح. كيف سأجري المقابلات الصحفية من أجل الألبوم الجديد؟

قلت:

- ستزيد العزلة من غموضك بوصفك أحد المشاهير. هل يمكنك أن تُخبرني أي شيء آخر عن إكسيلتيك؟

أوضح قائلًا:

- كل شيء موجود في المستندات التي أرسلتها إليك. إنهم ... حسنًا، إنهم خطرون. كان لديَّ حدس بأنهم سيكونون وراء الأمر. ضبطناهم متلبسين بمحاولة دسِّ جواسيس بيننا، في صورة مهندسين يبحثون عن العمل.

- يول، لديهم قاتلةٌ أجيرة تعمل لحسابهم.

- تلك التي ذكرتها من قبل؟

- أجل. لقد نصبتْ لي كمينًا في أحد الأزقة، واحتجزتني تحت تهديد السلاح.

- تبًّا.

قلت:

- لن أجلس وأدَعَ شيئًا كهذا يحدُث مرةً أخرى. سأرسل لك قائمة بالتعليمات عبر البريد الإلكتروني.

سألني يول:

- تعليمات؟ لماذا؟

تناولتُ جهاز الكمبيوتر المحمول من توبياس وقلت:

- لحمايتي من التعرُّض للقتل. يول، يجب أن أسألك، ما الذي تُخفيه عني في هذه القضية؟

ساد الصمت عبر خط الهاتف.

- يول ...

قال يول:

- لم نقتله. أعدك بذلك.

قلت:

- لكنك وضعتَهُ تحت المراقبة. كان جهاز الكمبيوتر الخاص به مراقبًا. لا يمكن أن تكون هناك طريقة أخرى بطبيعة الحال، يتوفر لديك بها سِجلٌ لكل الأشياء التي فعلَها خلال الأشهر القليلة الماضية، جاهز للطبع عند وصولي.

اعترف يول قائلًا:

- أجل.

قلت:

- كما كان هو يحاول الكشف عن معلوماتكم، ونشْر كل شيء بخصوص المشروع عبر الإنترنت.

استدار ديون في مقعده الأمامي، وأخذ يراقبني.

قال يول:

- لم يُحب بعض المهندسين في الشركة تدخُّلي في الموضوع. اعتبروه نوعًا من الخيانة. بانوس ... لم يؤمن ذلك الرجل بالعواقب. كان سينشُر أبحاثنا للجميع، حتى يعرف كل إرهابي بالأمر. لا أفهم هذا النوع من الناس، بتسريباتهم ومصادرهم المفتوحة.

قلت:

- أنت تزيد من صعوبة الأمر بالنسبة لي، كي أصدق أنك لم تقتُله فحسب.

شحب وجه ديون.

قال يول بحدة:

- أنا لا أفعل مثل تلك الأشياء. هل لديك أي فكرة عما يمكن أن تتكلَّفه الشركة بسبب التحقيق في جريمة قتل؟

تمنيتُ حقًّا لو أن بإمكاني الثقة به. كنتُ بحاجةٍ إلى ذلك، إلى حدٍّ ما، وإلا من الممكن أن تنتهي هذه المهمة بأن أُصبح جثة أنا الآخر.

قلت له:

- ما عليك سوى اتباع التعليمات الواردة في رسالة البريد الإلكتروني.

ثم أنهيتُ المكالمة.

تجاهلتُ ديون، وبدأتُ كتابة رسالة بريد إلكتروني، في حين استمرَّ عرض تسجيلات الكاميرا الأمنية على الجانب الآخر من شاشة الكمبيوتر المحمول. وقفتْ أودري خلف مقعدي، ونظرتْ من فوق كتفي، كي تُراقبني وأنا أكتب.

قالت آيفي:

- يجب ألا تفُكِّي حزام الأمان.

قالت أودري:

- أنا متأكدة أن ستيفو سيتخيَّل إصابتي ببعض الندوب المروعة، إذا ارتكبنا حادثًا.

ثم أشارت إلى ما أكتبه وواصلَت قائلة:

- نشر الشائعات؟ بخصوص إكسيلتيك؟ سيدفعهم هذا لليأس بدرجةٍ أشد.

قلت:

- أنا أُعوِّل على ذلك.

قالت أودري:

- وسيجعلنا هذا مُستهدفين بدرجةٍ أكبر! ما الذي تُخطط له بحق السماء؟

لم أُجبها، وبدلًا من ذلك أنهيتُ كتابة التعليمات، وأرسلتُ الرسالة إلى يول. كنت لا أزال أشاهد التسجيلات على شاشة الكمبيوتر المحمول من طرف عيني، وقلت:

- ديون، هل عائلتك مُتدينة؟

أجابني من مكانه في المقعد الأمامي:

- والدتي متدينة.

ثم تابع قائلًا بعناد، كما لو كان هذا شيئًا اضطرَّ إلى الدفاع عنه في الماضي:

- لكنني مُلحد.

- وبانوس؟

قال ديون:

- كان ملحدًا، لكن والدتي رفضت تقبُّل ذلك بالطبع.

- من هو كاهن أسرتك؟

قال:

- الأب فرانجوس. لماذا؟

- لأنني أعتقد أن شخصًا ما انتحل شخصيتَهُ الليلةَ الماضية أثناء زيارة جثة شقيقك. إما ذلك، أو أن الأب فرانجوس مُتورط في سرقة الجثة.

شخر ديون، وقال:

- إنه في التسعين من العمر تقريبًا، كما أنه ورع للغاية. عندما أخبرْتُه والدتي أنني أسير على خُطى شقيقي، صام لمدة ستٍّ وثلاثين ساعة كي يُصلِّي من أجلي. ستٌّ وثلاثون ساعة. أعتقد أن مجرد فكرة مخالفة إحدى الوصايا عن عمدٍ ستقتُلُه على الفور.

بدا أن الفتى تغلب على خوفِهِ منِّي. هذا جيد.

قالت آيفي من المقعد الخلفي:

- اسأله عن رأيه في شقيقه.

غمغم جي سي قائلًا:

- يبدو أنه أحبَّ الرجل.

قالت له آيفي:

- حقًّا؟ لقد استنتجْتَ ذلك بنفسك، أليس كذلك؟ ستيف، أودُّ سماع رأيٍ حول بانوس من مصدر آخر خلاف مصادر يول. استدرجِ الفتى في الحديث، من فضلك.

قلت لديون:

- يبدو أنك حقًّا لا تُحب الشركة التي كان يعمل بها شقيقك.

قال ديون:

- كانت الأمور على ما يرام في البداية، قبل أن تصير شركة كبرى. حينها بدأت الأكاذيب والابتزاز، وصار الأمر متعلقًا بالمال.

قالت أودري:

- على عكس الوظائف الأخرى، التي لا تتعلق بالمال على الإطلاق.

تجاهلتُ تعليق أودري، وقلت لديون:

- لقد واصل شقيقُك العمل هناك. لذا لا يبدو أنه انزعج كثيرًا بشأن التغييرات التي حدثت في «I3». أتوقَّع أنه أراد الفوز ببعض ذلك المال.

التفتَ ديون في مقعده، وألقى نحوي بنظرةٍ يتطاير منها الشرر، بدرجة تكفي لقلْيِ بيضة. قال:

لم يكن بانوس يكترث بالمال. لقد بقيَ في ذلك المكان بسبب مواردهم فقط.

قلت:

- إذن ... فقد كان بحاجة إلى معدات «I3». وبالتالي، أموالهم.

- أجل، حسنًا، لم يكن الأمر متعلقًا بالمال. كان شقيقي سيقوم بأشياء عظيمة، مثل شفاء الأمراض. لقد فعل أشياء لم يعرف عنها الآخرون شيئًا، على الرغم من كونهم خونة ...

قطع ديون حديثَه، ثم استدار في مقعده على الفور، ورفض الاستجابة لمزيدٍ من الأسئلة.

نظرتُ إلى آيفي. قالت:

- إنه يُقدِّره بشدَّة كما لو كان بطلًا. أعتقد أنك إذا حثثتَه على الحديث، فسوف تجد أن ديون يُخطط لدراسة علم الأحياء، والسير على نهج شقيقه. لدَيه نفس الفلسفة، والسلوكيات ... يُمكننا تعلُّم الكثير عن بانوس، من خلال مراقبة شقيقه.

قال جي سي:

- إذن فأنت تقولين أن بانوس كان صغيرًا مزعجًا ...

قاطعَتْه آيفي قائلة:

- على أي حال، إذا كان صحيحًا أن بانوس انشغل بالعمل في مشاريع لم يعلم حتى جارفاس والآخرون شيئًا عنها، فقد يكون ذلك هو السر الحقيقي الذي يُحاول يول استعادته.

أومأتُ برأسي.

أشار توبياس إلى شاشة الكمبيوتر المحمول قائلًا:

- ستيفن، سترغب في مشاهدة هذا.

ملتُ نحو الأمام، وأرجعتُ التسجيل. تجمهر حولي توبياس، وأودري، وجي سي، وتجاهل الجميع شكوى آيفي الحادة من أن أحدًا منا لم يكلف نفسه عناء ربط حزام الأمان. على الشاشة الصغيرة التي كانت تعرض التسجيل بسرعةٍ طبيعية الآن، شاهدتُ شخصًا يُغادر الحمَّام في المجمع الطبي.

كانت عاملة النظافة. سحبتْ حاوية قمامة كبيرةً على عجلات، واقتربتْ من مدخل الباب المؤدي إلى مكتب الطبيب الشرعي، ثم فتحتِ الباب ودخلتْ.

أشار جي سي إلى الشاشة قائلًا:

- ألم يعُد أحدٌ في هذا العالم يهتم بالأمن؟ انظر إلى حارس الأمن! لم يُلقِ نحوها ولو نظرة سريعة حتى.

ثبتُّ التسجيل على ذلك المنظر. لم يكن موضع الكاميرا يسمح بإلقاء نظرة فاحصة على هيئة الشخص، حتى عندما أرجعتُ التسجيل وثبتُّهُ مرةً أخرى.

قال توبياس:

- إنها ضئيلة القامة إلى حدٍّ ما. أنثى، ذات شعر داكن. لم أتمكن من تمييز أي شيءٍ آخر. ماذا عن بقيتكم؟

هز كلٌّ من أودري وجي سي رأسيهما. ثبتُّ الصورة على حارس الأمن. كان رجلًا آخر غير الذي قابلناه. بدا أصغر حجمًا، وقد جلس في مكتب الأمن يقرأ رواية. أرجعتُ التسجيل، لأحاول العثور على المكان الذي دخلتْ منه عاملة النظافة إلى المبنى، لكن لا بد وأنها دخلت من الباب الخلفي. لمحتُ حارس الأمن يضغط زرًّا ما، ربما ليفتح الباب الخلفي لشخصٍ ضرب الجرس كي يطلُب فتح القفل.

ضغطتُ زرَّ التقديم السريع، وراقبْنا عاملة النظافة وهي تغادر مكتب الطبيب الشرعي لتدخل بعدها كل الغرف الكائنة بامتداد الرواق. أيًّا كانت هويتها، فقد كانت تعرف أنه يتعين عليها ألا تكسر نمط العمل المطلوب. نظفتْ باقي المكاتب بسرعة، ثم غابت في طرف الرواق ساحبة خلفها حاوية القمامة الكبيرة.

قال جي سي:

– من المؤكد أن حاوية القمامة هذه يمكن أن تُخفي بداخلها جثة. ظننتُ أن الحارس قال أنه لا أحد يدخل تلك الغرف!

قال توبياس:

– عادة ما يُنظر إلى عمال النظافة بوصفهم «لا أحد». كما أن باب المشرحة نفسه سيكون مغلقًا. قالت ليزا إنه حتى حارس الأمن لن يتمكن من الدخول، لذا فمن المفترض أن طاقم التنظيف لا يدخل تلك الحجرة، على الأقل ليس من دون إشراف.

سألتني أودري:

– هل تحوي ذاكرة الفلاش هذه تسجيلاتٍ من ليالٍ أخرى؟

قلت:

– فكرة جيدة.

فتشتُ حتى عثرتُ على تسجيلات الليلتَين السابقتَين أيضًا. شاهدنا ووجدنا أنه في نفس الوقت تقريبًا من كل ليلة، كانت تدخل عاملة نظافة وتقوم بنفس العمل. لكن حاوية القمامة التي جلبتها معها كانت أصغر حجمًا، كما بدا من الواضح أنها شخصٌ مختلف. كانت امرأة بالفعل، لها بنية جسدية مشابهة، لكنَّ شعرَها ذو لون أفتح.

قالت أودري:

- إذن فقد استبدلوا الكاهن أولًا، ثم عاملة النظافة.

قال جي سي:

- كان ينبغي أن يكون ذلك مستحيلًا. كان من المفترض أن يمنع نظام العمل ذلك.

قالت أودري:

- أي نظام عمل هذا؟ هذه ليست منشأة ذات إجراءات أمنية مشددة، يا جي سي. بعد أن تقضي عامًا تلوَ الآخر من دون وقوع أي نوعٍ من الحوادث، من الطبيعي أن تتراخى. علاوة على هذا، فإن مَن قاموا بتنفيذ هذا الأمر يتمتَّعون بالبراعة: لديهم هويات مزورة، ومعرفة بأوقات دخول وخروج عاملة النظافة، كما أن زيَّ العاملة هو نفسه، حتى إنهم نظفوا مجموعة المكاتب بالكامل كي لا يَشتبِهَ أحدٌ في الأمر.

أعدتُ تشغيل لقطات اللص، متسائلًا ما إذا كانت هي زن نفسها. كانت بنيتُها الجسدية مطابقة. ما الذي قالته أودري من قبل؟ عادة ما يكون الناس أقل أمانًا بكثير من استراتيجيات التشفير -أو في هذه الحالة، التدابير الأمنية- التي يلجئون إليها. كان من الممكن منع كل هذا، لو أن

الحارس ألقى نظرةً سريعة على عاملة التنظيف. لكنه لم يفعل. ولماذا يفعل؟ فما هو الموجود في هذه المكاتب بالفعل، مما قد يرغب شخص في سرقته؟

مجرد جثة تحوي سلاحًا لنهاية العالَم.

كتمتُ رغبتي في التثاؤب، عندما وصلنا أخيرًا إلى منطقة سكنية. تبًّا. كنت آمُل أن أجد فرصةً لإغفاءةٍ سريعة بينما نحن في الطريق. حتى ثلاثين دقيقة فحسب كانت ستُفيدني. لا تُوجَد فرصة لذلك الآن. بدلًا من ذلك، أجبتُ على رسالة البريد الإلكتروني التي أرسلَها إليَّ يول وقلتُ له أجل، إنني أريد أن أزيد من شدةِ اهتياج إكسيلتيك، وأجل، أنا مُدرك تمامًا لما أفعله. بدا أن مجموعة تعليماتي التالية قد هدَّأته.

وصلنا إلى منزلٍ أبيضَ لطيفٍ في الضواحي، من طابق واحد، أمامه حديقة بها عشب مقصوص بعناية، بينما تتسلق الكروم على الجدران. ساعد جو من العناية الدقيقة على تعويض حقيقة أن هذا المنزل – بكسائه الخارجي ونوافذه الصغيرة، وافتقاره إلى مرآب مغلق – ربما يكون قد تجاوز سنوات أوْجِهِ بعقدٍ أو أربعة عقود.

سألني ديون من مكانه في المقعد الأمامي:

– لن تُقدِم على إيذاء عائلتي، أليس كذلك؟

قلت:

– لن أؤذِيَهم، لكنني قد أتسبَّب لك في بعض الحرج.

أصدر ديون صوتَ شخير.

دفعتُ الباب لأفتحه، قائلًا:

– تعال وقدِّمني إليهم. نحن في نفس الصف. أعِدُك بأنني لن أسمح لشركة «I3» بفعل أي شيءٍ شائنٍ بجثة شقيقك عندما أستعيدُها.

في الواقع، سأدعُك تشاهد حرق الجثة - من دون إتاحة الفرصة لشركة «I3» لوضع أيديهم عليها - إذا كنت ترغب في ذلك.

تنهَّد ديون، لكنه نزل معي من السيارة، وتوجَّهنا نحو المنزل.

14

عندما اقتربنا من المنزل، قلت لجي سي:

– قف هنا للمراقبة. لم أنسَ أن زن لا تزال طليقة.

قال جي سي:

– قد نرغب في استدعاء مزيدٍ من الدعم.

سألته آيفي:

– مزيد من حرَّاس الإنقاذ؟

أجابها جي سي بحدة قائلًا:

– حراس الزمن. لكن لا، ليس لدَينا وجود مادي هنا. كنت أتحدَّث عن حراس شخصيِّين حقيقيِّين. إذا استعان سكيني ببعض من هؤلاء، سأشعُر بأمانٍ أكبر بكثير.

هززتُ رأسي قائلًا:

– لا وقتَ لذلك، لسوء الحظ.

هرول توبياس نحوَنا، وقال:

– ربما كان عليك توضيح الحقيقة لزن. هل كان من الحكمة تركُها تعتقد أن بحوزتنا المعلومات التي تُريدها؟

ابتعد ويلسون خلفنا بسيارة الدفع الرباعي الرياضية. كنتُ قد أعطيتُه تعليمات بمواصلة القيادة، حتى أتصل به لاصطحابنا. لم أكن أريد أن تُقرر

زن إخضاع خادمي لتحقيقٍ صغير. لسوء الحظ، لن يكون ابتعاده بالسيارة فحسب كافيًا لحمايته، إذا كانت عازمة على ذلك. ربما كان عليَّ إخبار زن أننا لا نمتلك المعلومات التي تُريدها. مع ذلك، فقد ألهمَتْني غرائزي أنها كلما قلَّت معرفتها بما اكتشفتُه، كان ذلك أفضل بالنسبة إليَّ. كنت فقط بحاجة إلى وضع خطة للتعامُل معها.

قادنا ديون إلى المنزل، ثم نظر إليَّ من فوق كتفه، وتنهَّد ودفعَ الباب كي يفتحه. أمسكتُ الباب وأبقيتُه مفتوحًا كي تمرَّ جوانبي، ثم ولجتُ في النهاية.

بدت رائحة المنزل قديمة، من الأثاث الذي أعُيد تلميعُه مرارًا وتكرارًا، والزهور المجفَّفة القديمة، والخشب المحترق في الموقد العتيق. عرضت تلك الأغراض المكدَّسة بعناية أشياء غريبة وجديدة على كل جدار، وفوق كل سطح: صفٌّ من الصور بإطارات مبتكرة في أحد الممرات، ومجموعة من القطط الخزفية داخل صندوق عرض زجاجي بالقُرب من الباب، ومجموعة من الشموع الملونة التي لها طابع ديني فوق رفِّ المدفأة. لم يبدُ وكأن أحدًا يعيش بالمنزل، بل بدا مزينًا فحسب. كان بمثابة متحفٍ لحياة الأسرة، وقد عاشوا كثيرًا.

علق ديون معطفه بجوار الباب، وكان هو المعطف الوحيد هناك؛ إذ تم تخزين الباقي بعناية داخل خزانة مفتوحة. سار عبر الردهة، مناديًا والدتَه.

تباطأتُ، ودخلتُ غرفة المعيشة التي كان بها بساطٌ صغير فوق السجادة، ومقعد له مساند بالية للذراعَين. تفرَّقَت جوانبي في أرجاء المكان. اقتربتُ من المدفأة، وتفحصتُ صليبًا جميلًا على الحائط، مصنوعًا من الزجاج.

لاحظتُ التوقير البادي من آيفي، فسألتها:

- هل هي من الكاثوليك؟

فقالت:

- اقتربتَ من الصواب. إنها من الروم الأرثوذوكس. هناك تصوير للإمبراطور قسطنطين.

أشرتُ إلى الشموع واللوحات والصليب قائلًا:

- إنها بالِغة التديُّن.

قالت:

- أو قد تكون مغرمةً بالديكورات فحسب. ما الذي نبحث عنه؟

قلت:

- مفتاح فك الشفرة.

ثم التفتُّ مواصلًا الحديث:

- أودري، هل لديك أي فكرةٍ؛ كيف قد يبدو شكله؟

قالت:

- إنه مفتاح رقمي. بالنسبة إلى لوحة المرة الواحدة، سيكون المفتاح بنفس طول البيانات المخزنة. لذا كانت زن تسعى للحصول على ذاكرة الفلاش.

تجولتُ بنظري في أرجاء الغرفة. في وجود كل هذه الأشياء، يمكن إخفاء ذاكرة فلاش في أي مكانٍ تقريبًا. شرع كل من توبياس، وأودري، وجي سي في البحث، بينما بقِيَت آيفي بجانبي.

سألتُها بهدوء:

- إبرة في كومة قش؟

عقدتْ ذراعَيها ونقرتْ بإصبعها على ساعد الذراع المقابل، وقالت:

- ربما. دعنا نلقي نظرة على صور أفراد الأسرة. ربما يمكننا التوصل إلى شيءٍ من خلالها.

أومأتُ برأسي، وسرتُ نحو الردهة المؤدية إلى المطبخ، حيث لمحتُ صور العائلة. كان هناك صفٌّ متتالٍ مؤلَّف من أربع صورٍ رسمية لكل فردٍ من أفراد الأسرة. كانت صورة الأب قديمة، من السبعينيات، وقد تُوفي عندما كان الابنان في طفولتهما. كانت هناك صورتان مُعلقتان أسفل صورتَي ديون ووالدتِه، لِما بدا أنهما قدِّيسان.

لم تكن هناك صورة قدِّيس أسفل صورة بانوس. أشرتُ إلى البقعة الخالية متسائلًا:

- هل هذا رمز يدل على أنه تخلَّى عن إيمانه؟

قالت آيفي:

- لا يُوجَد في الأمر شيء درامي إلى هذا الحد. عندما يُدفَن أحد أعضاء الكنيسة الأرثوذوكسية اليونانية، تُدفن معه صورة المسيح، أو صورة قدِّيسِه الشفيع. لا بد أنهم أنزلوا تلك الصورة استعدادًا لجنازته.

تقدمتُ لمسافةٍ أبعدَ بعض الشيء، بحثًا عن صورٍ للأسرة وهم يتفاعلون مع بعضهم. وقفتُ أمام صورة تُظهر بانوس منذ وقتٍ ليس بعيد. كان يرفع سمكة، بينما والدته ترتدي نظارةً شمسية وتحتضنُه من جانبه.

قالت آيفي:

- كان منفتحًا وودودًا، بكل المقاييس. شخص مؤمن بالمثاليَّات، انضم إلى أصدقائِه من الجامعة كي يُنشئوا شركتهم الخاصة. كتب في أحد المنتديات قبل بضعة أشهر: «إذا نجح هذا الأمر، سيتمكن أيُّ شخصٍ في أي دولة من الحصول على حوسبة قوية. يوفر

جسد الشخص الطاقة، ومساحة التخزين، وحتى المعالجة». حذَّر آخرون على المنتدى من مخاطر البرمجيات الرطبة، لكن بانوس جادلهم. رأى كلَّ هذا على أنه نوع ما من ثورة المعلومات، وخطوة إلى الأمام بالنسبة إلى البشرية.

- هل هناك أي شيءٍ في تلك المشاركات يبدو غريبًا؟

قالت آيفي:

- اسأل أودري عن ذلك. تركيزي منصبٌّ على بانوس الإنسان. كيف كانت طبيعة شخصيته؟ وكيف سيتصرَّف؟

قلت:

- كان يعمل على شيء ما. شفاء الأمراض. أليس هذا ما قاله ديون؟ أراهن أنه كان منزعجًا للغاية عندما أوقفَه الآخرون عن أبحاثِه عن الفيروسات بسبب الخوف من السرطان.

- يول يعرف أن بانوس حقق تقدمًا في أبحاثه إلى حدٍّ أبعدَ بكثيرٍ مما أفصح عنه. يبدو هذا واضحًا بالنسبة لي. كان يول يتجسس على بانوس، وهو قلق جدًّا جدًّا بشأن كل هذا. وهذا يعني أنه قلق بشأن خطرٍ أكثرَ كارثيةً حتى من خوفهم البسيط هذا من السرطان. هذا هو السبب الذي دفع يول إلى الاستعانة بك، والسبب وراء رغبته الشديدة في تدمير الجثة.

أومأتُ ببطءٍ قائلًا:

- ماذا عن بانوس إذن؟ ما الذي يمكنك تخمينُه بشأنه، وبشأن المفتاح؟

قالت آيفي:

- إذا كان قد استخدم مفتاحًا من الأساس، أعتقد أنه سيمنحه لأحد أفراد الأسرة.

قلت:

- أتفق معك في الرأي.

توجَّه ديون أخيرًا نحو الباب الخلفي، مُناديًا والدتَه في الحديقة الخلفية.

أحسستُ بالقلق للحظة. هل سبقتنا زن في المجيء إلى هنا؟ لكن لا، عندما خطوتُ إلى المطبخ، تمكنتُ من رؤية الأم في الخارج وهي تُقلم شجرة. تقدم منها ديون.

تأخرتُ للحظة، واقتربتُ من أودزي وجي سي.

كانت أودري تقول:

- إذن هل لدَينا سيارات طائرة في المستقبل؟

قال جي سي:

- أنا لستُ قادِمًا من مستقبلكم، بل أنا من بُعدٍ مُوازٍ، وأنت من بعدٍ آخر.

- وهل هناك سيارات طائرة في البعد الذي جئتَ منه؟

قال جي سي:

- هذه معلومات سِرية. كل ما أستطيع إخبارك به هو أن البُعد الذي أتيتُ منه يُشبه هذا البُعد في الأساس، لكنني موجود هناك.

- بعبارةٍ أخرى، فإن ذلك البُعد أسوأ كثيرًا من هذا.

- عليَّ إطلاق النار عليك يا امرأة.

- فلتُجرِّب ذلك.

وقفتُ حائلًا بينهما، لكن جي سي نخر فحسب. زمجر في أودري قائلًا:

- لا تُغريني يا امرأة.

قالت أودري:

- لا، حقًّا، فلتطلِق عليَّ النار. هيا. وحينما لا يحدُث شيء بعدَها لأن كلينا من وحي الخيال، ستُضطرُّ إلى الاعتراف بالحقيقة، وهي أنك مجنون، حتى بالنسبة إلى كونك من نسج خيال رجل مُختل، وأنه تخيَّلك كمستودع للمعلومات، وأنك أنت نفسك في الواقع مجرد ذاكرة فلاش، يا جي سي.

حدَّق إليها بغضب، ثم خطا مبتعدًا ورأسُه مَحنِيٌّ.

صاحتْ أودري خلفه:

- وأنك ...

أمسكتُ بذراعها قائلًا:

- كفى.

قالت:

- من الأفضل أن يُقلل أحدهم من غرورِه بعض الشيء يا ستيفو. لا يمكن السماح لأجزاء من عقلك بالتعالي بدرجةٍ زائدة عن الحد، أليس كذلك؟

- وماذا عنك أنت؟

قالت:

- أنا مختلفة.

- أوه؟ وهل ستكونين بخيرٍ إذا ما توقفتُ عن تخيُّلك؟

قالت بانزعاج:

- أنت لا تعرف كيف تفعل ذلك.

- أنا متأكد من أنه إذا أطلق عليك جي سي النار، فسوف يتصرف عقلي وفقًا لذلك. سوف تموتين يا أودري. لذا عليك الانتباه لما تطلُبينه.

ألقت نظرةً جانبية، وتململتْ وهي تنقل ثقلها من قدمٍ إلى أخرى، ثم قالت:

- إذن ... آه ... ما الذي كنتَ تريده؟

قلت:

- أنت مُحلل البيانات الوحيد لديَّ الآن. بخصوص البيانات التي أعطانا إيَّاها يول، فكِّري في رسائل البريد الإلكتروني، ومنشورات المنتدى، والمعلومات الشخصية من جهاز كمبيوتر بانوس. أحتاج إلى معرفة ما الذي لا يُصرح به.

- ما الذي لا يصرح به؟

- كل ما هو غير ظاهر، يا أودري. أيُّ تناقضات، أو أدلة. أريد أن أعرف ما الذي كان يعمل عليه بالفعل، أي مشاريعه السِّرية. هناك احتمال كبير أن يكون قد ألمح إلى ذلك عبر الإنترنت في مكانٍ ما.

- حسنًا، سأفكر في الأمر.

كانت قد انتقلت من كونها خبيرةً متخصصة في تحليل خط اليد، إلى مجالٍ أوسع. تمنيتُ أن تكون هذه بداية اتجاه جديد؛ إذ إن المساحة المتوفرة لديَّ أخذت تضيق بكل جوانبي، وصار من الصعب احتواؤهم وإدارتهم وتخيلهم جميعًا في نفس الوقت. بِتُّ أعتقد أن هذا هو سبب إصرار أودري على المشاركة في هذه المهمة؛ إذ كان جزء منِّي في أعماقي يعرف أنه يتعين على جوانبي مضاعفة مهاراتها.

نظرت إليَّ وركزت عينَيها عليَّ قائلة:

- في الواقع، بعد أن فكرتُ في الأمر، قد يكون لديَّ شيءٌ من أجلك الآن. الفيروسات.

- ماذا عنها؟

- قضى بانوس كثيرًا من الوقت في منتديات علم المناعة، وهو يتحدَّث عن الأمراض، ويدخل في مناقشات مُتخصِّصة للغاية مع الأشخاص الذين يدرسون البكتيريا والفيروسات. ليس هناك شيء كاشف فيما قاله، لكن عندما تنظر إلى الصورة الأكبر ...

قلت:

- كان عمله السابق في مجال التضفير الجيني الميكروبي، لذا فمن المنطقي أن يُوجَد في تلك المنتديات.

قالت أودري:

- لكن جارفاس ذكر أنهم تخلَّوا عن الفيروسات كوسيلةٍ لتوصيل البيانات. ومع ذلك، فقد زادت مشاركات بانوس في المنتدى بخصوص هذه المواضيع بمجرد أن تخلَّت شركة «I3» عن ذلك الجزء من المشروع.

نظرتْ إليَّ، ثم ابتسمت ابتسامةً عريضة وواصلت قائلة:

- لقد توصلتُ إلى ذلك!

- رائع.

عقدتْ ذراعيها وقالت:

- حسنًا، أعني أنني أعتقد أنك توصَّلت إلى ذلك. كونك شخصًا من وحي الخيال يجعل من الصعب بالنسبة لك الشعور بأي حسٍّ حقيقي بالإنجاز.

قلت:

- تخيلي شعورك بالإنجاز فحسب. أنتِ من نسج الخيال، لذا يجب أن يكون الإنجاز الخيالي كافيًا لكِ.

- لكن إذا كنتُ خيالية، ثم تخيلتُ شيئًا ما، فهو يُصبح خياليًّا على نحو مضاعف. كما لو أنك تستخدم آلة نسخ لنسخ شيء تم نسخه للتو.

اقترب توبياس قائلًا:

- في الواقع، من الناحية النظرية، يجب أن يكون صاحب الخيال الأساسي هو من تخيَّل الشعور الخيالي بالإنجاز، لذا فلن يكون بمثابة تكرار كما اقترحتِ.

قالت أودري:

- لا تسير الأمور على هذا النحو، صدِّقني، أنا الخبيرة في كونك من نسج الخيال.

- لكن ... إذا كنا جميعًا جوانب ...

قالت:

- أجل، لكنني خيالية بدرجةٍ أكبر منك. أو، حسنًا ... أقل. بما أنني أعرف كل شيءٍ عن الموضوع.

ابتسمتْ له ابتسامةَ انتصارٍ عريضة، بينما هو يفرك ذقنَه محاولًا فَهم ما قالته.

نظرتُ إلى أودري وقلت بهدوء:

- أنت مجنونة.

- هاه؟

كان الأمر قد طرأ لي للتو. إن أودري مجنونة.

كانت جميع جوانبي كذلك. لم أعُد ألاحظ تقريبًا الشيزوفرينيا التي يُعاني منها توبياس، ولا حتى التريبوفوبيا التي تُعاني منها آيفي. لكن الجنون كان كامنًا هناك. كان كل جانبٍ من جوانبي يعاني من حالة من هذا القبيل، سواء كانت الخوف من الجراثيم، أو الخوف من التكنولوجيا، أو جنون العظمة. لكنني لم أُدرك ما تُعاني منه أودري، حتى الآن.

قلت لها:

- أنت تعتقدين أنك خيالية.

- هذا بديهي!

- لكن هذا ليس بسبب كونك خيالية بالفعل، بل لأنك تُعانين من الذُّهان الذي يجعلك تعتقدين أنك خيالية. كنتِ ستعتقدين ذلك حتى لو كنتِ حقيقيةً بالفعل.

كان من الصعب ملاحظة ذلك. قَبِل العديد من جوانبي نصيبَهم، لكن القليل منهم واجهَ الأمر. حتى آيفي فعلت ذلك بصعوبة. لكن أودري كانت تتفاخَر بالموضوع وتستمتِع به. كان ذلك لأنها تعتقد في ذهنها أنها إنسانةٌ حقيقية مجنونة، بالتالي ظنَّت أنها ليست حقيقية. افترضَتْ أن لدَيها وعيًا بذاتها، لكن هذا لم يكن صحيحًا على الإطلاق. بل كانت مجنونةً مثل الآخرين، لكن تصادف أنَّ جنونها يتماشى مع الواقع.

نظرتْ إليَّ، ثم هزت كتفيها وحاولتْ على الفور أن تُغير مسار الحديث، فسألتْ توبياس عن الطقس. وقد أشار هو بالطبع إلى الشخص الوهمي الذي يُحادثه، والذي يعيش في قمرٍ صناعي بالأعلى. هززتُ رأسي، ثم استدرتُ مبتعدًا عنهما.

وجدتُ ديون واقفًا في مدخل الباب، وقد بدا عدم الارتياح على وجهه بوضوح. كم يبلُغ مدى ما شاهده؟ منَحَنِي نظرة تُشبه تلك التي

15

وجدتُ آيفي وجي سي بالخارج، جالسَين على الدرج. كانت تُدلك ظهره، بينما جلس وقد تدلَّت يداه أمامه، مُمسكًا بمسدسه في إحداهما، وهو يُحدق إلى خنفساء تمرُّ على الأرض. وجهتْ لي آيفي نظرةً سريعة، وهزَّت رأسها. لم يكن الوقت مناسبًا للتحدُّث معه.

عبرتُ الحديقة ذات العُشب المعتنَى به جيدًا، وأودري وتوبياس ورائي. انتهت السيدة ماهيراس من التقليم، وشرعتْ تتفقد نباتات الطماطم، وتُزيل عنها الحشرات والحشائش الضارة.

لم ترفع رأسها عندما اقتربتُ منها. قالت:

- ستيفن ليدز. أنت مشهور، حسب ما سمعتُ.

حمل صوتُها لكنةً يونانية مميزة.

جثوتُ على رُكبتي قائلًا:

- بين من يُحبون القيل والقال فحسب. تبدو الطماطم جميلة. إنها تنمو جيدًا.

رفعتْ إحدى الثمار الخضراء الممتلئة وقالت:

- لقد بدأتُ زراعتها في الداخل. تنمو الطماطم على نحوٍ أفضل بعد انقضاء فترات الصقيع المتأخِّرة، لكن لا يَسعُني إلا أن أرغب في البدء بزراعتها مبكرًا.

قد يمنحها المرء لكلبٍ غريب كان ينبحُ للتوِّ على نحوٍ محموم، لكنه بدا هادئًا الآن. خلال تلك المحادثة بأكملها، كنتُ رجلًا مجنونًا، أذرع الغرفة، وأُحادث نفسي.

لا. لست مجنونًا. كل شيء تحت السيطرة.

ربما كان ذلك هو جنوني الحقيقي الوحيد: اعتقادي أنني أستطيع التعامُل مع كل هذا.

سألته:

- هل عثرتَ على والدتِك؟

أشار ديون فوق كتفِه قائلًا:

- في الحديقة الخلفية.

تجاوزتُه قائلًا:

- دعنا نذهب لنتحدَّث معها.

انتظرتُ أن تُلقنني آيفي ما أقوله، لكنها كانت لا تزال على الدرَج. فكرتُ: «يا لي من أحمق»! ثم خاطبتها قائلًا:

- إذن ... هل تُحبين العمل في الحديقة كثيرًا؟

رفعتْ السيدة ماهيراس عينَيها، والتقت نظرتُها بنظرتي. قالت:

- أنا أُقدر الأشخاص الذين يتخذون القرارات ويتصرفون وفقًا لها يا سيد ليدز، وليس الأشخاص الذين يُجرون محادثاتٍ خفيفة حول أشياء يبدو بوضوح أنهم لا يهتمُّون بها.

قلت:

- هناك عدة أجزاء منِّي مُهتمة للغاية بالبستنة، لكنني لم أصطحبهم معي فحسب.

تأمَّلتني، وانتظرتْ.

تنهدتُ قائلًا:

- ما الذي تعرفينه عن أبحاث ابنك يا سيدة ماهيراس؟

قالت:

- لا شيء تقريبًا. إنه عمل شنيع.

تجهمتُ.

ركل ديون كتلةً من الطين خلفي وقال:

- إنها تعتقد أن عمله أبعدَه عن الكنيسة. كل تلك العلوم والتساؤلات. فليُعِنَّا الرب، إذا قرَّر المرء قضاء وقتِه في التفكير.

قالت:

- لا تتحدث بحماقةٍ يا ديون.

عقد ذراعَيه، ونظر في عينَيها بتحدٍّ.

نظرَت إليَّ السيدة ماهيراس وقالت:

- أنت تعمل لصالح الناس الذين كان ابني يعمل لدَيهم.

قلت:

- أريد العثور على جثتِهِ فحسب، قبل أن يحدُث أي شيءٍ خطير. ما الذي يمكنك إخباري به بخصوص كاهنك؟

سألتني:

- الأب فرانجوس؟ لماذا تسأل عنه؟

قلت:

- كان هو آخِر من رأى الجثة. لقد زار الطبيب الشرعي في الليلة السابقة لاختفاء جثة ابنك.

قالت السيدة ماهيراس:

- لا تكن سخيفًا. لم يفعل شيئًا من هذا القبيل، بل كان موجودًا هنا. طلبتُ منه مباركة المنزل، فأتى للزيارة.

تبادل توبياس وآيفي النظرات بجانبي. ها قد صار لدينا شاهد على أن الأب فرانجوس لم يذهب لرؤية الجثة، ودليل على تورط محتال في الأمر. لكن ما الفائدة التي تعود علينا من تلك المعرفة؟

سألتها:

- هل أعطاك بانوس أي شيء قبل وفاته؟

- لا.

قلت:

- ربما كان شيئًا تافهًا. هل أنت واثقة؟ ألا يُوجَد شيء يمكنك التفكير فيه؟

عاودَتِ الالتفاتَ إلى نباتاتها وقالت:

- نعم.

- هل أمضى وقتًا مع أي شخصٍ على وجه الخصوص، خلال الأشهر القليلة الماضية؟

- فقط الرجال الذين ينتمون إلى ذلك المختبر المروع.

جثوتُ بجانبها قائلًا بهدوء:

- يا سيدة ماهيراس، هناك أرواحٌ معرضة للخطر بسبب أبحاث ابنك. أرواح كثيرة. إذا كنتِ تُخفين شيئًا ما، فقد تتسبَّبين في حدوث كارثة وطنية. لستِ بحاجةٍ إلى أن تمنحيني إيَّاها. الشرطة - أو بالأحرى مكتب التحقيقات الفيدرالي - سيكون خيارًا ملائمًا تمامًا. لا تُقامري بهذا الأمر فحسب، رجاء.

نظرتْ إليَّ وقد زمَّت شفتَيها، ثم بدا الجمود على ملامحها وقالت:

- ليس لديَّ أي شيء لك.

تنهدتُ، ونهضتُ قائلًا:

- شكرًا لك.

ابتعدتُ عنها، عائدًا نحو الدرج، حيث كان مزاج جي سي قد تحسَّن بعض الشيء بعد محاولات آيفي معه.

سألني:

- حسنًا، إذن؟

قلت:

- لقد رفضتْ التعاون. إذا كان قد أعطاها المفتاح بالفعل، فلن تُخبرني بذلك.

قال جي سي:

- كان مجيئنا هنا خطأ، شتَّت انتباهنا عما يجب علينا القيام به.

ألقيتُ نظرةً خاطفة على الأم، التي ظلَّت تتأمَّلني والمِجرفة في يدِها.

واصل جي سي قائلًا:

- عليك الاعتراف بالأمر يا سكيني. إذا لم نفعل شيئًا قريبًا، فسوف يُصاب العالم بالسرطان.

تردَّد قبل أن يتابع الحديث:

- اللغنة! يبدو الأمر غبيًّا عندما أصوغه على هذا النحو.

سألته:

- اللغنة؟

- إنه سباب مُستخدم في المستقبل.

- لماذا يبدو وكأنه يشبه إلى حدٍّ كبير ...

أدار جي سي عينَيه في محجريهما قائلًا:

- دومًا ما تبدو كلمات السباب المستخدمة في المستقبل وكأنها تشبه تلك المستخدمة في الحاضر، لكنها ليست كذلك، لذا فلا بأس من التفوُّه بها في وجود المتشدِّدين أخلاقيًّا.

أشار إلى آيفي، التي كانت لا تزال جالسةً إلى جواره.

قالت آيفي:

- انتظر، كنت أظن أنك من بُعد آخر، وليس من المستقبل.

- هراء. لطالما كنتُ من المستقبل.

- منذ متى؟

قال جي سي:

- منذ يومَين من الآن. انظر يا سكيني، هل يتعيَّن عليَّ تكرار الحديث؟ أنت تعرف ما هي خطوتنا التالية.

تنهدتُ، ثم أومأتُ برأسي قائلًا:

- أجل، حان الوقت لاقتحام إكسيلتيك.

الجزء الثالث

16

سارت آيفي بجواري مسرعةً وأنا في طريقي إلى الخروج من الباب الأمامي للمنزل، وقالت:

- هل أنت متأكد من هذا؟

قال جي سي:

- إنه أفضل خيطٍ لدَينا، يا آيفي. ليس لدينا الوقت للبحث عن خيوط جديدة. إن الجثة بحوزة إكسيلتيك، وعلينا اكتشاف مكانها واستعادتها منهم.

أومأتُ قائلًا:

- قد يكون مفتاح بانوس في أي مكانٍ تقريبًا، لكن إذا دمَّرنا الجثة، فلن يعود للمفتاح أهمية.

رفعتُ هاتفي، ولاحظتُ أنني فاتتْني مكالمة من يول. أومأتُ برأسي لجي سي كي يُراقب المحيط، بينما أرسلتُ رسالةً نصية إلى ويلسون ليأتي لاصطحابنا، ثم عاودتُ الاتصال بيول.

أجاب يول الهاتف. قلت:

- مرحبًا، أنا ...

قاطعَني يول بصوتٍ مكتوم قائلًا:

- ليس لديَّ كثير من الوقت. الوضع سيئ يا الفيلق، سيئ للغاية.

سرَتْ فيَّ البرودة وقلت:

- ماذا حدث؟

تحدَّث يول بسرعة، وازدادت لكنتُه وضوحًا وهو يتعجَّل الحديث قائلًا:

- بانوس. لقد سرَّب شيئًا ما. اللعنة. إنه ...

انقطع حديثه.

شعرتُ بالتوتر عندما اقترب منِّي كلٌّ من آيفي وتوبياس، مُحاولَين سماع الحديث. قلت:

- يول؟ يول!

سمعتُ أصواتًا على الطرف الآخر من الخط، تلاها صوت احتكاك. بعد لحظة، قال يول:

- إنهم يُلقون القبض عليَّ. ممنوع دخول أو خروج أي معلومات أخرى. سوف يأخذون هاتفي.

سألته:

- ما الذي سرَّبه بانوس يا يول؟

- لا نعلم. لقد عثر العملاء الفيدراليون على ملفٍّ خفي في جهاز الكمبيوتر الخاص به، وقد تسبَّب في محوِ كلِّ ما على الجهاز اللعين، وظهرت لنا شاشة تسخَر منَّا، قائلةً بأنه أطلق عدواه بالفعل. إنهم يشعرون بالرعب، ولا أعرف أي شيءٍ آخر.

- وماذا عن الأشياء التي طلبتُ منك القيام بها؟

- نفذتُ بعضها، والبعض الآخر قيد التنفيذ. لا أعرف ما إذا كنتُ سأتمكن من الانتهاء.

- يول، قد تعتمِد حياتي على ما إذا كنت ...

أجابني يول بحدة:

– حيواتنا جميعًا في خطر. ألم تسمعْني؟ هذه كارثة. تبًّا! إنهم هنا. اعثر على تلك الجثة، واكتشِف ما فعلَه ذلك الرجل!

خشخش الهاتف مرةً أخرى، ثم انقطع الخط. راوَدَني انطباع واضح بأن يول لم يُغلِق الخط، بل أخذ منه شخصٌ ما الهاتف. صار العملاء الفيدراليون يعلمون الآن على الأرجح أنني مُتورط في الأمر.

أنزلتُ الهاتف وتأملتُ جوانبي، عندما اقترب ويلسون بالسيارة. خرج ديون من المنزل خلفَنا، ويداه في جيوبه، وقد بدا عليه الاضطراب.

عاد جي سي على عجَلٍ بعد أن استطلع المحيط، وقال:

– يجب أن نتحرك. يمكن أن تأتي زن إلى هنا في أي لحظة.

قلت:

– إذا فعلتْ، ستكون السيدة ماهيراس في خطر. أنا مندهش من أن زن لم تأتِ إلى هنا بالفعل، وإن لم تأتِ هي، فأيٌّ من أتباع إكسيلتيك الآخرين.

تجهمتُ، ثم تابعتُ قائلًا:

– أشعر أننا مُتخلفون بخطوة، ولا يعجبني ذلك الإحساس.

تجاهلتُ السيارة التي تنتظرنا، وبالكاد لاحظتُ ديون وهو يقترب. بدلًا من ذلك، أغمضتُ عينيَّ وهمستُ قائلًا:

– توبياس.

قال توبياس:

– هل لاحظتَ جمال تنسيق الحديقة هنا؟ هذه زهور البيجونيا، ومن الصعب رعايتها، لا سيما في هذه المنطقة. إنها تتطلب كثيرًا

من الضوء، لكن يجب ألا يكون مباشرًا، كما أنها حساسة جدًّا للصقيع. آه، أذكر حكاية عنها . . .

تابع الحديث، بينما صمتت جوانبي الأخرى، ونحن نُفكر جماعيًّا. لن أواصل، بينما أشعر أنَّ ثمَّة ما فاتني. شيءٌ ما، كان يتعين على أحدنا اكتشافه. لكن ما هو؟

قاطعَني جي سي فجأة:

- زن، وكمينها.

فتحتُ عينيَّ وهمستُ قائلًا:

- إن الناس أقل أمانًا بكثير من التدابير الأمنية التي يلجئون إليها.

مددتُ يدِي إلى كتفي، حيث قبضتْ عليَّ زن في الزقاق لتسحبَني بعيدًا عن المبنى، ثم حركتُ يدي لألمس أسفل ياقة قميصي.

لمسَتْ أصابعي شيئًا معدِنيًّا.

قال جي سي:

- أوه، يا للهول!

كانت زن قد زرعت بي جهاز تنصت. كان ذلك هو الهدف من الهجوم في الزقاق. لم يكن الأمر تهورًا بالدرجة التي جعلتْه يبدو بها. تسابقتِ الأفكار في عقلي، بينما أوضح جي سي ما حدث لباقي جوانبي. ما الذي قلته بصوتٍ مرتفع؟ وما الذي عرفتْه زن؟

لقد سمعتْ أنني أنوي اقتحام إكسيلتيك. لكن ماذا عن التعليمات التي أرسلتُها إلى يول؟ هل كانت تعلم بشأنها؟

تصببتُ عرقًا، وبحثتُ في ذاكرتي. لا. لقد كتبتُ تلك المعلومات في البريد الإلكتروني فقط. لكنها كانت تعرف ما قلتُه للسيدة ماهيراس. وكانت تعلم أنني وصلتُ إلى طريق مسدود.

قال جي سي:

- أنا أحمق. كيف فكّرنا في تطهيرك بعد ما حدث في المطعم، وليس بعد الاتصال الجسدي الفعلي بتلك القاتلة الأجيرة؟

أجابتْه أودري قائلة:

- لقد أخفَتْ نواياها جيدًا، وأظهرت الأمر على أنه محاولة محمومة للحصول على ذاكرة الفلاش.

- على الأقل لم يعُد علينا الشعور بالقلق على الأرجح، من قدومها إلى هنا كي تؤذيَ السيدة ماهيراس.

حدقتُ إلى هاتفي، وقلت:

- على الأرجح. كيف فاتنا هذا الأمر؟

وضع توبياس يدَه على كتفي وقال:

- اهدأ، يا ستيفن. الجميع يرتكبون الأخطاء، حتى أنت. يُمكننا استغلال هذا الأمر. إن القاتلة تتنصَّت علينا، لكنها لا تعلم أنك اكتشفت ذلك. يمكننا التلاعُب بها.

أومأتُ برأسي، وأخذتُ نفسًا عميقًا. باتت زن تعرف بأمر خطة اقتحام إكسيلتيك، مما يعني أنني لم أعد أستطيع المضيَّ قدمًا في ذلك. كنت بحاجةٍ إلى شيء جديد، شيء أفضل.

كان هذا يعني الاعتماد على الأشياء التي بدأتها مع يول. إثارة اهتياج أصحاب إكسيلتيك، ثم اللعب على ذلك. لماذا صارت المهام كلها تسير على هذا النحو مؤخرًا؟ نظرتُ إلى جوانبي، ثم اتخذتُ القرار واتصلتُ بأحد الأرقام على هاتفي.

أجاب أحدهم، وأتاني صوت مُثير من على الطرف الآخر قائلًا:

- أوه يا عزيزي، كنتُ آمُل أن تتَّصِل بي اليوم.

قلت:

- بيانكا.

تأوه توبياس قائلًا:

- ليس هي.

تجاهلته، وقلتُ للمرأة على الطرف الآخر من الخط:

- أنا بحاجةٍ إلى بعض المعلومات.

قالت:

- بكلِّ تأكيد يا عزيزي.

كيف كانت تُخرخِر كالقط هكذا؟ كدت أقتنع بأنها تستخدِم آلة مؤثرات صوتية من نوعٍ ما. واصلتْ قائلة:

- عن ماذا. عن ... موعدك في تلك الليلة؟ يمكنني إخبارك بأسماء الأشخاص الذين أوقعوا بك.

قلت:

- الأمر لا يتعلق بذلك. هناك شيء ما يدور بخصوص شركة اسمها «I3»، والشركة المنافسة لهم، إكسيلتيك. أعتقد أنهم ربما يكونون قد أطلقوا فيروسًا مميتًا. هل تعرفين أي شيءٍ بخصوص ذلك الموضوع؟

قالت بيانكا:

- مم ... يُمكنني البحث. قد يستغرق الأمر بعض الوقت.

قلت:

- أي شيءٍ يمكنك اكتشافه بشأن إكسيلتيك سيكون محلَّ تقدير بالغ.

قالت:

- بالتأكيد. ويا عزيزي، لِمَ لا تتصل بي عندما ترغب في موعد المرة القادمة؟ أنا في غاية الاستياء من أنك لم تفكر فيَّ حتى!

قلت:

- تقولين ذلك كما لو أنك ستأتين بالفعل.

مضت ثلاث سنوات على معرفتي بها، ولم يسبق أن قابلتُ بيانكا وجهًا لوجهٍ على الإطلاق.

قالت:

- على الأقل سأفكر في الأمر. والآن، عليك أن تُعطيني شيئًا ما للصُّحف. ماذا عن موعدك؟

قلت:

- احصلي على المعلومات المتعلقة بإكسيلتيك، وسنتبادل المعلومات.

أنهيتُ المكالمة، والتفتُّ لأنظُر وراء كتفي، حينما اقترب ديون نحوي على الرصيف، وقد بدت عليه الحيرة.

سألني الفتى:

- ما الذي تأمُل في اكتشافه؟

أجبتُه وأنا مُدرك تمامًا أن زن تستمع إلى كل هذا:

- لا شيء. إن بيانكا مصدر معلومات مُريع. لم أحصل منها على أي معلومات مفيدة قط. وبعد أن أتصل بها، ينتهي الأمر بمعظم ما قلتُه وقد انتشر على الإنترنت في غضون دقائق.

- لكن ...

اتصلتُ بمصدر معلومات آخر، وبدأتُ في استفسارٍ مُشابه، لكن أكثر حذرًا. ثم اتصلتُ بعدها بثالث. في خلال بضع دقائق، تأكدتُ من أنَّ كل المهتمين بشأن إكسيلتيك سيقرءون قريبًا جدًّا عن كيفية

تورط الشركة في خرقٍ كبير للسلامة العامة. مع خضوع «I3» للتحقيق، وتورُّطي أنا في الأمر، ستتسبَّب نواة الحقيقة للشائعات التي أطلقتُها أنا في تهييج وسائل الإعلام.

قالت آيفي عندما اقترب منا ويلسون أخيراً:

- أنت تدفع ظهرَهم إلى الحائط يا ستيف. كان أرباب عمل زن يائسين من قبل، لكنهم سيُصابون بالسعار ما إن تتفجَّر هذه المسألة.

سألني جي سي:

- هل تأمُل في أن تجعلهم يتجاهلونك، بينما يَصبُّون تركيزهم على السيطرة على الضرر الواقع مع وسائل الإعلام؟ هذا ليس تصرفًا ذكيًّا. إن جَلْد النمر لن يُشتِّت انتباهه، بل سيزيدُه غضبًا فحسب.

لم أتمكن من توضيح الأمر، بينما زن تتنصَّت علينا. بدلًا من ذلك، أخرجتُ دفتر ملاحظاتي، وكتبتُ بعض التعليمات لويلسون، مفترضًا أن جوانبي سترى، وتفهم ما يجري.

من المثير للدهشة أن أودري بدت وكأنها أول من فهِم الأمر. ابتسمتْ ابتسامةً واسعة وقالت:

- أوووه ...

عقدتْ آيفي ذراعَيها قائلة:

- هذا خطير. خطير للغاية.

فتح ويلسون النافذة المجاورة لمقعد الراكب وقال:

- سيد ليدز؟

انتهيتُ من الكتابة، وملتُ نحو النافذة وناولتُه الرسالة. قلت:

-هاك بعض التعليمات. أحتاج منك أن تبقى هنا يا ويلسون، لحراسة السيدة ماهيراس. أشعر بالقلق من أن تلك القاتلة قد تُحاول الوصول إليها. في الواقع، ربما يجدُر بك اصطحابها إلى أقرب قسم للشرطة.

- لكن من سيقوم بتوصيلك؟

قلت:

- أستطيع القيادة.

بدا ويلسون مُتشككًا.

قالت أودري:

- كم هو مضحك، أن يثق بك الرجل لإنقاذ العالَم، لكنه لا يثِق بك لإطعام نفسك أو قيادة السيارة.

وجهتُ ابتسامةً مطَمْئنةً إلى ويلسون، بينما نظر هو إلى التعليمات التي في يده، ثم نظر إليَّ مرة أخرى وقد ارتسم القلق على ملامحه.

قلت له:

- أرجوك.

تنهَّد ويلسون وأومأ برأسه، ثم ترجَّل من السيارة.

فتحتُ لجواني الباب الجانبي للسيارة الرياضية ذات الدفع الرباعي، وتركتهم يدخلون، وقلت لديون:

- ألن تأتي؟

قال ديون:

- لقد ذكرتَ أن الناس ربما يكونون في خطر.

أغلقتُ الباب خلف أودري وأجبتُه قائلًا:

- إنهم في خطر بالفعل. قد يتكلَّف ما سرَّبَه شقيقك ملايين الأرواح.

قال ديون بعناد:

- لقد قال إنه ليس خطيرًا.

اللعنة. كان الفتى يُخفي عني شيئًا. هل بحوزته المفتاح؟ لسوء الحظ، لم أكن أريدُه أن يتحدَّث بينما تستمع إلينا زن. حسنًا، على أي حال، كنتُ بحاجة إلى وجودِه معي. ربما أحتاج إلى زوجٍ إضافي من الأيدي غير الخيالية، بعد أن أرسلتُ ويلسون بعيدًا.

جلستُ في مقعد السائق، وصعد ديون إلى مقعد الراكب الأمامي. قال:

- لم يقترف بانوس أي خطأ.

استسلمتُ، وسألته:

- ما الذي فعله إذن؟

سيبدو الأمر مُثيرًا للريبة بالنسبة إلى زن، لو لم أحثُّه على الحديث.

قال ديون:

- شيء ما.

- يا له من وصفٍ مُستفيض!

- لقد رفض إخباري بالأمر، ولا أعتقد حتى أنه انتهى منه بالفعل. لكنه لم يكن خطيرًا.

- أنا . . .

قطعتُ حديثي، والتفتُّ خلفي عندما رن هاتف جي سي المحمول. كانت نغمةُ رنينِه هي أغنية «أمريكا الجميلة». هززتُ رأسي، وأدرتُ السيارة وانطلقتُ، تاركًا ويلسون على الرصيف وهو بادي القلق، بينما ردَّ جي سي على هاتفه.

قال:

- مرحى يا أحمد. أجل، إنه بصحبتي هنا. فيديو؟ يمكنني القيام بذلك. هل ستُعدِّين لنا ذلك الطعام الصيني مرةً أخرى؟

صار مُكبِّر الصوت مفتوحًا الآن، فقالت كالياني:

- لقد كان طعامًا هنديًّا. لماذا تفترض أنه صيني؟

جثا جي سي بجانب مسند الذراع الكائن بين مقعدَي السائق والراكب، ومدَّ لي يدَه بالهاتف قائلًا:

- كان يحوي الأرز، أليس كذلك؟

- الأرز، وجوز الهند، والكاري، و... لا عليك. سيد ستيف.

ألقيتُ نظرة خاطفة على الهاتف، وقلت:

- أجل.

لوحتْ كالياني بسعادةٍ وهي ترتدي قميصًا بسيطًا وسروالًا من الجينز. كانت النقطة التي تعلو جبهتها اليوم سوداء اللون، على شكل سهمٍ صغير بين حاجبَيها، بدلًا من النقطة الحمراء التقليدية. سيتعيَّن عليَّ سؤالها عن دلالة ذلك.

قالت كالياني:

- كنا نتحدَّث، ويريد أرنو إبلاغك بشيءٍ ما.

أدارت الهاتف نحو الفرنسي الضئيل، الحريص على تحرِّي الدقة. انحنى إلى الأمام، وهو يرمش بعينَيه أمام الشاشة. قسمتُ وقتي بينهما وبين الطريق.

قال أرنو:

- سيدي، لقد تحدثتُ مع كلايف ومي وون. كما ترى، فقد تلقَّى ثلاثتُنا بعض الدورات المتقدِّمة في الكيمياء والأحياء كجزءٍ من

دراستنا، لكن لا يمكننا التعمُّق في الأمر لأن ... حسنًا، أنت تعلم.

- أعرف.

إجناسيو. انتزع موتُه من عقلي معظم معرفتي بالكيمياء.

قال أرنو:

- بغضِّ النظر عن ذلك، فقد دأبنا على البحث في المعلومات المقدَّمة إلينا، وقد أصرَّت مي وون على رأيها، حتى اتفقنا معها. إن رأينا - الذي نعترف بكونه مجرد رأيٍ غير مُتخصص - هو أن شركة «I3» وذلك الرجل المدعو يول يكذبان عليك.

- بخصوص ماذا تحديدًا؟

قال أرنو:

- بخصوص التخلّي عن طريقة التوصيل الفيروسية إلى الجسد. سيدي، كان لدى بانوس كثيرٌ من الموارد، وكان عمله في مشروعه السري المزعوم يتقدم على نحوٍ جيد للغاية، بصورةٍ تجعل إيقافه أمرًا غير مُرجَّح. كانوا يدرسون ذلك الأسلوب، بصرف النظر عما قالوه لك. علاوة على ذلك، فنحن لسنا مقتنِعين بأن خطر السرطان هذا قابل للتحقُّق بالدرجة التي بدا عليها في بادئ الأمر. أوه، هذا هو الاتجاه الذي قد يقود إليه ذلك البحث، من الناحية النظرية، لكن تبعًا لما فهِمناه من الملاحظات، لم تكن شركة «I3» قد وصلت إلى تلك النقطة بعد.

قلت:

- إذن فهُم لم يرغبوا في إخباري بماهية الأزمة الحقيقية. تلك البكتيريا، أو الفيروس الضار الذي ضفَّرَه بانوس، أيًّا ما كان.

قال أرنو:

- الأمر متروك لك كي تفكر فيه. نحن علماء. كلُّ ما نقوله هو أن هناك أمورًا أخرى هنا، تتجاوز ما قيل لنا.

قلت:

- شكرًا. ساورتْني الشكوك حول ذلك الشأن، لكن هذا التأكيد مُفيد. هل هذا كل شيء؟

استعادت كالياني الهاتف، وأدارتْهُ نحو وجهها الباسم، وقالت:

- هناك شيء آخر. كنتُ أريد أن أقدِّم لك زوجي، راهول.

ظهر إلى جانبها رجل هندي، له وجه مُستدير وشارب، ثم لوَّح لي بيده.

شعرتُ بقشعريرة.

قالت كالياني:

- لقد أخبرتُك أنه مُصور جيد، لكنك لستَ مضطرًّا للاستعانة به بهذه الطريقة. إنه رجل بارع للغاية، ويمكنه القيام بأشياء عديدة! إنه خبير في الكمبيوتر.

قلت:

- يمكنني رؤيته. لماذا يمكنني رؤيته؟

قالت كالياني بحماس:

- لقد انضمَّ إلينا! أليس هذا رائعًا؟

قال راهول بلكنةٍ هندية:

- سررتُ للغاية بلقائك يا سيد ستيفن. سأكون مفيدًا جدًّا. يمكنني أن أعدك بذلك.

ازدردتُ ريقي وقلت:

- أنا ... كيف ... هل فعلت ...

قالت آيفي من مكانها في المقعد الخلفي:

- هذا سيئ. هل سبق وأن ظهر لك جانبٌ جديد من دون قصد منك؟

همستُ قائلًا:

- ليس منذ بدايات هذا الأمر ... ولم يسبق وأن حدث ذلك من دون البحث في موضوعٍ جديد أولًا.

قالت أودري:

- هل حصلتْ كالياني على زوج، في حين لا أستطيع أنا الحصول على جريبل أليف؟ هذا ظلم!

أوقفتُ السيارة على الفور، غير مكترثٍ بالسيارة التي أطلقتْ آلة التنبيه بجواري عندما انحرفتُ بالسيارة. بعد أن توقفنا، انتزعتُ الهاتف من يد جي سي، وحدقتُ إلى هذا الجانب الجديد. كانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر لي فيها أحد أفراد أسرة وهم من أوهامي. بدت سابقةً خطيرة للغاية، ودليلًا آخر على أنني أفقد السيطرة.

أنهيتُ المكالمة، وجعلتُ وجهيهما الباسمان يختفِيان، ثم ألقيتُ بالهاتف من فوق كتفي إلى جي سي. تقدمتُ بالسيارة وأنا أتصبَّب عرقًا، فضغَط قائد سيارةٍ أخرى آلة التنبيه. سلكتُ أول طريق فرعي رأيته، واتجهتُ نحو المدينة.

سألني ديون:

- هل أنت بخير؟

أجبتُه بحدَّة:

- أنا بخير.

كنت بحاجة إلى مكان أذهب إليه، مكان يُمكنني التفكير فيه. مكان يبدو طبيعيًّا، لكن يمكنني البقاء فيه والانتظار حتى تدخُل خطَّتي حيز التنفيذ، من دون إثارة شكوك زن. أوقفتُ السيارة عند أحد فروع مطعم دينيز، وكذبتُ قائلًا:

- أنا بحاجة إلى بعض الطعام فحسب.

هذا من شأنه أن ينجح، أليس كذلك؟ فحتى الرجل الذي يحاول إنقاذ العالم يحتاج إلى تناول الطعام.

ألقى ديون نحوي نظرةً سريعة قائلًا:

- هل أنت متأكد...

- أجل، أنا بحاجة إلى تناول عجَّة فحسب.

17

فتحتُ باب المطعم كي تدخُل جوانبي، ثم دخلتُ بعدَهم. كان المكان يعبق برائحة القهوة، ويشغله جماعة من الناس الذين ذهبوا لتناول الإفطار في وقتٍ متأخر، مما بدا مثاليًّا. كان احتمال إقدام زن على فعل شيءٍ ما أقل كثيرًا في وجود كل هذا العدد من الشهود. استغرق الأمر بعض الجهد لإقناع النادلة بمنحنا طاولةً تتسِع لستَّة أشخاص، واضطرِرْتُ إلى الكذب، قائلًا إننا ننتظر مزيدًا من الأشخاص. جلسْنا في النهاية وقد استقر ديون قبالتي، بينما جلس جانبان في كل ناحية.

رفعتُ قائمة الطعام، فالتصقَتْ أصابعي بالشراب اللزج على أحد جانبيها، لكنني لم أقرأها. بدلًا من ذلك، حاولتُ التنفُّس بهدوء. لم تكن ساندرا قد أعدَّتْني لهذا. ظهور أفراد أُسَر بعض الجوانب فجأة، من دون إجراء أي أبحاث؟

همس صوتٌ من الجهة المقابلة لي قائلًا:

- أنت مجنون. أعني ... مجنون حقًّا.

خفضتُ قائمة الطعام، التي أدركتُ للتوِّ فقط أنني أُمسكها بالمقلوب. لم يكن الفتى قد لمس قائمتَه.

قلت:

- لا، لست مجنونًا. أعترف أنني قد أكون مُختلًّا بعض الشيء، لكنني لست مجنونًا.

- الأمر سيان.

قلت:

- ربما من وجهة نظرك أنت، لكنني أري الموضوع بشكلٍ مختلف. لكن حتى لو اعترفنا بأن الكلمة تنطبق عليَّ، فهي تنطبق عليك أيضًا. كلما عشتُ أكثر، أدركتُ أكثر أن كلَّ شخصٍ مُختل بطريقتِه الخاصة. أنا أتحكم في اضطرابي العقلي، لكن ماذا عنك أنت؟

أصدرَتْ آيفي الجالسة بجواري صوتًا ينمُّ عن الاستهجان عندما استخدمتُ كلمة «أتحكم».

فكر ديون في هذا، وقد تراجع إلى الوراء في مقعده. قال:

- ما الذي يقولون إن شقيقي فعله؟

- إنه يدَّعي أنه أطلق شيئًا ما. فيروسًا، أو بكتيريا من نوعٍ ما.

قال ديون على الفور:

- لم يكن ليفعل ذلك. لقد أراد مساعدة الناس. كان الآخرون هم الخطيرين، إذ إنهم أرادوا صُنع الأسلحة.

- هل أخبرك بذلك؟

اعترف ديون قائلًا:

- حسنًا، لا. لكن، أعني، ما هو السبب الآخر الذي قد يدفعهم إلى محاولة إجباره على التخلِّي عن مشاريعه؟ ولماذا راقبوه من كثَبٍ إلى هذا الحد؟ يجب عليك أن تتحرَّى عنهم هم، وليس عن شقيقي. إن الأسرار التي يحتفظون بها هي التي تتَّصِف بالخطورة.

قال جي سي من مكانه على يميني، بينما هو يُطالِع قائمة الطعام:

- ثرثرة ليبرالية نموذجية لمراهقٍ شِبه مُثقف. سأطلب شريحة اللحم مع البيض. أريد اللحم غير ناضجٍ تمامًا، والبيض كذلك.

أومأتُ بشرود، بينما تابع الآخرون الحديث. على الأقل لن تجد النادلة سببًا للشكوى من كوننا شغلنا كل هذا العدد من المقاعد، بما أنني سأطلب خمس وجبات. تمنَّى جزء منِّي لو أنني أستطيع أن أطلب منهم تقديم الوجبات إلى أناسٍ آخرين، بعد انتهائي من تخيُّل جوانبي وهم يتناولون طعامهم.

حولتُ انتباهي إلى قائمة الطعام، فوجدتُ أنني لستُ جائعًا إلى هذا الحد. لكنني طلبتُ عجَّة على أي حال، وتحدثتُ مع النادلة بينما فتَّش الفتى في جيبه، وبدا من الواضح أنه مُصمم على ألا يدَعَني أدفع له الحساب. أخرج بضع عملاتٍ ورقية مطوية، وطلب وجبة من البوريتو.

ظللتُ أنتظر صفيرًا من هاتفي، يُبلغني أن ويلسون اتبع تعليماتي. لم يصدر منه أي صوت، وشعرتُ بقلقي يتزايد. مسحتُ العرق عن صدغي بمنديلي. حاولتْ جوانبي تهدئتي، فتحدَّث توبياس عن نشأة الفطيرة كصنفٍ من أصناف الطعام، وتفاعلتْ معه آيفي متظاهرة بالاهتمام الشديد.

أومأتُ برأسي نحو ديون، الذي كان يُحدق إلى قصاصة صغيرة من الورق عثر عليها وسط العملات المطوية، وقلت:

- ما هذا؟

تضرَّج وجهه بالحمرة على الفور، وحرك يدَه ليضعها في جيبه.

قبضتُ على يدِه بسرعة، متحركًا بردِّ فعلٍ لم أكن أعرف أنه لديَّ.

أومأ جي سي برأسه إلى جانبي، معربًا عن إعجابه.

فتح ديون يدَه قائلًا بحدَّة:

- لا شيء. حسنًا، خُذها. أيها الأحمق.

فجأة، شعرتُ بالحماقة. لن يكون مفتاح بيانات بانوس عبارة عن قصاصةٍ من الورق، بل يجب أن يكون على ذاكرة فلاش، أو وحدة تخزين إلكترونية من نوع آخر. سحبتُ يدي، وقرأتُ المكتوب على القصاصة:

1 عزرا 4:41

أوضح ديون قائلًا:

- تضعهم والدتي في جيبي حينما تطوي الملابس. على سبيل التذكرة لي، للتخلي عن أفكاري البعيدة عن الدين.

تجهمتُ وأظهرتُها للآخرين قائلًا:

- لا أعرف هذا النص المقدس.

قالت آيفي:

- الإصحاح الأول من سفر عزرا. من الكتاب المقدس الأرثوذوكسي. إنه كتاب أبوكريفا، لا تستخدِمه معظم الطوائف الأخرى. لا أعرف تلك الآية تحديدًا، عن ظهر قلب.

بحثتُ عنها على هاتفي. قرأتُ:

- عظيمة هي الحقيقة، وأقوى من الجميع.

هز ديون كتفَيه، وقال:

- أعتقد أنني يُمكنني الاتفاق مع ذلك، حتى لو كانت والدتي لا تتقبل ماهية الحقيقة بالفعل...

نقرتُ بإصبعي على الطاولة. شعرتُ أنني اقتربتُ من شيءٍ ما. جواب؟ أو ربما فقط الأسئلة الصحيحة التي يتعين طرحها؟ قلت:

- كان لدى شقيقك مفتاح للبيانات، من شأنه فك شفرة المعلومات المختزنة في جسده. هل تعتقد أنه كان سيمنحه لوالدتك؟

راقبتُ آيفي ديون بعناية، لترى ما إذا كان سيظهر أي ردٍّ فعلٍ عند ذكر المفتاح. لم يظهر أي ردٍّ فعلٍ يُمكنني رؤيته، وهزَّت آيفي رأسها. إذا كان متفاجئًا من معرفتنا بأمر المفتاح، فقد نجح في إخفاء ذلك جيدًا.

سألني ديون:

- مفتاح للبيانات؟ ما نوعه؟

- ذاكرة فلاش، أو أي شيء مُشابه.

قال ديون عندما وصل طعامنا:

- أشكُّ أنه كان سيُعطي أي شيءٍ من هذا القبيل لوالدتي. إنها تكره التكنولوجيا وكل ما يتعلق بها، لا سيما إذا كانت تعتقد أن مصدرها هو شركة «I3». لو سلَّمها شيئًا من هذا القبيل، كانت ستُدمِّره على الفور.

- لقد استقبلتني ببرودٍ شديد.

هز ديون رأسه قائلًا:

- حسنًا، ماذا توقعت؟ أنت تعمل لصالح الشركة التي أبعدَتِ ابنَها عن الرب. إن والدتي إنسانة طيبة، أهل للثقة، وهي متواضعة للغاية، ولا تزال تحيا في العالَم القديم. إنها لا تثِق في التكنولوجيا. العمل بالنسبة إليها هو شيء تفعله بيديك، وليس التحديق بخمولٍ في شاشات الكمبيوتر.

أشاح بنظره بعيدًا ثم واصل الحديث:

- أتعرف، أعتقد أن بانوس فعل ما فعله ليُثبت لها شيئًا ما.

سألته:

- تحويل الناس إلى أجهزة تخزين ذات سعة كبيرة؟

تضرج وجهُ ديون وقال:

- هذه مجرد خطة. العمل الذي كان مضطرًا إلى القيام به، كي يتمكن من إنجاز ما يريد عمله بالفعل.

- وماذا كان ذلك العمل؟

- أنا ...

قالت آيفي:

- أجل، إنه يعرف شيئًا ما. هذا الفتى لا يُجيد الكذب. فلتتَّخِذ موقف السيطرة يا ستيف. اضغط عليه.

قلت:

- عليك أن تُخبرني. يجب أن يعرف شخصٌ ما يا ديون. أنت لا تعرف ما إذا كان بإمكانك الوثوق بي أم لا، لكن عليك إخبار شخصٍ ما. ما الذي كان يُحاول شقيقك القيام به؟

نظر ديون إلى البوريتو الخاص به وقال:

- الأمراض. كان يرغب في علاجها.

- أي أمراض؟

- جميعها.

- إنه هدف نبيل.

- أجل، لقد اعترف لي بانوس بذلك. لم يكن العلاج الفعلي هو عمله، لكنه رأى أن أسلوب التوصيل هو الشقِّ المختص به.

تساءلتُ متجهمًا:

- أسلوب التوصيل؟ للمرض؟

- لا. للعلاج.

أومأ توبياس برأسه وهو يرتشف قهوته وقال:

- آه ...

أشار ديون بيدَيه إلى جانبَيه بحماس قائلًا:

- فكر في الأمر. إن الأمراض المعدية مدهشة للغاية. تخيَّل لو أننا تمكَّنَّا من تصميم فيروس سريع الانتشار يُمكنه بدوره تحصين الناس من الإصابة بالأمراض الأخرى؟ قد تُصاب بنزلة بردٍ عادية، وفجأة، لا يعود من الممكن بعدَها أن تُصاب أبدًا بالجُدري أو الإيدز أو شلل الأطفال. لماذا نُنفق المليارات على التطعيمات، في محاولة للوصول إلى الناس؟ يمكن أن تؤدي الطبيعة نفسها العمل نيابةً عنا، إذا تمكنَّا من اكتشاف الطريقة.

قلت:

- يبدو هذا ... شيئًا لا يُصدَّق.

أشار جي سي بسكّينِه إلى الفتى قائلًا:

- هذا مُرعب بشكلٍ لا يُصدَّق. يبدو ذلك كاستخدام السماركوات من أجل محاربة الفيكزيس.

تنهدتْ آيفي قائلة:

- ماذا؟

قال جي سي:

- هذه معلومات سرية. اللغنة، شريحة اللحم هذه طيبة.

عاد إلى التهام طعامه.

قال ديون:

- أجل، حسنًا، كنت سأعاونه. أتدري؟ كنت سأدرس، وأنشئ معه في النهاية شركة جديدة للتكنولوجيا الحيوية. أعتقد أن ذلك الحلم مات هو الآخر.

وجَّهَ طعنةً إلى طعامه، ثم واصل الحديث:

- لكن أتدري، كان يعود إلى المنزل كل يوم، فتسأله والدتي: «هل فعلت شيئًا طيبًا اليوم؟» وكان يبتسم. كان يعلم أنه يفعل شيئًا مُهمًّا، حتى إذا لم تكن هي تستطيع رؤيته.

قلت:

- أعتقد أن والدتك كانت فخورة به بدرجةٍ أكبر مما أظهرت له.

- أجل، ربما. إنها ليست سيئة مثلما تبدو في بعض الأحيان. عندما كنا أصغر سنًّا، عملتْ لساعات طويلة في وظائف وضيعة، كي تتمكن من إعالتنا بعد وفاة والدي. يجب عليَّ ألا أشكو، لكن فقط ... كما تعلم، فهي تظنُّ أنها تعرف كل شيء.

وجهتْ أودري ابتسامةً نحو ديون قائلة:

- على عكس المراهق العادي.

أومأتُ برأسي وأنا أعبث بطعامي، وأراقب ديون. سألته مباشرة:

- هل أعطاك المفتاح يا ديون؟

هز الفتى رأسه.

قالت آيفي:

- إنه ليس بحوزته. تبعًا لتقديري المهني، فهو لا يجيد الكذب بدرجةٍ تُمكنه من إخفاء ذلك الأمر عنا.

عاد ديون لالتهام البوريتو وقال:

- ما يجب عليك أن تفعله هو البحث عن جهاز مُعقَّد، أو شيء من هذا القبيل.

- جهاز؟

قال ديون:

- بالتأكيد. كان سيبني شيئًا لإخفائه. كان مغرمًا بصنع الأشياء، أتدري؟ دومًا ما كان يوصل لمبات الليد بالأشياء، ويصنع شارات الأسماء خاصته، وما شابه. أراهن أنه أخفاه على هذا النحو. تلتقط حبة بطاطس، فتسقط بنسًا، وتطير مائة أوزة في الجو، ثم يسقط المفتاح على رأسك. شيء من هذا القبيل.

نظرتُ إلى جوانبي، فبدا عليهم التشكك، لكن ربما كان هناك شيء من الحقيقة في هذا. ليس جهازًا كما وصف ديون، لكن أسلوب العمل نفسه. ماذا لو كان بانوس قد أعد نظام أمان للطوارئ، من شأنه كشف الحقيقة في حال وفاته، لكنه لم يعمل لسببٍ ما؟

أجبرتُ نفسي على تناول بعض العجة، فقط كي يُمكنني إخبار ويلسون أنني فعلتُ، عندما يسألني لا محالة. لسوء الحظ، لم يُصدِر هاتفي رنينًا حتى انتهَينا من تناول الطعام. حاولتُ الانتظار بقدر المستطاع، لكنني شعرتُ في النهاية أن الأمر سيبدو مريبًا بالنسبة إلى زن، إذا بقينا لفترةٍ أطول من هذا.

قدتُ الطريق إلى الخارج مرةً أخرى وتوجَّهنا نحو السيارة، حيث فتحتُ الباب الجانبي لجوانبي قبل أن أدور إلى مقعد السائق. ما إن جلستُ وبدأتُ أخطط لخطوتي التالية، حتى شعرتُ بالمعدن البارد لفوهة مسدس تضغط على مؤخرة عنقي.

18

صعد ديون إلى مقعد الراكب، غافلًا عما يحدث. نظر إليَّ، ثم تجمَّد في مكانه وشحب تمامًا. ألقيتُ نظرةً خاطفة على مرآة الرؤية الخلفية، ولمحتُ زن وهي جاثمة خلف مقعدي، وتضغط مسدسها في رأسي.

اللعنة. لم تكن على استعدادٍ للانتظار إذن، كما تمنيتُ. بقي هاتفي في جيبي وكأنه كتلة صماء. ما الذي أخَّر ويلسون إلى هذا الحد؟

قالت زن بهدوء:

- انضم إليَّ في الخلف، إذا سمحتَ يا سيد ليدز. أما أنتَ يا ماهيراس الصغير، فلتبقَ في مكانك. أعتقد أنني لستُ بحاجةٍ إلى تحذيركما من استعدادي للُّجوء إلى العنف.

تصبَّبَ منِّي العرق، ولاحظتُ جي سي في مرآة الرؤية الخلفية وقد احمرَّ وجهه. كان يجلس على المقعد الذي جثمَتْ زن أمامه، لكنه لم يرَها قبل الآن. فاجأتنا تحت تهديد السلاح مرتَين، ولم يتمكن جي سي من فعل شيء. كانت تفوقُني مهارةً بكثير في هذا المجال.

أخرج جي سي مُسدسه، كما لو أنه سيُفيد، وأومأ لي كي أُطيع زن. كان الجلوس في الخلف سيجعلني في وضعٍ أفضل للاشتباك معها.

انتقلتْ إلى أقصى طرف المقعد الخلفي بينما تحركتُ من مكاني، فجعلتْ آيفي وأودري تلتصِقان بالجوانب، ومُسدسها مُصوَّب نحوِي طوال الوقت.

قالت:

- سلاحك.

أخرجتُه، كما سبق وفعلتُ في الزقاق، ووضعتُه أمامي على الأرض. لماذا أحمل ذلك الشيء اللعين من الأساس؟

- وهاتفك.

ناولتها إيَّاه.

قالت لي:

- أحسنت بعثورك على جهاز التنصُّت. سنُكمل نقاشنا يا سيد ليدز، حينما نذهب للتمشية معًا. ماهيراس الصغير، أنت غير مُتورط في هذا الشأن. انتقِل إلى مقعد السائق، وعليك الرحيل بمجرد خروجنا من السيارة. لا يُهمني ما تفعله. اذهب إلى الشرطة، إذا شئت، لكن ابقَ بعيدًا. لا أُحب قتل الأشخاص الذين لم يتم الاستعانة بي لقتلِهم. إن تقديم كثيرٍ من الهدايا المجانية من شأنه الإضرار بالعمل.

تحرك ديون سريعًا، واندفع إلى مقعد السائق، حيثُ تركتُ المفاتيح.

قال جي سي بهدوء:

- هذا جيد. ستدَع الفتى يذهب، وتأخذنا إلى مكانٍ مفتوح.

قطَّب جبينَه وواصل قائلًا:

- لا أعرف سبب إقدامها على أيٍّ من هذين الفعلَين، لكنني أعتقد أن هذا يشير إلى أن رؤساءها طلبوا منها ألَّا تقتل أحدًا في الواقع.

أومأتُ، والعرق يسيلُ على مؤخرة عنقي. لوحتْ زن بمسدسها، ففتحتُ الباب الجانبي، وتركتُ جوانبي تخرج. جي سي أولًا، ثم آيفي، يليها توبياس. أسندتْ أودري يدَها على ذراعي لتَشجيعي، فأومأتُ وتحركتُ للنزول قبلها.

اندفعتْ زن نحو الأمام، وقبضتْ على كتفي، ثم دفعتني إلى الخلف. أمسكتِ البابَ وأغلقتْه بعُنف.

وجهتْ المسدس نحو ديون قائلة:

- ماهيراس، انطلق. الآن.

- لكن ...

- انطلق، وإلا سأقتلك!

انطلق الفتى بأقصى سرعة، واصطدم بحاجز ساحة الانتظار. استندتُ بذهولٍ إلى جانب السيارة، وأنا أطرف بعيني وأفكر فيما حدث. زن ...

صحت قائلًا:

- جوانبي!

استدرتُ وألصقت وجهي بالنافذة. وقف كلٌّ من آيفي وتوبياس في ساحة الانتظار، وقد بدت عليهما الحيرة. أمرتْ زن ديون بالخروج من ساحة انتظار السيارات إلى الطريق، ثم قالت له أن يواصل السير بالسرعة الطبيعية.

- لا تُحاول لفت انتباه الشرطة، رجاء.

استمعتُ لها بالكاد. كانت قد استدرجتْ جوانبي للخروج، ثم عزلتني بعيدًا عنهم. لم يتبقَّ سوى أودري فحسب، وكان ذلك بمحض الصُّدفة. لو انتظرَتْ للحظةٍ أخرى، لكانت ذهبت هي أيضًا. استدرتُ بذهولٍ

لأنظر إلى زن، التي استقرَّت في المقعد بجوار الباب المغلق الآن، ومُسدسها مُصوَّب نحوي.

قالت:

- أنا أقوم بما يلزم من بحث. وكملاحظةٍ جانبية، فإن كم الأشياء التي كُتبت عنك في الدوريات العلمية المختصَّة بعلم النفس كانت مفيدةً للغاية، يا سيد ليدز.

غاصت أودري في مكانها على الأرض بيننا، وأحاطت ركبتَيها بيدَيها وهي تئنُّ. كانت هي كل ما لديَّ الآن، و...

انتظر.

جي سي. لم أكن قد رأيت جي سي من النافذة. استدرتُ باحثًا عنه، وكان هناك! اندفع عبر الرصيف راكضًا بأقصى سرعة لدَيه، ومسدسه في يده، وقد ارتسم التصميم على ملامحه. تمكن بالكاد من مواكبتنا.

فكرتُ: «ليُباركك الرب». إذ إنه أبدى رد فعل، في حين تجمَّد الاثنان الآخران في مكانهما. تفادى بعض الناس على الرصيف، وقفز فوق مقعد بحركة تكاد تكون خارقة.

ابتهجتْ أودري وهي تنظر من النافذة، وهمستْ قائلة:

- رائع! كيف فعل ذلك؟

كانت السيارة تتحرك بسرعةٍ تقارب أربعين ميلًا في الساعة. فجأة، لم أعد أستطيع مواصلة التظاهر. انقطعت أنفاس جي سي، وتوقَّف على الرصيف وقد احمرَّ وجهُه. انهار مُنهكًا من الركض الذي لم يكن من المفترض أن يقوى عليه.

الوهم. كان عليَّ الحفاظ على الوهم. نظرتْ أودري إليَّ، ثم بدت وكأنها تنكمش على نفسها، وقد أدركتْ ما فعلته. مع ذلك، فلم يكن ذنبها. كنت سألحظ في النهاية مدى السرعة التي ننطلِق بها.

قالت لي زن:

- أنت رجل خطير للغاية.

استدرتُ لأُواجِهها قائلًا:

- لستُ أنا من يحمل مسدسًا.

كيف سأفعل هذا من دون وجود توبياس وآيفي، لمساعدتي على التفاعل معها؟ ومن دون وجود جي سي كي يُخرجني من المواقف الخطرة؟

قالت زن:

- نعم، لكنني لا أستطيع سوى قتل بعض الأشخاص فحسب. لكنك تهدم الشركات، وتُدمر حياة المئات. إن أرباب عملي ... مُستاؤون مما فعلته.

سألتها:

- وهل يعتقدون أن إلقاءك القبض عليَّ سوف يساعدهم؟ لن أبحث لك عن مفتاح بانوس تحت تهديد السلاح، يا زن.

قالت باضطرابٍ بعض الشيء:

- لم تعُد الجثة تُثير قلقهم. لقد أطحتَ بثرواتهم، وجعلت الحكومة تطاردهم. لم تعُد لدَيهم رغبة في التورُّط في هذه المطاردة بعد الآن. كل ما يُريدونه هو ... جمع الخيوط الشاردة والتخلُّص منها.

رائع. بدا أن خُطتي تنجح.

بدرجةٍ زائدة عن الحد.

حاولتُ التفكير في شيء آخر لأقوله، لكن زن تحوَّلت بعيدًا عني لتُعطي ديون سلسلةً من تعليمات القيادة. حاولتُ أن أحثَّها على الحديث مرة أخرى، لكنها رفضتْ. ولم أكن لأحاول الاشتباك معها جسديًّا، من دون وجود جي سي لتقديم المشورة.

ربما ... ربما تجد الجوانب الأخرى طريقها إلى حيث سنتوجَّه. ربما ينجحون في ذلك مع الوقت.

لكنني لم أكن متأكدًا كم سيستغرق ذلك من الوقت.

أمضت أودري الرحلة جالسة على الأرض بين مقعدينا، وذراعاها مُلتفَّان حول ساقَيها. أردتُ التحدُّث معها، لكنني لم أجرؤ على قول شيءٍ بينما زن تُراقبنا. كانت القاتلة تظن أنها عزلتْني من دون أي جوانب. إذا تركتها تعرف أن أحدهم لا يزال موجودًا، فسأخسر ميزة كبيرة.

لسوء الحظ، قادتنا رحلتنا إلى منطقةٍ في ضواحي المدينة. كانت هناك بعض المجمعات السكنية الجديدة، حيث زحف توسُّع المدينة ببطءٍ ليلتهم الريف، لكن كانت هناك أيضًا مناطق واسعة من الحقول والأشجار، في انتظار الشقق السكنية ومحطات الوقود. جعلتنا زن ندخل إحدى تلك المناطق ذات الأشجار الكثيفة، وسِرنا على طريقٍ ترابي مُتجِهين نحو منزل منعزل يبدو وكأنه لأسرةٍ من المزارعين توارثتْه الأجيال.

كان بعيدًا عن الجيران بما يكفي حتى لا يسمع أحد أي صراخ، كما ستُعزى الطلقات النارية إلى التخلُّص من الهوام. لم يكن هذا يُبشر بالخير. قادتنا زن، أنا وديون، إلى باب قبوٍ مُثبت في الأرض، وأمرتنا بنزول الدرج. تكدَّست الأجولة بجوار الحائط بالداخل، وانسكبت منها ثمار بطاطس قديمة للغاية، لدرجة أنها قد تكون شهدت الحربَ الأهلية. تدلَّى من منتصف السقف مصباح عارٍ مُتوهج.

أخذت زن هاتف ديون، وقالت لنا:

- سأذهب لتقديم تقريرٍ عن الوضع إلى رؤسائي. خذا راحتكما. أتوقع أنكما ستعيشان هنا لبضعة أسابيع، حتى تهدأ الأمور بالنسبة إلى أرباب عملي.

صعِدَتِ الدرج، ثم أغلقتْ باب القبو.

19

أطلق ديون زفيرًا عميقًا، وأسند ظهره إلى الجدار المبني من الطوب الأسمنتي، ثم انهار في وضع الجلوس. سألني:

- أسابيع؟ حبيسًا هنا معك؟

صمتُّ لبرهةٍ قبل أن أتحدث قائلًا:

- أجل، سيكون ذلك سيئًا، أليس كذلك؟

نظر إليَّ ديون، فلعنتُ نفسي لتردُّدي قبل أن أمنحه جوابًا. بدا الفتى مرهقًا. على الأرجح، لم يسبق وأن أُجبر على القيادة تحت تهديد السلاح. دومًا ما تكون المرة الأولى هي الأسوأ.

سألني ديون:

- أنت لا تعتقد أننا سنبقى هنا لأسابيع، أليس كذلك؟

قلت:

- أنا ... نعم.

- لكنها قالت ...

قلت:

- لقد تدرَّبوا على الحديث بهذه الطريقة.

أخرجتُ جهاز تنصت زن من تحت ياقتي، ثم هشَّمتُه على سبيل الاحتياط. تجولتُ في أرجاء الغرفة، بحثًا عن مخارج. واصلت قائلًا:

- أخبر أسراك دومًا أن لديهم وقتًا أطول من المتاح بالفعل، إذ يجعلهم ذلك يسترخون ويرسمون الخطط، بدلًا من محاولة الهرب على الفور. آخِر شيء ترغبه هو دفعهم إلى اليأس، لأنه لا يمكن التنبؤ بتصرفات الأشخاص اليائسين.

تأوَّه الفتى على نحوٍ خافت. لم يكن عليَّ أن أوضح له ذلك، على الأرجح. افتقدتُ وجود آيفي. حتى وهي لا تُرشدني بصورةٍ مباشرة، كان مجرد وجودها إلى جانبي يجعلني أتفاعل مع الناس بشكلٍ أفضل.

جثوتُ على رُكبتي كي أتفقد بالوعةً في الأرض، وقلت له:

- لا تقلق. لن نتعرَّض لخطرٍ حقيقي على الأرجح، ما لم تُقرر زن اصطحابنا بشكلٍ فردي إلى الغابة بهدف «الاستجواب». سيعني ذلك أنهم طلبوا منها إعدامنا.

تفحصتُ الشبكة الحديدية التي تُغطي البالوعة. كانت أصغر من أن تسمح بالزحف من خلالها، لسوء الحظ، كما بدا أنها تنتهي بحفرةٍ صغيرة مليئة بالحصى فحسب على أي حال. انتقلتُ إلى مكانٍ آخر وأنا أتوقع، رغمًا عني، أن أسمع تعليقًا من جوانبي لتحليل وضعنا، وإخباري بما يجب عليَّ أن أتفحصه، والتنظير بشأن كيفية الخروج.

بدلًا من ذلك، كان كل ما سمعتُه هو صوت التقيؤ.

استدرتُ نحو ديون، وفوجئتُ لرؤيته وهو يُفرغ مَعِدته على أرضية القبو. ها هو البوريتو الذي دفع ثمنه بعناد. انتظرتُ حتى انتهى، ثم تقدمتُ نحوه وأخذتُ منشفةً قديمة من على طاولة مكسوة بالغبار، وألقيتُها على القيء لكتْم الرائحة. جثوتُ على رُكبتي، ووضعتُ يدي على كتف الشاب.

بدا فظيعًا. كانت عيناه حمراوان، وبشرتُه شاحبة، وقد ندَّى العرق جبينَه.

كيف يتفاعل المرء؟ ما الذي يُقال؟

- أنا آسف.

بدت عبارة تافهة، لكنها كانت كل ما يُمكنني التفكير فيه.

همس الفتى قائلًا:

- سوف تقتُلنا.

قلت:

- قد تُحاول ذلك. لكن ربما لا تفعل. إن قتْلَنا خطوة كبيرة، لن يرغب أرباب عملها في الإقدام عليها في الغالب.

لكنني كنتُ قد دفعتُهم إلى اليأس البالغ بالطبع، وكان من الصعب التنبؤ بتصرفات الأشخاص اليائسين.

نهضتُ وتركت الفتى في بؤسِه، وتوجَّهتُ نحو أودري. همست لها:

- أحتاج منك أن تُخرجينا من هنا.

قالت أودري:

- أنا؟

- ليس لديَّ سواكِ.

قالت:

- لم أذهب سوى في مهمةٍ واحدة قبل هذه! لا أعرف شيئًا عن المسدسات، أو القتال، أو الهرب.

- أنت خبيرة في التشفير.

- خبيرة؟ أنتَ لم تقرأ سوى كتابًا واحدًا فقط عن التشفير. إلى جانب ذلك، كيف سيُفيد التشفير؟ دعني أُفسِّر الخدوش التي على الجدران. إنها تقول إننا محكوم علينا بالهلاك!

شعرتُ بالإحباط، فتركتُها ترتجف من القلق، وأجبرتُ نفسي على مواصلة تفقُّد الغرفة. لم تكن هناك نوافذ. كانت ثمة بُقع من الأرض المكشوفة، حيث سقطت أحجار الطوب الأسمنتي من الجدار. تمكنتُ من الحفر في بقعةٍ منها، لكنني سمعتُ صرير الأرض من فوقي بينما كنت أحفر. لم تكن فكرة جيدة.

جربتُ المخرج بعد ذلك. صعِدْتُ الدرج، ودفعتُ الباب بكتفي لأرى مدى قوَّته. كان محكمًا، لسوء الحظ، ولم يكن هناك قفلٌ من الداخل يمكن محاولة فتحه، بل مجرد قفل من الخارج لا يُمكنني الوصول إليه. ربما يُمكنني العثور على شيءٍ يصلح للاستخدام لدكِّ الباب كي نتمكن من الخروج، لكن ذلك من شأنه أن يُنبِّه زن بكل تأكيد. كان بإمكاني سماعها من خلال الأرضية وهي تتحدَّث بالأعلى. بدَتْ وكأنها محادثة متوترة عبر الهاتف المحمول، لكنني لم أتمكن من تمييز أي تفاصيل.

تفقدتُ الغرفة مرة أخرى. هل فاتني شيءٌ ما؟ كنت متأكدًا أنني فعلت، لكن ما هو؟ من دون جوانبي، لم أستطع التوصُّل إلى ما أعرفه من معلومات. عذَّبَني كوني وحيدًا من دونهم. عندما مررتُ بديون، وجدت التعبيرات المرتسِمة على وجهه غريبة، ولا يُمكنني فهم مشاعره أكثر مما يُمكنني فهم كُتَلٍ من الوحل. هل كان ذلك التعبير يعني السعادة؟ أم الحزن؟

تصبَّب منّي العرق، وخاطبتُ نفسي قائلًا: «توقف. أنت لستَ سيئًا إلى هذا الحد». كنتُ بمفردي من دون آيفي، لكن ذلك لم يجعلني فجأةً غير قادرٍ على التواصُل مع أبناء جنسي، أليس كذلك؟

كان ديون يشعر بالاستياء. بدا ذلك واضحًا. حدَّق إلى بضع قصاصاتٍ صغيرة من الورق في يدِه. مزيد من النصوص من الكتاب المقدس من والدته، عثر عليها في جَيبه.

ألقى نحوي نظرةً سريعة وقال:

- كانت تترك أرقام الآيات فحسب، لذا فأنا لا أعرف حتى ما تقوله تلك النصوص. كما لو أنها ستُفيد على أيِّ حال! هراء!

أغلق قبضتَه، ثم ألقى الأوراق المطوية. تناثرت بعيدًا عن بعضها، ثم سقطت.

وقفتُ وشعرتُ أنني مُعتل، بقدْر ما بدا ديون معتلًّا تقريبًا. كنت بحاجةٍ إلى قول شيءٍ ما، والتواصُل معه بطريقةٍ ما. لم أدرِ لِمَ شعرتُ بهذا، لكنَّني رغبتُ في ذلك بشدةٍ فجأة.

سألته:

- هل تخشى الموت بشدة يا ديون؟

لم تكن هذه هي الكلمات المناسبة على الأرجح، لكن الكلام كانَ أفضلَ من التزام الصمت.

قال ديون:

- ولِمَ لا أخافُهُ؟ الموت هو النهاية. لا شيء بعدَه. سيختفي كلُّ شيء.

رفع نظرَه إليَّ، كما لو كان في تحدٍّ. عندما لم أرُد على الفور، واصل قائلًا:

- ألن تُخبِرَني أنَّ كل شيءٍ سيكون على ما يُرام؟ دومًا ما تتحدَّث والدتي عن كيف سيلقى الطيبون جزاءهم، لكن بانوس كان أطيبَ رجلٍ في الوجود. قضى حياتَهُ وهو يُحاول علاج الأمراض! وانظر ما حدث له. مات في حادثٍ غبي.

قلت:

- لماذا تفترض أن الموت هو النهاية؟

- لأنه كذلك بالفعل. انظر، لا أريد الاستماع إلى أي وعظ ...

قلت:

- لن أعِظك، فأنا أيضًا مُلحد.

نظر إليَّ الفتى قائلًا:

- هل أنت كذلك حقًّا؟

قلت:

- بالتأكيد، بما يقرُب من خمسة عشر بالمائة، لكن عليَّ الاعتراف بأن هناك عدة أجزاء مني ستدفع بكونها لاأدرية بدلًا من ذلك.

- خمسة عشر بالمائة؟ هذه نسبة لا يُعتَدُّ بها.

- أوه؟ إذن هل ستُقرِّر أنت كيف يعمل إيماني، من عدمِه؟ وما يُعتَدُّ به، وما لا يُعتَد به؟

- لا، لكن حتى إذا كانت الأمور تسير على ذلك النحو، وإذا كان من الممكن أن يكون شخصًا ما مُلحدًا بنسبةِ خمسة عشر بالمائة، فما زالت غالبيتُك مؤمنة.

قلت:

- تمامًا مثلما لا تزال هناك نسبةٌ بسيطة منك على الأرجح، تؤمن بالرب.

نظر إليَّ، ثم تخضَّب وجهه. جلستُ بجانبه، في الجهة المقابلة للمكان الذي تعرَّض فيه لذلك الحادث البسيط.

قال لي ديون:

- يُمكنني فهم السبب الذي يدفع الناس إلى الرغبة في الإيمان. أنا لست مجرد طفلٍ نزقٍ كما تعتقد. لقد تساءلتُ، وطرحتُ الأسئلة. إن مفهوم الربوبية ليس له معنى بالنسبة لي. لكن في بعض الأحيان، أفكر في الأبدية، وأفكر في نفسي وفي أنني ... لن يعود لي وجود فحسب، وأتفهم لِمَ يختار الناس الإيمان.

ستُريدني آيفي أن أحاول هداية الفتى، لكنها لم تكن موجودة. بدلًا من ذلك، سألتُه:

- هل تعتقد أن الزمن لا نهائي يا ديون؟

هز كتفَيه.

حثثتُه قائلًا:

- هيا، أعطِني جوابًا. هل تُريد الشعور بالعزاء؟ قد يكون لديَّ حلٌّ لك، أو بالأحرى قد يكون لدى أرنو، وهو أحد جوانبي. لكن أخبِرني أولًا، هل الزمن لا نهائي؟

أجابني ديون قائلًا:

- لا أعتقد أننا نعلَم على وجه اليقين، لكن أجل، أظنُّ أنه كذلك. حتى بعد انتهاء كوننا، سيحدُث شيء آخر. وإذا لم يحدث هنا، فسوف يحدُث في أبعاد أخرى، وأماكن أخرى، وانفجارات كبيرة أخرى. المادة، والفضاء، سيستمرَّان من دون نهاية.

- إذن، فأنت خالد.

قال:

- ربما تكون ذرَّاتي كذلك، لكن هذا ليس أنا. لا تُقدِّم لي أي هراء ميتافيزيقي ...

قلت:

- لا شيء ميتافيزيقيًّا، بل مجرد نظرية. إذا كان الزمن لا نهائي، لذا فإن أي شيءٍ يُمكنه الحدوث سيحدُث، وحدث بالفعل. هذا يعني أنك كنت موجودًا من قبل، يا ديون. وجميعنا كذلك. حتى لو لم يكن هناك رب، وحتى إذا افترضْنا أنه لا تُوجَد إجابات، ولا يُوجَد إله، فنحن خالدون.

تجهَّم، فتابعتُ الحديث قائلًا:

- فكِّر في الأمر. لقد ألقى الكون بنردِهِ، وانتهى المطاف بأن ظهرتَ أنت، مجموعة شِبه عشوائية من الذرات والوصلات العصبية والمواد الكيميائية. خلَقَ هؤلاء معًا شخصيتك، وذكرياتك، ووجودك نفسه. لكن إذا استمرَّ الزمن إلى الأبد، فسوف تتكرَّر هذه المجموعة العشوائية مرةً أخرى في النهاية. قد يستغرق الأمر مئات التريليونات من السنين، لكنها ستأتي مرةً أخرى. أنت، بذكرياتك، وشخصيتك. في سياق الأبدية، يا فتى، سنستمرُّ في العيش، مرارًا وتكرارًا.

- أنا ... لا أعرف ما إذا كان ذلك يبعث على الارتياح، بصراحة. حتى لو كان حقيقيًّا.

سألته:

- حقًّا؟ لأنني أعتقِد أن التفكير في ذلك مُدهش للغاية. كل ما هو ممكن، يُعتبَر حقيقة في الواقع، بالنظر إلى الأبدية. لذا فلن تعود فحسب، بل إنَّ كل الاحتمالات الممكنة ستتكرَّر. ستكون ثريًّا

أحيانًا، وفقيرًا في أحيانٍ أخرى. في الواقع، يُمكن بسبب خللٍ ما في المخ أن تكون لدَيك في وقتٍ ما بالمستقبل نفس الذكريات التي لديك الآن، حتى لو لم تعِش هذه الذكريات على الإطلاق في تلك الفترة من المستقبل. لذا ستصير موجودًا مرةً أخرى، بصورةٍ تامَّة، وليس بسبب بعض الهراء الروحاني، لكن بسبب الرياضيات البسيطة. حتى أصغر احتمالٍ مضروب في اللانهاية، يُصبح هو نفسه لا نهائيًّا.

وقفتُ مرةً أخرى، ثم جلستُ القرفصاء، ونظرت في عينَيه ووضعتُ يدي على كتفِه. واصلتُ الحديث:

- كل شكلٍ من أشكال الاحتمالات يا ديون. في وقتٍ ما، ستُولَد أنت - أنت نفسك، بنفس أفكارك - في أسرةٍ ثرية. سيُقتَل والداك، وستُقرر محاربة الظلم. لقد حدث ذلك من قبل، وسيحدث مجددًا. هل طلبتَ الشعور بالعزاء يا ديون؟ حسنًا، عندما يسيطر عليك الخوف من الموت، وحينما تأتي الأفكار المظلمة، حدِّق إلى الظلمة مباشرة، وقل لها: «لن أستمع إليك، فأنا باتمان لامُتناهٍ».

رمَشَ الفتى بعينَيه وقال:

- هذا ... هو أغرب شيءٍ قاله لي شخص على الإطلاق.

غمزتُ له، وتركتُه سارحًا في التفكير، وتوجهتُ إلى أودري مرةً أخرى. لم أكن متأكدًا من مقدار ما أُصدِّقُهُ بالفعل من كل ذلك، لكن كان ذلك هو ما تفوهتُ به. في الحقيقة، لا أعرف ما إذا كان الكَون يُمكنه التعامُل مع تحول الجميع إلى باتمان لامتناهٍ.

ربما كان الهدف من وجود فكرة الرب هو منع مثل ذلك الهراء.

أمسكتُ بذراع أودري، وقلت بهدوء:

- أودري، ركّزي عليَّ.

نظرتْ إليَّ وهي تطرف بعينَيها. كانت تبكي. قلت لها:

- سنفكر الآن، وسنشحذ كل ما نعرفه، ونتوصَّل إلى طريقةٍ للخروج من هذا الموقف.

- لا أستطيع ...

- بل تستطيعين. أنت جزء منّي. أنت جزءٌ من كل هذا، ويمكنك الوصول إلى عقلي الباطن. بمقدورك حل هذه المشكلة.

التقت عيناها بعيني، وبدا كما لو أن بعض ثِقتي انتقلت إليها. أومأت برأسها بحدة، وارتسمت عليها نظرة تركيز شديد. وجهتُ نحوَها ابتسامةَ تشجيع.

انفتح باب المبنى بالأعلى، ثم انغلق.

فكرتُ: هيا يا أودري.

تردَّد وقْع أقدام زن حول المبنى، ثم شرعتْ تفتح قفل الباب المؤدي إلى القبو.

هيا ...

رفعت أودري رأسها فجأة ونظرت نحوي قائلة:

- أنا أعرف مكان الجثة.

قلت:

- الجثة؟ أودري، من المفترض أن نكون ...

قالت أودري:

- إنها ليست بحوزة زن، ولا بحوزة «I3». كما أن الفتى لا يعرف شيئًا. أنا أعرف مكانها.

انفتح باب القبو، وغمرَه الضوء، كاشفًا هيئة زن بالأعلى. قالت:

- سيد ليدز، أحتاجُك أن تأتي معي، كي أتمكن من استجوابك بمفردك. لن يستغرق الأمر سوى فترةٍ قصيرة فحسب.

سرَتِ البرودة في أطرافي.

20

تراجعتْ أودري مبتعدةً عني، وقالت:

- أوه، تبًّا! يجب أن تفعل شيئًا! لا تدَعْها تقتلك.

استدرتُ لمواجهة زن، امرأة ترتدي ملابس أنيقة، كما لو كانت المدير المالي لدار نشر في مانهاتن، وليست قاتلةً أجيرة. نزلتِ الدرَجَ متظاهرةً باللامبالاة. أخبرَني سلوكها هذا، علاوة على كلِّ توتر المكالمة الهاتفية التي جرت بالأعلى، بكل ما أحتاج معرفته.

كانت ستقضي عليَّ.

سألتها:

- هل أنت على استعدادٍ حقًّا للقيام بهذا؟ سيُخلِّف ذلك أسئلة، ومشاكل.

أخرجتْ مسدسها وقالت:

- لا أعرف ما الذي تتحدَّث عنه.

أجبتُها على نحوٍ محموم، وأنا أبحث عن وسيلةٍ للمُماطلة:

- هل علينا أن نلعب هذه اللعبة يا زن؟ يعرف كِلانا ما تنوين فعله. هل ستُنفِّذين حقًّا أوامر تفتقِر إلى الكفاءة بهذه الدرجة؟ سيتركك هذا عرضةً للخطر، وسيتساءل الناس أين اختفيتُ.

أخرجتْ زن كاتمًا للصوت وثبّتته على مسدسها، وقد توقفتْ عن التظاهر تمامًا الآن. قالت:

- كما سيشعر عددٌ مُساوٍ من الأشخاص بالسعادة للتخلُّص منك، على ما أعتقد.

ندَّ أنينٌ من أودري، لكن يُحسَب لديون أنه نهض، غير راغبٍ في مواجهة الموت وهو جالس.

قالت زن:

- لقد ضغطتَ عليهم بشدةٍ زائدة عن الحد، أيها المجنون. وباتوا يعتقدون أنك تحاول تدميرَهم على وجه الخصوص، لذا استجابوا كما يفعل أي مُتنمِّر يدفعه شخصٌ ما. ضربوا بأقصى ما يستطيعون من قوة، آمِلين أن يؤدي ذلك إلى حل الموقف.

رفعتْ مُسدسها وواصلتِ الحديث:

- أما بالنسبة لي، فيُمكنني الاعتناء بنفسي. لكن شكرًا لاهتمامك.

حدقتُ إلى فوهة المسدس وأنا أتصبَّب عرقًا، شاعرًا بالذُّعر، من دون أمل، ومن دون خطة، ومن دون جوانبي . . .

لكنها لم تكن تعلم ذلك.

همستُ قائلًا:

- إنهم حولك.

بدا التردُّد على زن.

قلت:

- بعض الناس يتصوَّرون أن ما أراه هو أشباح. إذا كنتِ قد قرأتِ عني، فسوف تعرفين. أنا أفعل أشياء ليس من المفترَض أن أكون

قادرًا على القيام بها. كما أعرف أشياء لا ينبغي أن أعلَمَها. هذا لأنني أتلقَّى العون.

قالت:

- أنت مجرد عبقري.

لكن جانب عينها ارتعش. أجل، كانت قد قرأتْ عنِّي، وقرأت بتعمُّق؛ إذ عرفت أن عليها الانطلاق بالسيارة من دون جوانبي.

ولا يمكن أن يغوص أحدٌ في عالمي، من دون أن يتأثر بعض الشيء.

قلت:

- لقد لحقوا بنا. إنهم يقفون خلفك على الدرَج. هل تشعُرين بهم هناك يا زن؟ وهم يُراقبونك؟ وأيديهم على عنقك؟ ما الذي ستفعلينه بهم إذا تخلصتِ منِّي؟ هل ستعيشين وأشباحي تُطاردك لما تبقَّى من عمرك؟

جزَّت على أسنانها، وبدا أنها تجاهد بشدةٍ كي لا تنظر وراء كتفِها.

هل كان هذا الأمر يفلح بالفعل؟

أخذت زن نفَسًا عميقًا، وهمست قائلة:

- لن تكون هذه هي الأشباح الوحيدة التي تُطاردني يا ليدز. إذا كان هناك جحيم، فقد حجزتُ مكاني فيه منذ زمنٍ طويل.

أجبتُها:

- هذا ما تدَّعِينَه أنت. لكن ما يجب أن تتساءلي عنه حقًّا هو ما يلي: أنا عبقري، وأعلم أشياء لا ينبغي أن أعرفها. فلِمَ تعمدتُ إذن أن نقِفَ في هذا المكان الآن؟ لماذا أُريدكِ في هذا المكان بالتحديد؟

- أنا . . .

صوبتْ مسدسها نحوي. هبَّ نسيم بارد من حولها، وحرَّك حواف أجولة البطاطس القديمة.

أصدر هاتفي المحمول صفيرًا في جيبها.

قفزتْ زن حتى كادت تلمس السقف. أطلقتِ السباب وهي تتصبَّبُ عرقًا، ووضعتْ يدَها على جَيبِها. دفعتِ المسدس نحوي، وأطلقتِ النار بانفعال. تفجَّرَت العارضة الخشبية بجواري وتناثرت منها الشظايا. اندفع ديون بحثًا عن مكانٍ للاحتماء.

أمسكتْ زن مسدسها بيدٍ مُرتجفة، وركَّزتْ عليَّ وقد اتَّسعَت عيناها عن آخرهما، حتى رأيتُ البياض المحيط بحدقتَيها.

قلت:

- تفقَّدي الهاتف يا زن.

لم تُحرك ساكنًا.

لا! لا يمكن أن ينتهي الأمر على هذا النحو. لقد اقتربتُ للغاية! عليها أن ...

رن هاتف آخر، افترضتُ أنه هاتفها هي هذه المرة، وهو يُصدِر أزيزًا في جيبها الآخر. ترددتْ زن، والتقت نظرتي بنظرتِها. في تلك اللحظة، بدا أحدُنا مُختلًّا، مجنونًا، على حافة الهاوية.

ولم يكن ذلك الشخصُ هو الرجل المجنون.

توقف الهاتف عن الرنين، وتبعَ ذلك رسالةٌ نصية. انتظرنا ونحن نواجِهُ بعضنا بعضًا في القبو البارد، حتى مدَّت زن يدَها أخيرًا، وأخرجتْ هاتفها. حدقتْ إليه لبضع لحظات، ثم أطلقتْ ضحكةً كالعواء. تراجعتْ إلى الوراء وأجرَتْ مكالمة، ثم تبادلتْ حديثًا هامسًا.

أطلقتُ ما بدا وكأنه أعمقُ زفير في حياتي، ثم توجهتُ نحو ديون، وساعدتُه على النهوض. نظر إلى زن، التي ضحكتْ ثانية، بصوتٍ أعلى هذه المرة.

سأل ديون:

- ما الذي يحدث؟

قلت:

- نحن في أمان. أليس كذلك يا زن؟

ضحكتْ بشدة، ثم أنهت المكالمة ونظرتْ إليّ مباشرة وهي تقول:

- كما تقول يا سيدي.

سأل ديون:

- سيدي؟

قلت:

- كانت إكسيلتيك تُعاني من عدم الاستقرار، فأطلقتُ شائعاتٍ بأن الشركة متورطة في تحقيق فيدرالي، وطلبتُ من يول اتخاذ جميع الإجراءات الاقتصادية اللازمة.

سألني ديون:

- كي تدفعهم إلى اليأس؟

توجهتُ نحو زن، ومررتُ بأودري التي بدت عليها الحيرة، وقلت:

- كي أدفع الشركة إلى الانهيار، حتى أتمكن من شرائها. كان من المفترض أن يتولّى يول ذلك الجزء، لكنه أنجز نصف المهمة فقط. تعين عليّ أن أطلب من ويلسون إنجاز باقي المهمة، والاتصال بمستثمري إكسيلتيك، وشراء حِصَصِهم.

مددتُ يدي إلى زن، فناولتني هاتفي.

قال ديون:

- لذا . . .

تفقدتُ الرسالة النصية التي أرسلها ويلسون، وقلت:

- لذا فأنا أمتلك الآن حصة ستّين بالمائة من الشركة، وقد انتخبتُ نفسي رئيسًا لها، مما يجعلني رئيس زن.

قالت:

- سيدي.

أحسنَتِ العمل على استعادةِ رباطةِ جأشها، لكنني لاحظتُ الانفعال في الطريقة التي كانت يدُها لا تزال ترتجِفُ بها، وفي طريقة وقوفها وقد ارتسم الجمود على ملامحها بدرجةٍ زائدة.

قال ديون:

- انتظر، هل تعني أنك انتصرتَ للتوِّ على قاتلةٍ أجيرة، عن طريق استحواذٍ قسري؟

- أنا أستغل الفرص المتاحة أمامي. لكنه لم يكن استحواذًا قسريًّا في الغالب، إذ أعتقد أن جميع المتورطين كانوا يتوقون بشدةٍ إلى القفز من السفينة الغارقة.

قالت زن بهدوء:

- أنت تُدرك بالطبع أنني لم أكن سأطلق عليك النار بالفعل. كان من المفترَض أن أثير فيك القلق فحسب، كي تشاركنا المعلومات.

- بالطبع.

ستكون هذه هي الرواية الرسمية المعلنة، لحمايتها هي وإكسيلتيك من تهمة الشروع في القتل. ستتضمَّن اتفاقية الاستحواذ بنودًا تمنعني من اتخاذ الإجراءات ضدهم.

وضعتُ هاتفي في جيبي، واستعدتُ مسدسي من زن، وأومأتُ إلى أودري قائلًا:

- لنذهب لاستعادة تلك الجثة.

21

وجدنا السيدة ماهيراس لا تزال في الحديقة. جثَتْ على ركبتَيها وهي تزرع وترعى وتعتني بالنباتات.

تقدمتُ منها، ومن الطريقة التي نظرتْ بها نحوي، خمنتُ أنها أدركتْ أن سرَّها قد انفضح. مع ذلك، جثوتُ على رُكبتي بجانبها، وناولتها كرتونة تحوي شتلات أزهارٍ صغيرة عندما أشارت نحوَها.

دوَّتْ صافرات سيارات الشرطة من بعيد.

سألتني من دون أن ترفع رأسها:

- هل كان ذلك ضروريًّا؟

قلت:

- أنا آسف، لكن أجل، كان ضروريًّا.

كنت قد أرسلتُ رسالةً نصية إلى يول، وأنا أعلم أن العملاء الفيدراليون سيتلقَّونها أولًا. ورائي، تقدَّم نحوَنا أودري، وتوبياس، وآيفي، وجي سي الذي بدا عليه الإحباط. تخيَّلَتْهم عيناي وقد ألقَوا بظِلالِهم في الضوء الباهت، وحجبوا عنِّي رؤية ديون الواقف خلفَهم مباشرة. كنا قد عثرْنا على باقي جوانبي وهم يسيرون عبر الطريق، على بُعد أميالٍ من المكان الذي احتجزتنا فيه زن، وهم يحاولون الوصول إليَّ.

كنتُ منهكًا. لكم كنتُ منهكًا. أحيانًا في خِضَمّ كل ذلك، ينسى المرء التعب، لكن عندما يزول التوتر، ينهار المرء من تعبه.

عقدت آيفي ذراعَيها قائلة:

- كان يجب أن أرى ذلك. كان ينبغي عليَّ هذا! معظم فروع الكنيسة الأرثوذكسية يُعارضون بشدةٍ حرق الجثث. إنهم يرَون ذلك بوصفِهِ تدنيسًا للجسد، الذي من المفترَض أن يبقى في انتظار البعث.

ركّزْنا انتباهنا بشدة على المعلومات المخزَّنة في خلايا بانوس، لدرجة أننا لم نُفكر أنه قد تكون هناك أسبابٌ أخرى مختلفة تمامًا تجعل شخصًا ما يريد أخْذ الجثة. أسباب قوية للغاية، بدرجةٍ تكفي لإقناع امرأةٍ تحترم القانون عادة، وكاهنها، بارتكاب جريمة سرقة.

بطريقةٍ ما، شعرتُ بالإعجاب بدرجةٍ كبيرة. قلت:

- لقد عملتِ كعاملة نظافةٍ حينما كنتِ أصغر سنًّا. كان ينبغي أن أسأل ديون المزيدَ عن حياتك، وعن عملك. لقد ذكر أنك عملتِ في عملٍ وضيع، وقضيتِ حياتكِ في إعالتِهِ هو وشقيقه. لم أسأله عما فعلتِه.

واصلتْ زرع الزهور فوق قبر ابنِها، الذي أخفتْهُ في الحديقة.

تابعتُ قائلًا:

- لقد قلدتِ عاملةَ النظافة التي تعمل في المشرحة. دفعتِ لها رشوة، على ما أفترِض، وذهبتِ للعمل مكانها، بعد أن وضع الكاهن الشريطَ اللاصق على الباب. لقد كان هو بالفعل، وليس مُحتالًا. بذلتُما قصارى جهدكما معًا لحماية جثة ابنك من الحرق.

سألتني السيدة ماهيراس، فيما اقتربَتْ صافرات سيارات الشرطة:

- ما الذي فضح أمري؟

قلت:

- لقد اتبعتِ نمطَ عملِ عاملةِ التنظيف الحقيقيةِ بدقة، بدرجةٍ زائدة عن الحد. لقد نظفتِ الحمَّام، ثم وقَّعْتِ اسمك على الورقة المعلقة على الباب لإثبات إنجازك للعمل.

قالت السيدة ماهيراس وهي تنظُر إليَّ للمرة الأولى:

- لقد تدربتُ على توقيعِ لِيلْيا بدقة!

رفعتُ إحدى قصاصات الورق التي تحوي النصوص المقدسة التي كانت تضعها في جيوب ابنها، وقلت:

- أجل. لكنك سجلتِ وقتَ التنظيف أيضًا على تلك الورقة، ولم تتدرَّبي على كتابة أرقام ليليا.

بدا على أودري الاعتداد الشديد بالنفس، وأوضحت قائلة:

- إنكِ تكتُبين الصفر بشكلٍ مميز للغاية.

في النهاية، لم يكن التشفير هو ما ساعد على حلِّ هذه القضية، بل تطلَّب الأمر فقط تحليل خط اليد.

تنهَّدَت السيدة ماهيراس، ووضعت مِجرفتها في التراب، ثم أحنَتْ رأسها وهي تُصلِّي في صمت. أحنيتُ رأسي أنا أيضًا، كما فعلت آيفي وجي سي، لكن توبياس امتنع عن ذلك.

همستِ السيدة ماهيراس ما إن انتهت من صلاتها:

- إذن فسوف تأخذونه مرةً أخرى.

نظرتْ أمامها نحو الأرض التي صارت مزروعةً الآن بالزهور والطماطم. نهضتُ واقفًا، ونفضتُ الغبار عن رُكبتي، وقلت:

- أجل. لكن على الأقل، من غير المحتمَل أن تتعرَّضي إلى كثيرٍ من المتاعب بسبب ما فعلتِه. لا تعترف الحكومة بالجُثث بوصفها نوعًا من الممتلكات، لذا فإن ما قمتِ به لا يُعَدُّ سرقةً في الواقع.

غمغمتْ قائلة:

- هذا لا يُمثل عزاءً كبيرًا بالنسبة لي؛ إذ إنهم سيأخذونه وسيحرقونه.

قلتُ بتمهُّل:

- هذا صحيح. لكن من يدري بالطبع ماهية الأسرار التي أخفاها ابنُك في جسده؟ كان يُضفِّر المعلومات السريَّة في حِمضِه النووي، وربما كان يُخفي أشياء مختلفة كثيرة هناك. قد يؤدي الاقتراح الملائم في الوقت المناسب، إلى أن تشرع الحكومة في عملية بحثٍ طويلة للغاية.

رفعتْ عينيْها نحوي، وأوضحتُ قائلًا:

- يختلف العلماء حول عدد الخلايا الموجودة في جسم الإنسان. إنه يصِل إلى حدود التريليونات، من دون شك. وربما أكثر من هذا بكثير. قد يستغرق الأمر عقودًا من الزمن لتفتيشِها جميعًا، وهو أمر أشكُّ أن الحكومة سترغب في القيام به. مع ذلك، إذا اعتقدوا أنه قد يكون هناك شيءٌ مُهمٌّ، فمِنَ المحتمَل أن يحفظوا الجثة في الثلاجة، تحسُّبًا في حالِ ما إذا احتاجوا إلى إجراء بحثٍ شاملٍ في وقتٍ ما.

لن يكون دفنًا لائقًا كما ترغبين، لكنه لن يكون حرقًا أيضًا. أعتقِد أن الكنيسة لها أحكام فيما يتعلَّق بالأشخاص الذين يرغبون في التبرُّع بالأعضاء لمساعدة الآخرين، أليس كذلك؟ ربما كان من الأفضل النظر إلى الأمر في هذا الضوء.

بدت السيدة ماهيراس مُستغرقة في التفكير. تركتُها حينها، وتقدَّم منها ديون ليواسِيَها. بدا كما لو أن اقتراحي أحدث فارقًا، الأمر الذي حيَّرني. كنت أُفضِّل أن أرى جثةَ أحد أفراد عائلتي وهي تُحرَق، بدلًا من إبقائها مجمَّدةً إلى الأبد. لكن عندما اقتربتُ من المنزل، والتفتُّ إلى الوراء، وجدتُ السيدة ماهيراس قد بدت أفضل حالًا بكثير.

قلت لآيفي:

- كنتِ مُحقَّة.

- وهل سبق وأن كنتُ مخطئةً من قبل؟

قال جي سي:

- لا أعرف عن ذلك، لكنك تقومِين أحيانًا ببعض الخيارات السيئة بالفعل، فيما يتعلق بالعلاقات.

نظرْنا نحوَه جميعًا، فتضرَّج وجهُه على الفور.

احتجَّ قائلًا:

- كنتُ أتحدَّث عن إنهائها للعلاقة معي، وليس عن اختيارها لي في المقام الأول!

ابتسمتُ وأنا أقود الطريق إلى المطبخ. كنتُ سعيدًا بعودتهم فحسب. مشيتُ عبر الردهة الصغيرة التي تصطفُّ على جُدرانها الصور، مُتجهًا نحو الباب الأمامي. أردتُ مقابلة العملاء الفيدراليين عند وصولهم.

ثم توقفتُ قائلًا:

- هناك بقعة خالية على الحائط. تبدو غريبة للغاية. إن كل سطح، وكل مكتب، وكل جدار في هذا المكان مُغطًّى بالتُّحف والصور، فيما عدا هنا.

أشرتُ إلى الصور الأربعة لأفراد الأسرة، ثم صورتَي القديسين. كانت هناك بقعتان خاليتان، باستثناء مِسمارَين صغيرَين. كانت آيفي قد ذكرت أن السيدة ماهيراس على الأرجح أنزلت صورة القديس شفيع بانوس، استعدادًا لجنازته.

قلت:

- آيفي، هل تعتقدين أنه بوسعنا افتراض أن بانوس كان يعلم أنه سيتمُّ إنزال هذه الصورة ووضعها مع جثتِهِ في حال وفاته؟

تبادلنا النظر، ثم مددتُ يدي وجذبتُ المسمار الكائن أسفل صورة بانوس، فأبدى مقاومةً على نحوٍ غريب. جذبتُه بقوة أكبر، فخرج المسمار، لكن كان هناك مقبض وخيط مربوطان في طرفِهِ الخلفي.

أصدر شيءٌ ما تكةً خلف الجدار.

نظرتُ إلى جوانبي وقد غمرَني القلق فجأة، حتى استدار مفتاح الإضاءة القريب بالجدار، مع اللوحة الموجودة خلفَه، والتفَّ إلى الأمام مثل حامل أكواب مَخفيّ في لوحة عدادات السيارة. كان الجزء المخبَّأ داخل الجدار مُزينًا بلمبات ليد تومِض على كِلا جانبَيه.

قال جي سي:

- اللعنة. كان الفتى على حق.

تأملتْ آيفي الأداة غريبة الشكل من كثب، وتمتمت قائلة:

- انتبِهْ لألفاظك.

قالت أودري:

- ماذا حدث لألفاظ السباب التي من المستقبل؟ كنتُ أميل إليها نوعًا ما.

قال جي سي:

- لقد أدركتُ شيئًا ما. لا يمكن أن أكون حارسًا زمنيًّا بين الأبعاد، لأنني إذا كنتُ كذلك بالفعل، فهذا يعني أنكم جميعًا كذلك أيضًا. وهذا أسخف من أن أستطيع تقبُّله.

مددتُ يدي نحو الحامل الذي خرج من الحائط، وتناولتُ منه ذاكرة فلاش. كان عليها مُلصَق تعلوه بضع كلمات. قرأتها قائلًا:

- سفر الملوك الأول 12-11:19.

قالت آيفي بصوتٍ هادئ:

- فقال: «اخرج وقِف على الجبل أمام الرب». وإذا بالربِّ عابرٌ وريحٌ عظيمة وشديدة قد شقَّتِ الجبالَ وكسرتِ الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب في الريح. وبعد الريح زلزلة، ولم يكن الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نار، ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوتٌ مُنخفض خفيف.

نظرتُ إلى جوانبي، بينما دقَّ أحدُهم الباب بقبضتِهِ. ثم وضعتُ ذاكرة الفلاش في جيبي، ودفعتُ الحامل داخل الجدار مرة أخرى، قبل أن أذهب للقاء العملاء الفيدراليين.

الخاتمة

بعد أربعة أيام، وقفتُ بمفردي في الغرفة البيضاء. كان توبياس قد سدَّ الفجوة في السقف، كما وعد. بدا المكان خاويًا على نحو مُنعش.

هل هذا ما سأكون عليه، من دون جوانبي؟ خاويًا؟ لقد شعرتُ أنني كذلك بكل تأكيد، عندما احتجزَتْني زن. بالكاد تمكنتُ من القيام بأي شيءٍ لإنقاذ نفسي. لم تكن لديَّ أي خطط، ولم أتمكن من الهرب. بل ماطلتُ بعض الشيء فحسب. كانت آيفي تتساءل أحيانًا ما إذا كنتُ أُحقق تقدمًا جيدًا بمفردي، بالدرجة التي تكفي كي لا أحتاج إليها وإلى الآخرين في نهاية المطاف.

بالنظر إلى ما حدث معي حينما فقدتُهم، فإن ذلك اليوم - إذا حدث وأن أتى بالفعل - لا يزال بعيدًا للغاية على ما أعتقد.

انفتح الباب، ودخلَتْ أودري وهي ترتدي ملابس سباحة زرقاء من قطعة واحدة. تقدَّمَت نحوي وسلَّمتني ورقة.

- عليَّ الذهاب كي ألحق بحفلٍ عند حمَّام السباحة، لكنني انتهيتُ من حل هذا. لم يكن الأمر صعبًا، ما إن حصلنا على المفتاح.

عثرنا على شيئين على ذاكرة الفلاش. كان أولهما هو المفتاح المتوقَّع لفك شفرة البيانات المخزَّنة في جسد بانوس. كانت الحكومة قد استولت على الجثة، وقد تمكنتُ من إقناعِهم بحفظها في الثلاجة حتى المستقبل

المنظور. ففي النهاية، ربما تكون بها معلومات في غاية الأهمية، وقد يظهر المفتاح يومًا ما.

كان يول قد عرض عليَّ مبلغًا ضخمًا لتتبُّع المفتاح. رفضتُ، رغم أنني أجبرتُه على أن يشتري منِّي إكسيلتيك مقابل مبلغٍ ضخم آخَر، لذا خرجتُ من هذا الموقف على ما يُرام.

فشل مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في العثور على أي دليلٍ على أن بانوس أطلق أيَّ نوعٍ من مُسببات الأمراض، وقرَّروا في النهاية أن الرسالة الموجودة في كمبيوتر بانوس كانت تهديدًا فارغًا، يهدف إلى بثِّ الذُّعر في «I3». في وقتٍ سابق من ذلك الصباح، أرسل لي ديون رسالة شُكر منه ومن والدتِه، لمنع الحكومة من حرق الجثة. لم أُخبرهم بعدُ أنني سرقتُ ذاكرة الفلاش هذه.

كانت تحوي المفتاح، إلى جانب ملفٍّ آخر. كان مُستندًا نصيًّا صغيرًا، مشفرًا هو الآخر. حدَّقْنا إليه لبعض الوقت، قبل أن نُدرك أن المفتاح كان مدونًا على ذاكرة الفلاش نفسها من الخارج. الفصل التاسع عشر من سفر الملوك الأول. يمكن أن تكون أي سلسلةٍ من الأحرُف أو الأرقام، أو مزيج من الاثنين، عبارة المرور لبرنامج تشفير بمفتاحٍ خاص، على الرغم من أن استخدام نصٍّ معروف، مثل آيات الكتاب المقدس، لم يكن خيارًا آمنًا على وجه الخصوص.

خرجت أودري، لكنها تركت البابَ مواربًا. رأيت توبياس بالخارج، متكئًا على الجدار، عاقدًا ذراعَيه، وهو يرتدي بدلتَه الفضفاضة المميزة، من دون ربطة عنق.

رفعتُ الورقة، وقرأت الرسالة البسيطة التي تركها بانوس.

«أعتقد أنني مت.

لا ينبغي أن أُفاجأ من ذلك، لكنني لم أعتقد أنهم سيَمضون في تنفيذ هذا بالفعل. إنهم أصدقائي، أتعلم؟»

كان مُخطئًا في ذلك؛ إذ إن سقوطه نتج عن حادثٍ بالفعل، بقدْر ما تمكنتُ من الاستنتاج، أنا أو أيُّ شخصٍ آخر.

«هل تعلم أن كل شخصٍ هو عبارة عن غابةٍ متحركة من البكتيريا؟ يمثل كلٌّ منَّا وحدة أحيائية صغيرة متفرِّدة. لقد أجريتُ تعديلًا، يُطلَق عليه اسم المكوَّرات العنقودية البشروية. إنها سلالة من البكتيريا التي نحمِلها جميعًا، وهي غير ضارَّة في الغالب.

التعديلات التي أجريتها ليست كبيرة، بل مجرد إضافة بضع ميجابايتس من البيانات المضفَّرة مع الحمض النووي. كانت شركة «I3» تُراقبني، لكنني تعلمتُ القيام بعملي حتى وأنا تحت الإشراف. لكنهم كانوا يُراقبون ما أنشره على الإنترنت، لذلك قررتُ استخدام أدواتهم ضدَّهم. وضعتُ المعلومات في بكتيريا بشرتي، وصافحتُهم جميعًا. أُراهن أنه يمكنك العثور على سلالات من البكتيريا التي عدلتُها في جميع أنحاء العالم الآن.

لن تتسبَّب في أي ضرر، لكن إذا عثرتَ على هذا، فلدَيك المفتاح لفك شفرة ما أخفيتُه. القرار يعود إليك يا ديون. سأتركه بين يدَيك. إذا نشرتَ المفتاح الموجود على ذاكرة الفلاش هذه، سيعرف الجميع ما عكفتُ على دراستِه. ستصير لدَيهم الإجابات بخصوص ما تفعلُهُ شركة «I3»، وستتساوى الفرص أمام الجميع».

درستُ الورقة لفترةٍ طويلة، ثم طويتُها بهدوءٍ ووضعتُها في جيبي الخلفي، وتوجهتُ نحو الباب.

سألني توبياس حينما مررتُ به:

– هل ستفعل ذلك؟ هل ستنشُره؟

أخرجتُ ذاكرة الفلاش ورفعتها.

- ألم يتحدَّث ديون عن إنشاء شركة جديدة مع شقيقِه؟ وعلاج الأمراض؟ وفعل الخير كل يوم؟

قال توبياس:

- شيء من هذا القبيل.

ألقيتُ ذاكرة الفلاش عاليًا في الهواء، ثم التقطتُها.

- سنضع هذا جانبًا، ثم نُرسِلُه إليه بالبريد في يوم تخرُّجه. ربما لم يمُت حلمُه هذا كما يعتقد. على الأقل، علينا احترام رغبات شقيقه.

ترددتُ، ثم واصلتُ قائلًا:

- لكننا سنرغب في معرفة ما إذا كان بوسعنا الحصول على البيانات أولًا، للتحقُّق من مدى خطورتها.

كما توقعتْ جوانبي، قالت مصادر معلوماتي لدى العملاء الفيدراليين أن ذلك الهلع من السرطان من جانب يول كان زائفًا، وما هو إلا محاولة لجعل مُهمَّتي تبدو ملحَّة. لكن لم تكن لدَينا أدنى فكرة عما كان يعمل عليه بانوس بالفعل. بطريقةٍ ما، تمكَّن من إخفاء ذلك حتى عن العاملين في «I3».

قال توبياس:

- في الواقع، فإن هذا المعلومات تعَدُّ ملكًا ليول.

وضعتُ ذاكرة الفلاش في جيبي مرةً أخرى، وقلت:

- في الواقع، فإنها ملكي أنا أيضًا، بما أنني أمتلك جزءًا من الشركة. سنعتبر هذا الجزءَ الخاص بي فحسب.

تجاوزتُه متوجهًا نحو الدرَج. وضعتُ يدي على الدرابزين قائلًا:

- المضحك في الأمر هو أننا أمضَينا كل هذا الوقت في البحث عن الجثة، لكن المعلومات لم تكن موجودة بها هي فحسب، بل أيضًا في كل شخصٍ التقَيْناه.

قال توبياس:

- لم تكن هناك وسيلة يُمكننا من خلالها معرفة ذلك.

قلت:

- بالطبع كانت هناك وسيلة. لقد حذَّرَنا بانوس. في ذلك اليوم الذي تفقَّدْنا فيه شركة «I3»، كان تحذيره واضحًا هناك، في إحدى الشعارات التي طبعها وعلَّقَها على جداره.

نظر إليَّ توبياس متسائلًا.

حركتُ أصابعي قائلًا:

- المعلومات، والبكتيريا التي تحمِل بيانات بانوس، للجميع.

ابتسمتُ، وتركتُ توبياس يضحك، بينما ذهبتُ لأبحث عن شيءٍ آكلُه.

في عين الرائي

1

وضع جي سي يدَيه على خاصرته وهو يتأمل المبنى، وقال:

- إذن ... هل يشعر أي شخص آخر بالقلق من أن عيادة هذا الطبيب في حي فقير؟

مدَّت لي آيفي يدَها لتُساعدني على النزول من مؤخرة الليموزين، وقالت:

- إنه ليس حيًّا فقيرًا.

قال جي سي:

- بالتأكيد، كما أن هؤلاء ليسوا تجار مخدرات عند الناصية هناك.

- جي سي، إن هؤلاء الأطفال في حوالي السادسة من العمر.

ضيَّق عينَيه قائلًا:

- لقد بدءوا مبكرًا إذن، أليس كذلك؟ يا لهم من روَّاد أعمال صغار أشرار!

أدارت آيفي عينَيها في محجريهما، لكن توبياس- وهو رجل أمريكي من أصل إفريقي، بات يسير بصعوبةٍ بعض الشيء لتقدُّمه في العمر- أطلق ضحكةً قوية عميقة فحسب. ترجَّل من الليموزين بمساعدتي، ثم ضرب جي سي على ظهره. كانا قد استمرَّا في المزاح طوال الطريق إلى هنا.

ابتسم جي سي ابتسامةً عريضة، مما أوضح أنه يُدركُ إلى حدٍّ ما على الأقل مدى تهريجه.

تأملتُ المبنى. على الرغم من أنه كان يبدو كأيٍّ مبنًى إداري تقليدي في الضواحي، إلا أنه كان يقع على الجهة المقابلة في الطريق من متجر رهونات، وإلى جواره ميكانيكي سيارات. لم يكن حيًّا فقيرًا، لكنه لم يكن حيًّا راقيًا أيضًا. لذا ربما كان جي سي على حق.

قرعتُ على نافذة الراكب الأمامي بالليموزين، فانفتحت النافذة كاشفة عن امرأة شابة لها شعر أشقر قصير. كانت حفيدة شقيق ويلسون تُرافقه مرةً أخرى كي تتعلَّم منه تفاصيل عمله. حسنًا، تمنيتُ لو أنه خلَّفها وراءه اليوم، إذ إنني أُصبح ... غريبَ الأطوار بدرجة أكبر عند زيارة المراسلين الصحفيين.

تجاوزتُها بنظري، ووجهتُ عينيَّ نحو الرجل الطويل المهيب الجالس في مقعد السائق. قلت:

- لِمَ لا تنتظر هنا، يا ويلسون، بدلًا من الذهاب إلى محطة خدمة السيارات؟ في حال ما إذا كنا قد وصلنا إلى مكانٍ خاطئ، أو ما شابَهَ.

قال ويلسون:

- حسنًا، يا سيد ليدز.

أومأتْ حفيدة شقيقهِ بحماس. بقدرِ ما بدا ويلسون مرتاحًا في زيِّه الرسمي ككبيرٍ للخدم، بدت هي مرتبكةً وهي ترتدي معطفَ وقبعة السائق، كما لو أنها تُمارس لعبة تبديل الأزياء. هل كانت تصيخ السمع بينما أنا أتحدَّث إلى هلاوسي في المقعد الخلفي؟ كنت معتادًا على ويلسون، لكن بدا من الخطأ أن أكشف نفسي أمام شخصٍ غريب. أعني، لقد ألِفْتُ أن

يرى الناس ... غرابة أطواري حينما أكون في الأماكن العامة، لكن هذا بدا أمرًا مُختلفًا، وكأنه اقتحام للخصوصية.

استدرتُ برفقة جواني، ودخلتُ المبنى الإداري الذي كان له طابع نظيف مألوف، لا يُشبه المستشفى تمامًا، لكنه نظيف بما يكفي ليمنحَه تلك الرائحة المعقمة التي تعبق بها المستشفيات. كان أول بابٍ من جهة اليمين هو رقم ستة عشر، حيث كان من المفترض أن نقابل المحاورة.

ألقى جي سي نظرةً سريعة إلى الداخل من خلال النافذة الجانبية، وقال:

- لا تُوجَد منطقة استقبال، بل مجرد غرفة واحدة كبيرة. يبدو وكأنه من ذلك النوع من الأماكن التي يقبض عليك فيها شخصٌ ما بمجرد دخولك. تفْقِد وعيك، ثم فجأة ... يُصبح لديك ثلاث كُلى.

سألتْه آيفي:

- ثلاث؟

أجابها جي سي:

- بالتأكيد. إنهم بحاجة إلى مُهرِّبين غافلين لمساعدتهم في تجارتهم غير المشروعة في الأعضاء البشرية.

- وإلى أي مدًى بالتحديد ستكون غافلًا، حينما تستفيق ولدَيك جرح في بطنك؟ ألن تُهرَع إلى الطبيب على الفور؟

ضاقت عيناه وهو يقول:

- حسنًا، من الواضح أن الطبيب متورط في الأمر، يا آيفي.

نظرتُ إلى توبياس، الذي كان لا يزال مبتسمًا. أومأ برأسه نحو لوحةٍ على جدار الردهة، وقال:

- هذه اللوحة لألبرت بيرشتات، بعنوان «بين جبال سييرا نيفادا».
اللوحة الأصلية مُعلَّقة في متحف سميثسونيان، كواحدةٍ من أشهر أعمال مدرسة نهر هدسون.

شكلت نبرتُه الهادئة نقيضًا مريحًا لجنون الشك الراسخ لدى جي سي، على الرغم من مرحه البادي. واصل توبياس الحديث:

- لطالما أحببتُ الطريقة التي تتباعد بها الغيوم، لتنير البرية المظلمة. إنه تصوير للخلق، من خلال عدسة الغرب الأمريكي القديم. تنجذِب أعيُننا لا محالة نحو ذلك الضوء المركزي، كما لو أننا يتمُّ قبولنا في السماء.

قالت آيفي:

- أو ربما تكون الغيوم في طريقها إلى الانغلاق، والطبيعة تُظلم بينما ينسحب الرب، تاركًا البشرية وسط الظلام.

اندهشتُ، ونظرتُ بحدَّةٍ نحو آيفي، التي كانت مُتدينة في العادة وتُدافع عن كل ما هو مسيحي وله قداسة. هزَّت كتفَيها، وأشاحت بنظرها.

طرقتُ الباب، فانفتح كاشفًا عن امرأةٍ آسيوية طويلة ناضجة، لها وجه مُربع برزت به خطوط ظاهرة من أثر الابتسام، وقالت:

- آه، سيد ليدز. رائع.

أشارت لنا بالدخول، فولَجَ جي سي أولًا، بالطبع.

انحنى أسفل ذراعِها، متجنبًا ببراعةٍ لمس إنسان حقيقي، ثم نظر حولَه، ويدُه على سلاحه. أخيرًا، أومأ مشيرًا لبقيتنا بالدخول.

كانت المحاورة قد أعدَّت لنا مجموعةً من المقاعد، ووقفتُ عند الباب لفترةٍ طالت بوضوح، حتى نتمكن جميعًا من الدخول. بدا أنها استعدَّت

بالقراءة والبحث مسبقًا. انتظرتُ لفترةٍ أطول من اللازم- إذ إنها لم تكن تستطيع رؤية جوانبي- إلا أنَّ جهدها المبذول ساعد في الحفاظ على الوهم، فشعرتُ بالامتنان لذلك.

استقر توبياس وآيفي في مقعدَيهما، بينما واصل جي سي تفتيش الغرفة. كانت النوافذ الضخمة الواقعة على يَميننا تطلُّ على الرصيف، حيث وقف ويلسون بجوار سيارتي الليموزين. هيمن على أقصى يسار الغرفة حوض أسماك ضخمٌ به مياه مالحة. أما باقي الديكور، فبدا أشبَهَ بمكتب كاتبٍ به مكتبات من الخشب الصلب، وسجاد أخضر داكن.

تقدمتُ من النافذة، وأومأتُ إلى ويلسون، الذي لوَّح لي.

سألتني المحاورة:

- هل هم ثلاثة اليوم، إذن؟

استدرتُ نحوها متجهمًا.

أشارت إلى المقعدَين حيث جلس توبياس وآيفي، ثم إلى المكان الذي كان يقف به جي سي، على الرغم من أنه كان قد تحرك ليبحث عن ممراتٍ سرية بين المكتبات، وقالت:

- لقد تتبعتُ عينَيك.

قلت:

- ثلاثة فقط.

- آيفي، وتوبياس، وجي سي؟

- لقد قمتِ بما عليكِ من بحث.

جلست المرأة في مقعدها، وقالت:

- أُحب أن أكون مستعدة. أنا جيني، بالمناسبة، في حال ما إذا لم تذكُر ليزا ذلك.

كانت المرأة هي جيني زانج، المراسلة الصحفية، والكاتبة الأكثر مبيعًا. تخصصتْ في السِّيَر الذاتية الشعبية المثيرة التي تتقاطع فيها حدود المعلومات، والتسلية، والتلصُّص. فازت بعدة جوائز، لكنها في الحقيقة كانت مجرد صحفية أخرى من الدرجة الثانية، شقَّت طريقها من بين خنادق مواقع الإنترنت المثيرة ذات العناوين المضلِّلة، حتى اكتسبتْ قدرًا من الاحترام.

تمنيتُ لو لم أكن قد وعدتُ ليزا مطلقًا بأن أُسدي لها صنيعًا وأجري حوارًا مع إحدى صديقاتها، لكنني عَلِقتُ في الأمر. أملتُ ألا تستبقيني جيني لفترةٍ طويلة، وألا يكون كتابها في النهاية مؤلمًا بدرجةٍ كبيرة.

أومأتْ نحو المقاعد، لكنني بقيتُ بجوار النافذة.

أخرجتْ دفتر ملاحظاتها قائلة:

- كما تُحب.

ثم أشارت نحو جوانبي وواصلت قائلة:

- جي سي، وتوبياس، وآيفي. الهُوَ، والأنا، والأنا العُليا.

قالت آيفي:

- أوه، عظيم. إنها واحدة من هؤلاء. أخبرها أننا درسنا ذلك الأمر، وهو لا ينطبق علينا.

قلت لجيني:

- لا يُعجبنا ذلك التوصيف النفسي.

سألتني جيني:

- هل آيفي هي التي تتذمَّر؟ إنها مُستودع لفهمك للطبيعة البشرية. لقد أضفيت عليها مهاراتك في التعامُل مع الناس، وفهمك

للعلاقات. يُقال إنها متشككة للغاية. أتساءل ما الذي يكشفه ذلك عن طبيعتك؟

تململتُ في جلستي بقلق.

قال جي سي:

- مرحى، هذا ليس استنتاجًا سيئًا.

واصلتْ جيني قائلة:

- لكنك خلقتَ أيضًا تجسيدًا للهدوء والاسترخاء.

أشارت بقلمِها نحو أحد المقاعد. كانت قد عكستهما، لكن بدا من الواضح أنها تعني توبياس هذه المرة.

- تقول إنه مؤرّخ، كم مرةً ثبت أنَّ معرفته بالتاريخ ذات صلةٍ بالموضوع؟

قلت:

- في كثيرٍ من المرّات.

قالت جيني:

- ليس هذا هو ما سمعته. تدَّعي أن لدَيك «أماكن» محدودة في أي فريق تُشكله من جوانبك. من الصعب تخيُّل كثيرٍ منهم في نفس الوقت، لذا لا تصطحب معك سوى عددٍ محدود في المرة الواحدة. ومع ذلك، دومًا ما تصطحِب هؤلاء الثلاثة. جي سي- شعورك بالشك والرغبة في الحفاظ على الذات- هو خيارٌ منطقي، وكذلك آيفي التي يمكنها مساعدتك في التعامُل مع الأعراف الاجتماعية بالعالم الخارجي. لكن لماذا توبياس؟

قالت آيفي:

- إنها تعرف أكثر مما يجب. هناك خطْبٌ ما بشأن هذه المقابلة.

قال توبياس:

- هل علينا حقًّا الشعور بالذُّعر؟ لقد قرأتْ الدراسات السابقة التي كُتِبت عن ستيفن. بالتأكيد علينا أن نتوقَّع ذلك. ألن نكون أكثر تشكُّكًا لو لم تكن قد أتت ولدَيها بعض النظريات المتعلقة بطبيعتنا؟

وقفتُ عند النافذة، لكن جي سي أومأ برأسه، وجلس أخيرًا. بدا راضيًا. ابتعدتُ عن النافذة، لكنني لم أجلس. بدلًا من ذلك، توجهتُ إلى حوض السمك. كان باذخًا، وبه شُعَب مرجانية متعددة الألوان، مع إضاءةٍ جميلة. كل هذا الجهد لخلقِ شيءٍ كان بمثابة سجن في نهاية المطاف.

انشغلت جيني بالكتابة في دفتر ملاحظاتها. ما الذي وجدَتْه مثيرًا إلى هذا الحد؟ لم أقل شيئًا بالكاد.

راقبتُ الأسماك تلتقط أشياء من الشُّعَب المرجانية، وكأنها تأكل سجنها. أخيرًا، سألتُ جيني:

- أليست لديكِ أسئلة أخرى لي؟ جميع الآخرين يرغبون في معرفة كيف أُميِّز بين الواقع والهلاوس، أو يريدون معرفة ماهية الشعور باستيعاب المعرفة، ثم تجسيدها في صورة أحد جوانبي.

سألتني جيني:

- ماذا حدث لإجناسيو؟

استدرتُ لأواجهها. رفع توبياس يدَه إلى شفتَيه، وأطلق شهقة خافتة.

راقبتْني جيني وقد رفعَتْ قلمَها الرصاص، وقالت:

- لقد ذكرت إجناسيو في مقابلات سابقة، بوصفه أحد جوانبك المفضلة. هل هو مُتخصص في الكيمياء؟ ومع ذلك، فلم تُشركه

على الإطلاق في قضيتك الأخيرة المتعلقة بالبكتيريا التي تتغذَّى على زيت المحركات. يبدو ذلك غريبًا.

لم يعد إجناسيو أحد جوانبي، تمامًا كما هو الحال مع جاستين.

تنحنح توبياس. قال:

- هل لاحظتَ أن لدَيها على الرفِّ كتابًا لألجيرنون بلاكوود؟ طبعة دار أركام الأصلية، وهي المفضلة لديَّ. ملمس الورق، والرائحة ... إنها رائحة الأساطير ذاتها.

قالت جيني:

- لقد تجمَّدْتَ. هل يمكنك أن تفقد بعض جوانبك، يا سيد ليدز؟

- إن طبعات دار أركام الأصلية ... نادرة. على الرغم من أن ذلك يتوقَّف على من ترغب في قراءة أعماله. كانت لديَّ ذات مرة نُسخة منهم لكتاب برادبوري «الكرنفال المظلم»، على الرغم من أن الغلاف ...

سألتني جيني:

- ماذا حدث؟ هل رحلوا ببساطة فحسب؟

- الغلاف ... لم ... يتحمل آثار الزمن على نحوٍ جيد.

همستُ قائلًا:

- آيفي.

وقفتْ قائلة:

- صحيح، صحيح. حسنًا، إنها تتصرف كما لو أن هذا السؤال بريء، لكنني لا أُصدِّق ذلك. فهي تعلم أن هذا من شأنه أن يمسَّ وترًا حسَّاسًا. انظر كيف تقبض على القلَم بإحكام، وتتطلَّع إلى كل كلمة من كلماتك.

مسح توبياس جبينَه بمنديلِه قائلًا:

- أنا آسف. لستُ مفيدًا الآن، أليس كذلك؟

نهض جي سي، ووضع يدَه على كتِف آيفي قائلًا:

- إنها تستفزنا. ماذا نفعل؟

حسمت آيفي رأيها وقالت:

- إنها تريد أن نفقد توازننا. ستيف، أنت بحاجةٍ إلى إعادة تأكيد السيطرة على هذا الحوار.

سأل توبياس:

- لكن ما مدى معرفتها؟ هل خمَّنَت بالفعل ما حدث لإجناسيو؟ أنت لا تتحدث عن هذه الأشياء كثيراً.

مال برأسه وواصل قائلًا:

- يقول ستان ... يقول ستان إنه لا بد وأنها تعمل لصالحهم.

حدَّقتْ إليه آيفي بغضبٍ قائلة:

- أنت لا تساعد هكذا، يا توبياس!

قلت لهم:

- اصمتوا. اصمتوا، جميعكم.

صمتوا، فنظرتُ مباشرةً في عينَي جيني، التي جلستْ الآن بهدوء وهي تُدير قلمَها بين إصبعَين، متظاهرة باللامبالاة.

لا يمكن أن أستمر في الانهيار في كل مرة يُذكر فيها إجناسيو أو جاستين. يجب أن أُحكم السيطرة على هذا الأمر.

أنا لست مجنونًا.

تقدمتُ منها أخيراً، وجلستُ في المقعد الذي وفَّرته لي، وقلت:

- لا أشعر بالارتياح للحديث حول هذا الموضوع.

- لماذا؟

- سؤال آخر، من فضلك.

- هل فقدتَ أيَّ جوانب أخرى، بخلاف إجناسيو؟

قلت:

- يُمكنني الجلوس هنا طوال اليوم يا جيني، أعيد نفس الكلمات، مرارًا وتكرارًا. هل تُريدين تضييع مقابلتك بهذه الطريقة؟

توقف القلم الرصاص عن الدوران. قالت:

- حسنًا، سؤال آخر إذن.

قلبَت أوراقها، ثم واصلت قائلة:

- لقد أكدتَ خلال جميع المقابلات معك أنك لستَ مجنونًا، وأن الجنون تبعًا لتعريفك هو الخط الذي يؤثِّر بعدَه سلوك الفرد النفسي على قُدرته على عيش حياة طبيعية. وهو خطٌّ لم تتجاوزه أنت على الإطلاق.

قلت:

- بالضبط. تتظاهر وسائل الإعلام بأن «الجنون» أشبه بحالة سحرية يمكن تشغيلها أو إيقافها بكل بساطة. كما لو أنه مرض مُعدٍ يمكن أن يُصاب به المرء. ويفوتهم الانتباه للتفاصيل الدقيقة. إن تركيب وكيمياء الدماغ البشري معقَّدان على نحوٍ لا يُصدَّق. وهناك بعض السمات التي قد يعتبرها المجتمع- في أقصى صورها المتطرفة- نوعًا من أنواع الجنون، يمكن أن تكون موجودة لدى كثير من الأشخاص الطبيعيين المزعومين، وتُساهم بشكل كبير في نجاحهم.

- إذن فأنت تُنكر أنَّ المرض العقلي هو مرض بالفعل؟
- لم أقل ذلك.

ألقيتُ نظرةً خاطفة على جواني. جلست آيفي وقد وضعتْ ساقًا فوق الأخرى باحتشام. وقف توبياس وتوجَّه نحو النافذة، ورفع نظره إلى الأعلى، حيث يعتقد أن بوسعِهِ رؤية رائد الفضاء ستان في قمره الصناعي. أما جي سي، فتحرك نحو الباب بجوار الردهة، ويدُه على مسدسه.

تابعتُ قائلًا:

- كل ما أقوله هو أن تعريف كلمة «الجنون» بمثابة هدف متحرك، ويعتمد بشكلٍ كبير على الشخص محلِّ النقاش. إذا كانت وسائل تفكير شخصٍ ما مختلفة عن وسائلك أنت، لكن أنماط تفكيره تلك لا تُعطِّل حياته، فلماذا تُحاولين «إصلاحها»؟ أنا لستُ بحاجة إلى الإصلاح. إذا فعلتُ، ستُصبح حياتي خارجةً عن السيطرة.

قالت جيني:

- هذا تقسيم خاطئ. يمكن أن تكون بحاجةٍ إلى المساعدة، ومُسيطرًا على الأمور في نفس الوقت.
- أنا بخير.
- ألا تتسبَّب جوانبك في تعطيل حياتك؟
- هذا يعتمد على مدى الإزعاج الذي يُسبِّبه جي سي في هذه اللحظة.

قال جي سي:

- أنا أحتج! لا أستحق ذلك.

نظر إليه ثلاثتنا.

أضاف قائلًا:

- ... اليوم. لقَد التزمتُ حُسن السلوك.

رفعت آيفي حاجبها، وقالت:

- لقد قلتُ فِي الطريق إلى هنا- وأنا أقتبِس من حديثك مباشرة- «لا ينبغي أن تتصرَّف الشرطة بعنصرية إلى هذا الحد حيال أولئك الذين يرتدون المناشف على رءوسهم. فليس ذنبهم كونهم وُلِدوا فِي الصين أو ما شابَه».

- أرأيتِ؟ التزمتُ حُسن السلوك.

صمت جي سي لحظة، ثم واصل قائلًا:

- هل كان يجب أن أطلق عليهم الأمريكيين الذين يرتدون على رءوسهم المناشف، أو شيئًا من هذا القبيل؟

نقلتْ جيني نظرتَها بيني وبين جي سي، وقالت:

- هل الهوَ الخاص بك يتحدث؟

كانت تجيد متابعة محلِّ انتباهي.

قلت:

- إنه ليس الهوَ الخاص بي. لا تُحاولي التظاهر بأنه يُعبر عن رغباتي الدفينة بطريقةٍ ما.

أضافت آيفي قائلة:

- لستُ متأكدةً من أنه يستطيع التعبير عن أي شيءٍ على الإطلاق، لأن القيام بذلك سيتطلَّب بالضرورة ما هو أكثر من مجرد همهمات.

أدار جي سي عينَيه فِي مِحجريهما.

نهضتُ وتوجهتُ نحو حوض السمك مرةً أخرى. لطالما تساءلتُ ... هل تعرف الأسماك أنها حبيسة؟ هل يُمكنهم فَهم ما حدث لهم، ومعرفة أن عالَمَهم بأكمله مصطنع؟

قالت جيني:

- إذن، ربما يُمكننا تتبُّع حالتك، يا سيد ليدز. قبل ثلاث سنوات، خلال مقابلتك الأخيرة، قلتَ أنك تشعر أنك في حالٍ أفضل مما كنت عليه من قبل على الإطلاق. هل لا يزال ذلك صحيحًا؟ هل تحسَّنت حالتك، أم تدهورت مع مرور السنوات؟

راقبتُ سمكةً صغيرة لونها أحمر وأسود تختبئ وراء بعض الشعاب المرجانية الصناعية الصفراء، وقلت:

- لا تسير الأمور على ذلك النحو. إن حالتي لا «تتحسَّن» أو «تتدهوَر»، لأنني لستُ مريضًا. أنا على طبيعتي بكل بساطة فحسب.

سألتني جيني:

- ألم تفكر من قبل في أن ... حالتك ... نوع من البلاء؟ لأن التقارير المبكرة للغاية ترسم صورةً مغايرة. إنها تصف رجلًا خائفًا، يدَّعِي أنه مُحاط بالشياطين، ويهمس له كل منهم بتعليماته.

- أنا ...

كان ذلك منذ فترةٍ طويلة للغاية. علَّمَتْني ساندرا: «ابحث لنفسك عن هدف. عليك أن تفعل شيئًا ما بتلك الأصوات. اجعلها تخدمك».

قاطعَني جي سي قائلًا:

- سأذهب لتناول بعض اللحم المجفَّف أو شيءٍ ما في محطة الوقود تلك. أيرغب أحدكُم في أي شيء؟

أخذتُ نفسًا عميقًا. كان جي سي يتصرَّف بطبيعتِه فحسب. أخذنا نتحدث عن الجوانب بصورةٍ زائدة عن الحد، وكان هو يكره أن يَتم تذكيره بأنه ليس حقيقيًّا.

هذا هو سبب رحيله.

قلت لجيني:

- ربما أكون قد مررتُ ببعض الأوقات الصعبة مؤخرًا. أنا بحاجةٍ إلى شيءٍ يساعدني على تركيز ذهني وجوانبي.

سحبتْ جيني بعض الأوراق من وراء دفتر ملاحظاتها، وقالت:

- قضية؟ ربما يُمكنني المساعدة في ذلك.

وضعتِ الأوراق على الطاولة أمامها.

اتجهتْ آيفي نحوي قائلة:

- آه، هذا هو الهدف الذي تُضمره يا ستيف. كل هذا مجرد تمهيد. إنها تريد الاستعانة بخدماتك.

أومأ توبياس قائلًا:

- كانت تحاول دفعك إلى حالةٍ من انعدام التوازن، ربما لتضع نفسها في موقفٍ أفضل للتفاوض؟

كان هذا مجالَ حديثٍ مألوف. استرخيتُ، ثم سِرتُ واستقرَرْتُ في المقعد المقابل لجيني.

- كل هذا كي تَعرِضي عليَّ قضية؟ يا لغرابتكم أيها الناس! أتُدركين أنه بوسعك أن تطلُبي منِّي ذلك فحسب؟

قالت المراسلة الصحفية:

- إنك تميل إلى إعادة الرسائل من دون قراءتها يا سيد ليدز.

لكنها كانت تتمتَّع بما يكفي من اللياقة كي يتضرَّج وجهُها خجلًا.

التفتُّ مبتعدًا عن حوض السمك، وقلت:

- انتظر! ربما أحتاج إليك.

قال جي سي ويدُه على مقبض الباب:

- ماذا؟ هل تحتاج إليَّ كي أكون مَثار مزيدٍ من السخرية؟ أنا متأكد من أنك ستبقى على قيد الحياة.

خرج، ثم أغلق الباب. وقفتُ عاجزًا عن الحديث. لقد رحل بالفعل. في العادة عندما يعصيني جي سي، يكون ذلك لأنني حاولتُ أن أُخلِّفَه ورائي، أو لأنني لا أريدُه أن يتدرَّب بمسدسه. كان يعصيني لحمايتي. لم يكن ... لم يكن يرحل فحسب.

هُرِعَت آيفي نحو الباب، وأطلَّت خلفَه.

- هل تُريدني أن ألاحِقَه؟

همستُ قائلًا:

- لا.

قالت جيني:

- إذن، هل كنا نتحدث عن تدهور حالتك؟

أنا ... أنا ...

تقدَّم مني توبياس، وأومأ برأسه نحو السمكة الصغيرة الحمراء والسوداء، وقال:

- هذه سمكة أكانثوروس أكيل. تبدو سوداء، لكنه في الواقع لون بني داكن، وأحيانًا حتى أرجواني داكن. إنها سمكة جميلة، لكن يصعُب العناية بها. تلك البقعة الموجودة عند الذيل هي أصل اسمها، إذ تبدو إلى حدٍّ ما وكأنها بقعة نازفة على الكعب.

تصفحتُ الأوراق بسرعة، وقلت:

- ما هذا ... آلة يمكنها استخدام البيانات الضخمة للتنبُّؤ بالرغبات الدقيقة للشخص، ويتم تحديثها دقيقةً بدقيقة، تدمج كيمياء الدماغ مع القرارات السابقة، مما يُلغي الحاجة إلى معظم الخيارات ...

قالت آيفي وهي تقرأ من فوق كتفي:

- يبدو هذا مُثيرًا للاهتمام نوعًا ما. أعتقد أن الأمر سيتوقف على مقدار ما تنتوي دفعه، وما تُريدنا أن نقوم به تحديدًا.

سألتُ جيني:

- ما الذي تريدينَه منِّي؟

- أحتاج منك أن تسرق ...

صدر أزيز من جيبي. ألقيتُ نظرةً خاطفة على الهاتف بشرود، متوقعًا رسالةً نصية من جي سي. في الغالب أرسل لي صورتَهُ وهو يحاول الشرب مباشرة من آلة المشروبات الغازية في محطة الوقود، أو نوعًا ما من الهراء المشابِه.

لكن الرسالة النصية لم تكن من جي سي، بل من ساندرا. المرأة التي علَّمَتْني في الأساس كيفية استغلال جوانبي، والمرأة التي أعادت لي العقل. المرأة التي سرعان ما اختفت بعد ذلك.

كانت الرسالة تقول بكل بساطة: «النجدة».

2

اندفعتُ خارجًا من الغرفة، وتبِعَني كلٌّ من آيفي وتوبياس. عندما وصلنا إلى الشارع، لاحظ ويلسون وحفيدة شقيقِه أن هناك خطبًا ما، فتأهَّب وفتح لي الباب. لوحتُ لآيفي وتوبياس بالدخول. جي سي. أين جي سي؟

لم يكن هناك وقت. ركبتُ في مؤخرة الليموزين.

صاحت جيني من باب المبنى:

- انتظر! ماذا عن مُقابلتي؟ لقد تلقيتُ وعدًا بجلسةٍ كاملة!

- سأكملها في مرةٍ أخرى!

رفعتْ أوراقها في يدِها قائلة:

- لكن القضية! أنا بحاجة إلى رؤية كيفية استجابة جوانبك لهذا الموقف. ألا تشعُر بالاهتمام . . .

أغلقتُ الباب. ربما كنتُ سأشعر بالاهتمام في أي يومٍ عادي آخر، لكن ليس اليوم. رفعتُ الهاتف كي يراه كلٌّ من آيفي وتوبياس.

سألتني آيفي:

- هل أنت واثق أن الرسالة منها؟

قلت:

- إنها من الرقم الذي تركْته على الطاولة في ذلك الصباح. لقد احتفظتُ به في قائمة اتصالاتي على كل هاتف امتلكتُه منذ ذلك الحين.

كنا قد حاولنا تتبُّعه فيما مضى، لكن سجلات الهاتف دومًا ما كانت تُظهر أنه غير مسجل باسم أي شخص.

ركب ويلسون من باب الراكب الأمامي، بينما اعتمرت حفيدة شقيقه قبعةَ زي السائق، وجلستْ في مقعد القيادة. أدارت السيارة، وسألتني:

- إلى أين يا سيدي؟

نقلتُ نظراتي بين توبياس وآيفي.

قالت آيفي:

- قد يكون شخصًا آخر ينتحِل الرقم، احترس.

كتبتُ لها:

- أهذا أنتِ حقًّا؟

كتبتْ على سبيل الإجابة:

- «مكان القدر».

كان هذا هو اللقب الذي تُطلِقه على فندق كراميد، حيث التقَينا لأول مرة. سرعان ما وصلتني رسالة نصية أخرى، عبارة عن سلسلة من الأرقام والأحرف غير المنطقية.

كتبتُ لها:

- ماذا؟

لم يصِلني أي رد.

سألني ويلسون من مكانه في مقدمة السيارة:

- سيدي، هل سنرحل؟

قلت لويلسون:

- فلتعُد بنا إلى المنزل.

خرجت حفيدة شقيقِه بالسيارة إلى الطريق، واستدارت عائدة من الاتجاه الذي أتينا منه.

نظرتْ آيفي نحو توبياس، وسألته:

- ما هذه الأرقام؟ هل يمكنك التعرُّف عليها؟

هز رأسه.

قلت:

- تشعر ساندرا بالقلق من ألا يكون الهاتف بحوزتي أنا. إنها شفرة. كثيرًا ما كانت تفعل مثل هذا الشيء.

تبادل الاثنان الآخران النظرات. كان كلاهما موجودًا عندما تعرفتُ على ساندرا، أو على الأقل كانا من بين كثيرٍ من الخيالات والتهيُّؤات التي كنتُ أراها حينها، لكن شخصيتهما لم تكتمل تمامًا حتى علَّمَتني ساندرا كيفية خلق الجوانب. من خلال تركيز انتباهي، والتأمل، وترتيب ذهني، تحوَّلَا بشكلٍ طبيعي من ظلالٍ وأصوات هامسة، إلى فردَين متمايزَين.

قالت آيفي:

- علينا تجاهُل هذا. إنها تتلاعب بك مرةً أخرى يا ستيف، إذا كانت هذه هي بالفعل.

قال توبياس بهدوء:

- إذا تجاهَلَ الرسالةَ يا آيفي، فسوف يظلُّ الأمر يؤرِّقه لبقيَّةِ حياته. أنتِ تعلمين أنه بحاجةٍ إلى متابعة هذا الموضوع.

استندت آيفي إلى الوراء، وعقدت ذراعَيها. من السهل أن يعتقد المرء أنها باردةُ المشاعر، بشعرِها الأشقر المرفوع في كعكةٍ مشدودة، وبدلتها

النسائية الرصينة، لكن عيناها التمعَتا بالدموع عندما التفتَتْ لتنظر من النافذة.

وضع توبياس يدَه على كتفِها.

كان من الغريب أن أشعر أنه لا مكانَ لي بينهما. كان عليَّ أن أُطمئنَها، وأؤكد لها أنني لا أبحث عن علاج، أو عن طريقةٍ للتخلُّص منها. لطالما أكدتُ لآيفي أن هذا ليس الهدف من العثور على ساندرا.

لم أفعل أي شيءٍ من هذا. بدلًا من ذلك، حدقتُ إلى شاشة الهاتف. «النجدة». منذ اثني عشر عامًا، أنقذَتْني ساندرا من الكابوس الذي أصبحَتْ عليه حياتي. هل يُمكنني أن آمُل في أن نجتمع معًا مرة أخرى؟ وهل يسعني أن آمُل أن تكون قادرةً على فعل شيءٍ ما بشأن الطريقة التي أخذتُ أنتكس بها، وجوانبي تتدهور، و...

ظهرت على شاشة هاتفي رسالة نصية جديدة، حجبتِ الرسالة الأولى.

- يا رجل! يا صاح! خبِّرني أنني لم أرك تنطلق بالسيارة الآن بالفعل.

كتبتُ لجي سي:

- نحن في طريقنا إلى المنزل. استقِلَّ أوبر، أو شيئًا ما من هذا القبيل.

- لقد اشتريتُ لك دونات، عليها رشات حلوى ملونة.

- ألم تأكلها بعد؟

كتب لي قائلًا:

- بالطبع فعلتُ، لكنني كنتُ أعلم أنني سآكلها على الأرجح، لذلك اشتريتُ اثنين. لا أستطيع أن أعدك بأن الثانية ستبقى خلال رحلة العودة إلى المنزل. هذا زمنٌ مليء بالمخاطر يا سكيني، كما أن هذا حي خطير يصعُب أن تتجوَّل فيه دونات لذيذة بمفردها.

- جي سي، لقد أرسلتْ لِي ساندرا رسالةً نصية، وهي بحاجة إلى المساعدة.

مرت دقيقة ونصف قبل أن أتلقَّى منه جوابًا.

كتب لي:

- ابقَ في المنزل حتى أصِل إلى هناك.

- سأحاول.

- سكيني، آمُرك بالانتظار.

وضعتُ الهاتف في جيبي. وصلتْني منه ثلاث رسائل نصية أخرى، لكنني تجاهلتها. أردتُ أن يسرع جي سي بالعودة، ولن ينجح أي شيء في تحقيق ذلك أكثر من تركِه يعتقد أنني سأواجِهُ المخاطر من دونه.

لم يكن ليستطيع فعل أي شيءٍ في الواقع، إذ إنه مجرد وليد هلاوسي، وليس حارسًا شخصيًّا حقيقيًّا، لكن ... كان قد حرك يدي ذات مرة، كما لو أنه يتحكَّم فيها. كما أنه دفعني خارج السيارة في مرةٍ أخرى ...

أرسلتُ رسالةً نصية إلى كالياني في طريقنا، لذا كانت جوانبي تنتظِر بجوار النوافذ عندما عدتُ إلى القصر. فتحتُ باب السيارة بمجرد اقترابنا من المنزل، فصاحت حفيدة شقيق ويلسون، ثم أوقفتِ السيارة.

عبرتُ فوق العُشب بخُطًى واسعة.

أسرعتْ آيفي خلفي وسألتني:

- هل تُريدني أن أجهز الغرفة البيضاء؟

قلت:

- لا وقت لدَينا لذلك. أحضري لي أودري، ونجوزي، وأرماندو، وتشين.

- حالًا.

وصلنا إلى الباب الأمامي، وأخذتُ نفسًا عميقًا كي أُعِد نفسي.
ستكون كل جوانبي هناك. قد يكون ذلك- وسيكون بالفعل- أمرًا مرهقًا.

تقدَّم مِنّي ويلسون، وقال:

- سيد ليدز، هل يُمكنني أن أناقش معك شيئًا ما؟

دفعتُ الباب لأفتحه، وقلت:

- هل يمكن تأجيل الموضوع؟

أثقلَ العبءُ كاهلي فجأة، كما لو أن أحدَهم وضع في جيبي قضبانًا من الرصاص. وقف حوالي خمسين شخصًا في الداخل، يتحدثون جميعًا في نفس الوقت. بدا بعضهم مرتبكًا، وبعضهم متحمسًا، بينما ظهر القلق على البعض الآخر. تردَّد نفس الاسم على شفاه الجميع: ساندرا.

انضمَّ إليَّ توبياس، وبدا لاهثًا. بسبب السَّيْر لتلك المسافة القصيرة من السيارة؟ كان يتقدم في السن. ماذا ... ماذا سيحدث عندما يموت أحد جوانبي من أثر الشيخوخة؟

سألته:

- هل يمكنك تهدئة الحشد؟

قال توبياس:

- بالطبع.

تقدم منهم، وبدأ في الشرح. نجح صوتُه الهادئ في التأثير على معظمهم، لكن عندما صعدتُ درَج المدخل الرئيسي، انفصلتِ امرأةٌ عن باقي المجموعة، ولاحقَتْني.

قالت أودري:

- مرحبًا.

كانت ممتلئة، ولها شعر داكن، وتميل طباعها إلى الغرابة بعض الشيء، حتى بالنسبة إلى كونها أحد جوانبي. واصلتْ قائلة:

- إذن فقد عادت ساندرا، أليس كذلك؟ هل ستُعالِجك من الجنون؟ أودُّ الحصول على تحذيرٍ مُسبق، إذا كنتُ سأختفي إلى الأبد، فلديَّ خطط لهذه الليلة.

سألتها:

- موعد غرامي؟

- سأُشاهد كثيرًا من حلقات مسلسل «فتيات جيلمور»، وأتناول حوالي سبعة عشر وعاءً من الفشار الخيالي. لا يُمكنني أن أزداد وزنًا في الواقع، بما أنني لا أزن شيئًا بالفعل، أليس كذلك؟

ابتسمتُ ابتسامةً واهنة عندما وصلْنا إلى قمة الدرَج.

قالت:

- إذن ... هل أنت بخير؟

قلت:

- لا. خُذي هذا، وانظُري ما إذا كان بوسعك اكتشاف ما تعنيه هذه السلسلة من الأرقام.

ألقيتُ لها بالهاتف، الذي فشلتْ في الإمساك به، وأسقطتْهُ بالطبع. جفلتُ، ونظرتْ إليَّ أودري بخجل، لكنه لم يكن خطأها. أجبرَها عقلي على إسقاطه، لأنها لم تكن حقيقيةً بالفعل. كنتُ قد ألقيتُ بهاتفي نحو الفراغ. انقضت فترة طويلة، منذ أن ارتكبتُ خطأً من هذا النوع.

التقطتُ الهاتف- كانت شاشتُه مشروخة، لكن ليس بدرجةٍ كبيرة- وأريتُ أودري ما أرسلَتْه ساندرا. كانت أودري هي أقرب ما لدي

شبهًا بخبير تشفير، وفي الواقع فقد باتت ماهرةً للغاية في ذلك المجال الآن، بعد أن قرأتُ عدة كتب أخرى حول هذا الموضوع.

سألتها:

- هل لديك أي أفكار؟

قالت:

- أمهِلْني بضع دقائق. ربما تكون هذه الأحرف في السلسلة عبارة عن أحرف بدل ... لكن بدل ماذا ...

كتبتْ السلسلةَ على يدِها بقلَم، ثم أشارت نحو جوانبي بالأسفل وقالت:

- هل ستتعامل مع هذه الفوضى؟

قلت:

- لا.

- ألن تُحصي من لم يحضر، على الأقل؟

ترددتُ، ثم اتكأتُ على الدرابزين، وقمتُ بإحصاءٍ سريع، وشعرتُ ببدايات الصداع يُهاجمني بالفعل. لم يكن أرماندو موجودًا، إلا أن ذلك لم يكن مُستغربًا. نادرًا ما كان يُغادر غرفته، أو «مملكتَه في المنفى»، على حدِّ تعبيره. أتت نجوزي، مما بدا مبشرًا. ارتدت قناعًا للوجهِ وقفازات، لكن كاليانى كانت تعمل معها، وصارتا تخرجان معًا مؤخرًا، في الهواء الطلق.

لِنرَ، لا وجود لأرنو. لا بد أنه في غرفته على الأرجح، غافل كالعادة. كما أن ليروي ليس موجودًا. هل ذهب في إجازةٍ للتزلُّج؟ ولا أثر للوا. ربما كان في الفناء، يعمل على بناء بيته؟ كان منشغلًا ببناء منزل من «العصر الحجري» في الفناء الخلفي، مستخدمًا التكنولوجيا التي يُمكنه بناؤها بنفسه فقط.

أسرعتُ عبر ممر الطابق الثاني، متوجهًا إلى غرفة أرنو. كان المصباح فوق بابه مضاء، مشيرًا إلى أنه لا يريد أن يُزعِجه أحد، لذا طرقتُ الباب، حتى ردَّ أخيرًا. كان رجلًا ضئيل القامة، أصلع، بلكنة فرنسية ناعمة.

قال:

- أوه! سيدي!

سألته:

- كيف حال الجهاز يا أرنو؟

- تعالَ وشاهده!

فتح الباب، وسمح لي بالدخول إلى مختبره. انسدلت ستائر التعتيم على النوافذ، بما أنه كان يُحمِّض كثيرًا من الأفلام في هذه الأيام. توزعت بانتظام على طاولة العمل أجزاء متفرقة من الأجهزة. أشار سيجار في منفضة السجائر إلى أن إيفانز كان يُساعده، وهو الجانب الوحيد الذي كان لا يزال يُدخن.

ألصق على الجدار سلسلةً من الصور الفوتوغرافية. كانت مناظر للقصر خلال فصل الشتاء.

توجَّه أرنو إلى جهاز على الطاولة، عبارة عن كاميرا ضخمة عتيقة الطراز، من ذلك النوع الذي يَستخدمه مصوِّرُو الأخبار في الأفلام القديمة، وقال:

- لم أتمكن من جعْلها تعود إلى الوراء في الزمن سوى لستةِ أشهرٍ على الأكثر. كما توقعتُ تمامًا، فإن الفلاش هو أهم جزء. لكنني لم أكتشف بعدُ كيف يخترق الزمن بالتحديد.

تناولتُ الكاميرا، مُستشعرًا ثقلها بين يديَّ. كاميرا يمكنها التقاط صور للماضي. تورَّط هذا الجهاز في واحدةٍ من أكثر القضايا التي تولَّيتُها خطورة.

قال أرنو:

– لقد زوَّدْتُها الآن بفيلم فوري، ومن المفترض أن تعمل. هل ترى هذا القُرص المدَرَّج هنا؟ إنه يُحدِّد البُعد البؤري للوقت، وهو أكثر دقةً على المدى القصير، لعدة أيام فحسب. كلما عدت في الزمن إلى الوراء، تُصبح الصور أكثر ضبابية. لا أعرف كيف حلَّ المخترع الأصلي هذه المشكلة، لكنني في حيرةٍ من أمري حتى الآن. ربما كان الأمر متعلقًا بتداخُل اللحظات معًا، كلما حاولنا جعل الضوء يخترق زمنًا أبعد.

– سيفي هذا بالغرض، يا أرنو. هذا رائع.

ألقيتُ نظرةً سريعة جانبًا، ولاحظتُ بعض الصور الفوتوغرافية مُلقاةً أرضًا، وقد تمزَّق كلٌّ منها إلى نصفَين. سألته:

– ما هذا؟

تململ أرنو، وبدا عليه الحرج. قال:

– أوه، لقد ظننتُ أنه سيكون من الجيد أن يُلقي أرماندو نظرةً عليهم، لأنه خبير في التصوير الفوتوغرافي. أنا خبير في الفيزياء، لكنني لا أعرف كيفية التقاط صورٍ جيدة. وافقَني أرماندو الرأي، ودمَّر العديد من صوري، لأنها لم تكن ذات «أهمية» بما يكفي.

تنهدتُ، ثم حزمتُ الكاميرا في حقيبةٍ أشار إليها أرنو. كان جزءٌ مني يعلم بالفعل أن الكاميرا ستكون جاهزة. قضيتُ الأمسيات في هذه الغرفة،

أعمل بيدي، بينما أرنو يُرشدني بخصوص الإصلاحات. لكن هذه الصور الممزقة كانت جديدة.

لقد سئمتُ بشدةٍ هراء أرماندو. يمكن لكل جانبٍ من جوانبي أن يُمثل تحديًا بطريقتِه الخاصة، لكن لم يكن أيٌّ منهم مُتمردًا على نحوٍ صريح إلى هذا الحد.

حملتُ الكاميرا على كتفي قائلًا:

- لقد أبليتَ بلاء حسنًا يا أرنو. شكرًا لك.

- شكرًا! يُسعدني سماع ذلك.

تردَّد بجانب الباب وأنا أفتحه، ثم قال:

- هل يُمكنني ... العودة إلى فرنسا الآن؟ وإلى أُسرتي؟

تجمدتُ في مكاني.

- العودة؟

- أجل يا ستيفن. أُدرك كم كان عملُنا هنا مُهمًّا، وقد كان مُمتعًا بالفعل. لكن عملي انتهى، أليس كذلك؟ هل يُمكنني العودة الآن؟

- أنت تريد ... الرحيل. وألا تعود جانبًا من جوانبي بعد الآن؟

- إذا لم يكن ذلك سيتسبَّب في كثيرٍ من المتاعب.

- أنا ...

لم يسبق وأن طلب أحد جوانبي الرحيل من قبل، سوى في إجازة قصيرة. واصلتُ قائلًا:

- دعْني أجيبك لاحقًا. أعني، لن أُبقيك هنا رغمًا عنك، لكن الكاميرا لم تنتهِ تمامًا بعد. ربما ... ربما يُمكننا ترتيب الأمر ... كي تأتي أُسرتك هنا ... أو كي تعيش أنت لبعض الوقت في نيس؟

قال:

- شكرًا لك.

أغلقتُ الباب وأنا أشعر بالاضطراب. أتى ويلسون حاملًا صينيةً من عصير الليمون الذي كنتُ في أشد الحاجة إليه. قال:

- سيد ليدز، أنا بحاجة إلى التحدُّث إليك بشأن مسألة صغيرة. إنها بسيطة في الواقع، لكنني لا أريدك أن تنشغِل بدرجةٍ كبيرة حتى ...

تناولتُ رشفةً كبيرة من عصير الليمون، ثم أنزلتُ حقيبة الكاميرا من على كتفي، وقلت:

- هلَّا وضعتَ هذه الكاميرا في السيارة من أجلي، يا ويلسون؟ أنا بحاجةٍ إلى الحديث مع أرماندو. سأُخصِّص وقتًا للحديث معك بعدها، اتفقنا؟

أنا فقط ... ساندرا. عليَّ أن أواصل التركيز على ساندرا.

كانت ساندرا قد أرسلت لي رسالةً نصية.

تفقدتُ الهاتف مرةً أخرى، بينما أنا مُتوجِّهةٌ إلى غرفة أرماندو في العلية. لم يَصِلني شيء آخر من ساندرا، بل مجرد بضع رسائل نصية من جي سي، يشكو من أن سائق أوبر لدَيه مُلصق على نافذة سيارته يقول «ممنوع السلاح».

قال جي سي في رسالته:

- كما لو أن ذلك له أي معنى. لا يمكنك تعطيل الحقوق الدستورية من خلال ملصق فحسب، يا صديقي.

تلاها رسالة أخرى تقول:

- كما أنني أكلتُ الدونات خاصتك للتو.

هززتُ رأسي، وطرقتُ باب غرفة العلية. لم يبدُر من أرماندو أي رد. هل كان يفرض عليَّ «عقوبات ملكية سمعية» مرة أخرى؟ فتحتُ الباب، وأنا أُعِد نفسي لاستقبال صياحِه. كان أرماندو يزعُم أنه الإمبراطور الشرعي للمكسيك، و ...

كانت غرفته مدمرة.

وتناثرت الدماء على الجدران.

3

كانت هناك حُفَر فِي الجص، تُشبه آثار مخالب وحشٍ ضارٍ. تمزَّقَت أغطية الفراش، كما كانت مجموعة الصور الفوتوغرافية الأنيقة التي تُصوِّر مناظر ليليةً من مختلف المدن حول العالم- وهي المجموعة التي يعتزُّ بها أرماندو- ممزقةً إلى فُتاتٍ متناثرة على الأرض.

علاوة على ذلك، تلطَّخَتْ جميع الأسطح تقريبًا برذاذ الدماء. فجأة، شعرتُ بالأفكار تتلاشى من ذاكرتي. تبددَتِ المعرفة والخبرة كالدخان المنبعث من شمعةٍ انطفأت.

اكتسبتُ أرماندو أول مرة منذ حوالي ثماني سنوات، أثناء عملي على قضيةٍ متعلقة بشخصٍ مفقود. كانت امرأة قد اختفت، لكنها واصلت تحميل صورٍ التقطتها لنفسها مع بعض المعالم الشهيرة، على الرغم من أنَّ أشرطة الكاميرات الأمنية أظهرتْ أنها لم تكن في أيٍّ منها من قبل. استخدمتُ أسلوب ساندرا، وقرأتُ بنَهَمٍ عن التلاعُب بالصور وتخيلتُ المعلومات كما لو أنها مخزونةً بداخلي. لم أخلق أرماندو بطريقةٍ واعية، كما لم أتعمَّد بصورةٍ واعية منح أيٍّ من جوانبي شخصياتٍ مميزة، لكنه كان نتيجة قراءتي تلك. في الأيام الأولى، كنا نمزح بشأن مطالبتِهِ بعرش المكسيك، تمامًا مثلما أمزح مع جي سي الآن.

شعرتُ بذلك المخزون من المعلومات يتسرَّب كالدماء من عروقي. غمرَني إحساس بالبرودة، وتعثرتُ إلى الوراء، وقد انتابني الرُّعب من منظر المذبحة داخل غرفته. لم أتمكن من ... كان عليَّ أن ...

لقد اختفت المعلومات.

لقد اختفى هو. سقطتُ على ركبتَي، وأطلقتُ أنينًا خافتًا، تحوَّلَ إلى صرخة ألم. مرَّ نسيم عبر النافذة المفتوحة، وطيَّرَ قصاصات الصور الممزقة في الردهة من حولي.

كانت مي وون هي أول من وصل. شهقتْ، لكنها دومًا ما كانت تتصف بالمهنية، فولَجَتْ الغرفة كي تساعد أي شخصٍ قد يكون بحاجةٍ إلى مهاراتها الطبية. بدأتِ الجوانب الأخرى تتدفَّق في تيارٍ ثابت، وتتجمَّع حولي، على الرغم من أنهم في تلك اللحظة ... في تلك اللحظة بدَوا كما لو أنهم يتلاشَون في الخلفية، كمجموعةٍ من الظلال، مجرد خيالات فحسب.

أتى ويلسون مسرعًا وقال:

- سيد ليدز!

مرَّ من خلال بعض الجوانب، ثم جثا بجانبي قائلًا:

- ستيفن؟ أرجوك، ما الخطب؟

تركتُ يدي تسترخي ببطء، وأطلقتُ تنهيدةً طويلة، ثم شعرتُ بهدوءٍ غريب يحلُّ عليَّ. عليَّ إبقاء الأمور تحت السيطرة. هذا هو ... هذا هو ما علَّمَتْه لي ساندرا.

فاجأني حتى صوتي وأنا أقول:

- ويلسون، ما الذي كنتَ تريد الحديث معي بشأنه؟

أطلَّ داخل الغرفة، وقال:

- أوه، دعك من ذلك. سيدي؟ ما الخطب؟ لماذا صرختَ؟

همستُ قائلًا:

- ما الذي تراه؟

- سيدي؟ إنها تبدو كما هي على الدوام. غرفة ضيوف فارغة. الفراش مُرتب، وعليه لحاف أصفر مطوي.

سألته:

- هل هناك صور فوتوغرافية على الأرض؟

- لا يا سيدي. هل تُريدني أن ... أتظاهر أن هناك صورًا؟

هززتُ رأسي.

- سيدي، إذا جاز لي القول، لقد صرتَ فائق الغرابة في الآونة الأخيرة، أعني، أكثر من المعتاد.

لوَّحَ كبيرُ الخدم العجوز بيدَيه، ووقفتْ حفيدة شقيقه خلفَه، عند قمة دَرَج غرفة العلية، تنظر إلينا بحيرة.

سألني ويلسون:

- هل أنا السبب؟

طرفتُ بعيني قائلًا:

- السبب؟

- بسبب ... اليوم، يا سيدي.

- اليوم؟

- تقاعُدي يا سيد ليدز. لقد ناقشنا ذلك، هل تتذكر؟ كان من المقرَّر أن يكون الشهر الماضي، إلا أنك طلبتَ منِّي البقاء. لكن يا سيدي، لقد بلغتُ السبعين من العمر اليوم.

- هراء، لا يمكن أن تكون كذلك.

التقاعد؟ هل ناقشنا ذلك؟

تذكرتُ الأمر على نحوٍ مشوش.

غادرت مي وون غرفة أرماندو، وهزّت رأسها. عادت جوانبي الأخرى تظهر بألوانٍ زاهية مرةً أخرى، وملأت ثرثرتُهم القلقة مسامعي فجأة. اندفعتْ آيفي من بينهم، وتقدمتْ نحو الغرفة. قبضتْ مي وون على ذراعها.

قالت مي وون:

- أنا آسفة، لقد اختفى.

سألَتْها آيفي:

- أي نوع من الاختفاء؟

ثم التفتت نحوي وواصلت حديثها:

- إن جاستين وإجناسيو لم يختفِيا فحسب، بل أصبحا شيئًا آخر، شيئًا فظيعًا. إن الأمر يتكرر مرةً أخرى، أليس كذلك يا ستيف؟

وقفتُ على قدمي، مُستعينًا بالحائط للاستناد عليه.

- لا أستطيع ... لا يمكنني الاستمرار في تخيُّلكم جميعًا الآن. اذهبوا إلى غُرَفكم. كل من ليس مشتركًا في هذه المهمة. نجوزي، آيفي، توبياس.

سألني تشين- تشويون تشين:

هل كنت تريدني؟

كان يرتدي نظارةً شمسية كالعادة، بصرف النظر عن التوقيت خلال اليوم.

قلت له:

- لطالما كانت ساندرا مولعة بالألغاز. لذلك قد أحتاج إلى فك بعض شفرات الكمبيوتر. أريدك أنت وأودري أن تظلَّا على استعداد، وبالقُرب من هاتفها. لكنني أعتقد ... أعتقد أنني لا أستطيع التعامُل سوى مع عددٍ قليل منكم اليوم، رجاء.

قال تشين:

- بالتأكيد. هل قمتَ بتثبيت هذه البرامج الجديدة؟

هززتُ هاتفي قائلًا:

- لقد أجرينا بعض التحسينات.

- هل شُرِخت الشاشة؟

- معذرة.

تنهَّد، لكنه لم يلبث أن تراجع مع الآخرين. خمسون شخصية، كل منها مُميز، وكل منها جزء من ذهني. أشخاص مختلفون لكلٍّ منهم حياة، وماضٍ، وأسرة، واهتمامات. في بعض الأحيان، كان يصعب تتبُّع كل ذلك. عانقَتْني كالياني وهي تنضمُّ إلى راهول. ضرب إيفانز قبضتَهُ بقبضتي. سمح لي أوليفر بحمل دُميته المحشوة التي على شكل كلبٍ من فصيلة الكورجي، وهو ما فعلتُهُ لفترةٍ طالت بدرجةٍ مُحرجة، قبل أن يتركوني في نهاية المطاف.

حاولتُ تخيُّل طبيعة الموقف بالنسبة إليهم، وهم يكتشفون أنني أفقد السيطرة لأول مرة منذ سنوات، وأن ساندرا، التي كانت شخصيةً بمثابة مجرد أسطورة بالنسبة إلى معظمهم، قد عادت.

نظر إليَّ ويلسون عاجزًا، لكن حفيدة شقيقه، بارب، بدت أكثر انزعاجًا من كل هذا بشكلٍ واضح. تأمَّلَتْها آيفي، وهزت رأسها.

تذكرتُ أنه قضى أشهُرَ طويلةً وهو يُدربها، لأنه سيتقاعد، ويتركني.

قلت:

- ويلسون، أنا ... أدرك أن ...

قطعتُ حديثي عندما لاحظتُ شيئًا ما. بعد انسحاب معظم جواني، بقِيَت شخصيةٌ بارزة واقفة في الردهة، مُمسكة بدفتر ملاحظات. كانت امرأةً آسيوية طويلة القامة، ترتدي بدلةً نسائية. جيني زانج، المراسلة الصحفية.

اندفعتُ نحوَها، متجاوزًا ويلسون، وقبضتُ على كتفَيها. شعرتُ بالخيانة والحرَج. كيف تجرؤ على مُراقبتي وأنا في أضعف حالاتي! صرختُ قائلًا:

- كيف دخلتِ إلى هنا؟

أجابت بحدة:

- لقد أخلفتَ بوعدك لي. أنا بحاجةٍ لتدوين كل هذا، من أجل الكتاب.

قالت آيفي:

- ستيف؟

قلت لجيني:

- أي كتاب؟ لم أُعطِكِ الإذن لتأليف كتاب! أنتِ تتعدَّين على ممتلكات الغير!

- ستيف، أعتقد أنها تستطيع رؤيتنا!

تجمدتُ في مكاني وأنا أنظر في عينَي جيني، ثم التفتُ ونظرتُ نحو آيفي مباشرة.

سرَتْ في جسدي البرودة، وقلت:

- ويلسون، هل يُمكنك رؤية الشخص الذي أُمسك به الآن؟

- سيد ليدز؟ هل هو أحد جوانبك؟
- هل تستطيع رؤيتها؟
- لا. إلا إذا كنتَ تريدني أن ... أتظاهر بذلك؟
أوه، تبًّا.
قلت لويلسون:
- ماذا فعلنا في وقتٍ سابق اليوم؟ إلى أين ذهبنا؟
- سيدي؟ أوصلناك أنا وبارب بالسيارة إلى منطقةٍ فقيرة من المدينة، وتوقفنا عند مبنًى مهجور. عليَّ الاعتراف بأنني شعرتُ بالقلق، على الرغم من امتناني لأنك طلبتَ منّي أن أبقى قريبًا. لقد ظللتَ أنت واقفًا في غرفةٍ خالية لبعض الوقت، ثم خرجت راكضًا.
تركتُ جيني، التي سوَّت سُترتَها بهدوء.
وضعتُ يدي على رأسي. لم يكن ذلك مُمكنًا. لم يكن من المفترَض أن أكون مُصابًا بالجنون. إن جوانبي تحميني من ذلك. هم المصابون بالجنون، بينما أُبقيهم أنا مُنظَّمِين. أنا ... أستطيع تمييز ما هو حقيقي ...
سألتُ ويلسون:
- هل كانت ساندرا حقيقية؟
قال:
- أجل يا سيدي. لم يسبق وأن تشكَّكتُ في ذلك من قبل ... سيد ليدز؟ كل هذا بسبب رحيلي، أليس كذلك؟ أنا آسف، لكن لا يُمكنني الاستمرار في القيام بهذا يا سيدي، ليس بعدَ قضية تلك القاتلة المأجورة، ثم ذلك الحريق في العام الماضي. لكن بارب متحمِّسة لمساعدتك، وستجِدُها ماهرة في ذلك، يا سيدي.

وقفتُ هناك، حتى أعلن صوتُ وقع خطوات وصول توبياس. هرعتْ نحوَهُ آيفي وهمستْ له، فأومأ المؤرّخ العجوز برأسه وهو يُمرِّر يدَه خلال شعره ناصع البياض، ثم ابتسم.

قال:

- لا بأس. لا بد أن يكون مُستاءً بعض الشيء، لقد عثرنا على ساندرا أخيرًا!

همست له آيفي بشيءٍ آخر، فألقى توبياس نظرةً سريعة على غرفة أرماندو، وزمَّ شفتيَه متجهمًا. ثم ابتسم مرةً أخرى، وتقدَّم منّي وأمسك بكتفي، بلُطف لكن بحزم، وقال:

- تماسك يا ستيفن. دعنا نتجاوز هذا. يُمكنك القيام بذلك. لطالما تمكنتَ من هذا.

همستُ:

- أرماندو ...

- لقد حدث ما حدث، وعلينا فقط التأكُّد من عدم وقوع ذلك مرة أخرى. ركز، لقد عادت ساندرا.

نظرتُ إلى آيفي، التي تعمدتْ عدم النظر نحو غرفة أرماندو، وقالت:

- أعتقد ... أعتقد أنني ربما كنتُ مخطئة. أنت مُحق يا ستيف. نحن بحاجة إلى العثور على ساندرا. ربما عادت لسببٍ ما. ربما كان هناك في السماء من يتولَّى رعايتنا.

وقفتْ جيني بالقُرب منا، وهي تدون كل ذلك. كيف خلقتُها، بحق السماء؟ ولماذا؟

أظهرتُ هاتفي لويلسون قائلًا:

- ويلسون؟ أجل، أعرف أنه مشروخ، ليس هذا ما أعنِيه، بل الرسالة النصية.

حرك نظارته وضيَّق عينَيه وهو يقرأ:

- «النجدة»، يليها سلسلة من الأرقام والحروف. هل هي من ... ساندرا؟

تنهدتُ بارتياح. إذن فقد كانت الرسالة النصية حقيقية. إلا إذا ... إلا إذا كان ويلسون أيضًا وليد هلاوسي.

لا يُمكنني توريط نفسي في ذلك الفخ. عليَّ أن أومِن بأن لديَّ ولو ذرة باقية من العقل على الأقل.

سألتُ آيفي:

- أين نجوزي؟

- ألم ترَها وهي تتراجَع؟ إن مرأى الدماء ... أعتقد أنها ذهبت لتستنشق بعض الهواء الطلق.

كانت خبيرة الطب الشرعي لديَّ مُصابةً برهاب الجراثيم، ولا تتحمل رؤية الدماء. كان عقلي مكانًا غريبًا للغاية في بعض الأحيان.

قلت لآيفي:

- حاولي العثور عليها. أريدُها معنا، أنا، وأنت، وهي، وتوبياس، وجي سي، ما إن يلحق بنا.

أومأتْ آيفي، وأسرعتْ في طريقها.

قالت جيني:

- وأنا.

توجهتُ نحو الدرَج قائلًا:

- ليس أنت.

سار توبياس معي، وأبقى يدَه على كتفي، كما لو كنت أنا العجوز الضعيف، بدلًا منه. مرَرْنا ببارب، فتفحَّصتها من رأسها حتى أخمص قدمَيها. كان لدَيها شعر أشقر قصير، وابتسامة مرحة. بدت صغيرةً للغاية. سألتها:

- ألم أُصِبْك بالخوف؟

قالت:

- بصراحة، يبدو هذا مشوقًا حقًّا. أنت في قمة الجنون.

- اذهبي وأديري مُحرك السيارة، وانتظريني.

أسرعتْ مبتعدة، فنظرتُ إلى ويلسون وسألته:

- هل يُمكنها إعداد عصير الليمون على الأقل؟

- تُعِدُّه تبعًا لوصفتي الخاصة، يا سيدي. وعليَّ القول بأنها تعلَّمَتها بمهارة.

تردَّد، ثم واصل قائلًا:

- ربما يُمكنني البقاء ليومٍ أو يومَين إضافِيَّين ...

- لا، كان من المحتَّم حدوث هذا يا ويلسون، وقد بذلتَ الكثير. أكثر مما ينبغي أن يبذله أي شخص، على الأرجح.

كنتُ قد حرصتُ بالفعل على إيداع مبلغ ملائم في البنك من أجله، وفعلتُ ذلك منذ سنوات، لكنه بقِيَ معي لسببٍ ما. ربما كان هو المصاب بالجنون.

نزلتُ الدرَج مع توبياس، وراقبَنا ويلسون من قمة الدرج بينما نحن نرحل. نادى خلفي قائلًا:

- سيدي، إذا لم تكن منشغلاً الليلة لسببٍ ما بمحاربة الإرهابيين أو العثور على القطط التي تنتقِل عن بُعد، فسوف يُسعدني حضورك إلى الحفل. سيُقيمُه شقيقي.

التفتُّ وراء كتفي قائلًا:

- حفل؟ مع أشخاص حقيقيِّين؟

- هذا هو أفضل نوعٍ من الأشخاص، يا سيدي.

- أجل، سأتغاضى عن هذه الدعوة، لكن أشكرك على أيِّ حال.

4

لم أكن دومًا أُكنُّ هذه المشاعر السلبية حيال الأشخاص الحقيقيين. لم يمضِ سوى ... كم من الوقت؟ عامٍ ونصف تقريبًا منذ أن حاولتُ الخروج في مواعيد غرامية؟ كانت جميعها كارثية بصورةٍ مطلقة، لكنني حاولتُ على الأقل.

زعمتْ آيفي أنني خرَّبْتُ تلك التفاعلات مع الآخرين من غير عمد، وكانت لدَيها نظريات عديدة عن السبب، ولم يكن أيٌّ منها في صالحي على وجه الخصوص.

وجدتُ أودري، وتشين، وبعض الآخرين في غرفة الألعاب. كانت مكانًا يُمكنهم الاجتماع فيه لتبادُل الدعم من أجل مواجهة ما هو قادم. انشغل ستورمي بإعداد المشروبات. دخلتُ الغرفة وأنا أُعِد نفسي وأحاول الحفاظ على تركيزي. ساندرا. سوف تعرف ساندرا كيف تساعدني.

لأكون صادقًا، لقد بدأتُ أتدهور منذ شهور الآن، وربما منذ سنوات. لكن يُمكنني تغيير الوضع.

جلستْ آيفي بالقُرب من البار وقد رفعت قدميها على مسند، وأخذت تلوك بعض الحلوى وهي تشاهد مقاطع فيديو للقطط على هاتفها المحمول. منذ أن حصل جي سي على هاتف، أراد الباقون الحصول على هواتف أيضًا، باستثناء هاريسون، المصاب برهاب التكنولوجيا.

قالت أودري:

- انظر إلى هذا. لا أشبع أبدًا من مثل هذه الأشياء.

أرتْني قطةً تموء بينما صاحبها يفتح علبة من الطعام، وتتوقف فجأة عن المواء كلما توقف صاحبها.

وقفتُ مُحدقًا إليها فحسب.

قالت:

- ما الخطب؟

همستُ قائلًا:

- نحن في خِضَمِّ كارثة. إن جوانبي تنتكس يا أودري.

- أجل، لا أستطيع أن أُقرر ما إذا كنت أنا من سيرحل في المرة التالية، بما أنني أعرف أكثر مما يجب، أم هل ستصير المفارقة أكبر إذا كنتُ آخِر من يرحل.

- من المفترض أن تكوني ...

عرضتْ عليَّ قطعة من الورق وقالت:

- فلتهدأ، لقد حللتُ اللغز. كنت بحاجة إلى مفتاح للشفرة، وتبيَّن أنه رقم الغرفة في الفندق الذي التقيتُما فيه لأول مرة. بعد اكتشاف ذلك، لم يستغرقِ الأمر كثيرًا من الوقت. هذه إحداثيات لجهاز جي بي اس.

تناولتُ منها الورقة، وتنهدتُ بارتياح.

- أين المكان؟

- في أرض الملاهي بالمدينة. سيكون هناك عرض في الهواء الطلق الليلة. سيبدأ خلال نصف ساعة.

تفقدتْ أودري هاتفها، وتابعت قائلة:

– عند الغروب مباشرة.

بدا ذلك أشبَهَ بطبيعة ساندرا. دسستُ الورقة في جيبي، ثم استدرتُ للرحيل.

قالت أودري:

– هل تعتقد ... هل يمكنك أن تتخيَّل لي بندقية ربما، أو شيء من هذا القبيل؟

عضّت شفتها وواصلت الحديث:

– في حال ما إذا ساءت الأمور، كما تعلم، وأتت الكوابيس كي ...

– لن يحدث ذلك.

– وماذا إذا حدث؟

– اقتحمي غرفة جي سي.

– وأجازف بتفجير الأفخاخ التي لا بد وأنه نصَبَها؟ أنت تعلم أنها لدَيه. حتى لو لم نرَها، فهي لدَيه.

كانت مُحقَّة. ربما كان لدَيه حقل ألغام تحت أرضية غرفته، أو شيء من هذا القبيل.

ضحكتْ أودري حينما جلب لها ستورمي كوكتيل ميموزا، بينما رحلتُ وطعم المرارة في فمي. إذا كانت أودري تحسُّ بالقلق، فإن ذلك يعني أن الوضع سيئٌ للغاية.

بدت قاعات القصر هادئةً على نحو غريب، مقارنة بالإزعاج السائد في وقت سابق. لم أمرَّ بمخلوقٍ، بشريٍّ أو خياليٍّ. شعرتُ أن المكان خاوٍ للغاية، حتى كدتُ أخشى أنهم جميعًا ... اختفوا وتركوني. ثم سمعتُ صياح إيفانز من الصوبة الزجاجية، حيث اجتمعت مجموعة أخرى.

حاولتُ تهدئة نفسي بأن أخذتُ بعض الأنفاس العميقة، ثم نظرتُ إلى الخارج. لمحتُ آيفي ونجوزي بالقرب من السياج الشجري البعيد. حرصت آيفي بشدة على ألا تُحيط نجوزي بذراعها، لكنها بدت وكأنها تُشجعها، من خلال الوقفةِ التي اتخذَتْها، حتى أتى الاثنان معًا في النهاية.

كانت نجوزي لا تزال ترتدي قناعًا للوجه وقفازات، لكنها أزالت القناع ما إن اقتربت منّي. دومًا ما كنتُ أنسى مدى طول قامتها؛ إذْ كانت تفوقني طولًا بخمس بوصاتٍ على الأقل. تحدثتْ بلكنة أنيقة، نيجيرية بها لمحة من اللكنة البريطانية التي اكتسبتْها خلال دراستها، وقالت:

- معذرة، لقد ... أصابني الذعر.

سألتها:

- هل يمكنك التعامل مع هذا الأمر؟

- أجل، إذا كنتَ بحاجة إليَّ.

لم أكن متأكدًا. لم أكن واثقًا مما قد تتطلّبه هذه القضية، لكن كان لديَّ حدس ما. لم تكن الأمور بسيطةً أبدًا حينما يتعلق الموضوع بساندرا. وإذا لم نتمكن من العثور على شيء في الإحداثيات التي أرسلتها ساندرا، فإن نجوزي هي أفضل رهان لدَينا لفحص مسرح جريمة مُحتمَل.

قلت:

- أنا متأكد من أنني بحاجة إليك، لكن قد يكون هناك حشد من الناس في مدينة الملاهي. هل ستُصابين بالذعر مثل المرة السابقة؟

- هذا يتوقف ... هل سيحاول أحدهم إصابتي بالجذام هذه المرة؟

- لقد سعل شخص واحد في وجهك، يا نجوزي.

- هل سمعت ذلك السعال؟ هل تعرف عدد الجراثيم التي يمكن أن تنتج في المتوسط عن السعال من دون حائل؟ إنها تنطلِق في

الهواء، وتظلُّ عالقة كالألغام الصغيرة، وتلتصِق بوجهك، وبشرتك، وتتسلَّل إلى جسدك . . .

ارتجفتْ، ثم رفعتْ يدها المكسوة بالقفاز، لتُقاطع شكوايَ التالية قائلة:

- يُمكنني القيام بذلك يا ستيفن ليدز. وسوف أفعل. إن هذه . . . قضية من نوع خاص.

سارت آيفي ونجوزي نحو السيارة الليموزين، التي كانت لا تزال متوقفة عند الرصيف. انشغلت بارب بتلميع الحلية التي تعلو غطاء المحرك، لكنها تركت البابَ الخلفيَّ مفتوحًا، في حال ما إذا كانت هناك أي جوانب ترغب في الدخول. كان توبياس جالسًا بالداخل بالفعل، يقرأ كتابًا ضخمًا كي يشغل ذهنه عن مشاكلنا. هكذا صاروا ثلاثة جوانب. بوسعي التعامُل مع ثلاثة.

ثم تفقدتُ هاتفي، وفكرتُ أنهم أربعة. لم يكن هناك ردٌّ من جي سي، لذا أرسلتُ له رسالةً نصية. «هل توقفت لمشاهدة فيلم، أو شيء ما؟»

وصلني الردُّ بعد فترة وجيزة. «توقف سائق أوبر الأحمق، وأركب شخصًا آخر، ثم قاد السيارة في الاتجاه الخاطئ. تمكنتُ من النزول أخيرًا عند تقاطُع شارعي سبعة عشر وستيت».

تنهدتُ. «جي سي، هل ركبت سيارة أوبر على نحوٍ عشوائي فحسب؟»

«ربما».

«بماذا كنت تفكر؟!»

«لقد ارتديتُ بدلة التخفِّي، ولا يمكنهم رؤيتي. ظننتُ أنه يمكنني التوجُّه في الاتجاه الصحيح، وبعدها سأنزل وأستقل سيارة أخرى».

كان هذا أقرب ما يكون إلى الاعتراف بأنه ليس حقيقيًّا. في حين كان أي جانبٍ آخر سيقنع بالتلاعُب بالأمور بعض الشيء، وركوب سيارة أوبر خيالية، إلا أن جي سي ... حسنًا، لم يكن جي سي يتبع نفس القواعد. كان يُحاول أن يكون حقيقيًّا.

أو أنَّ عقلي كان يحاول أن يجعله حقيقيًّا. أو ... أو لا أدري. أخذ رأسي يدقُّ من الصداع، وبينما كنتُ أكتب جوابًا، سقط فوقي ظلٌّ ضخم. ألقيتُ نظرةً إلى الوراء، فلاحظتُ لوا- وهو من جزر المحيط الهادي، ويزن ثلاثمائة رطل- يحاول القراءة من فوق كتفي. بدلًا من الزيِّ المعتاد للخبير في أساليب النجاة، كان يرتدي قميص أشبال الكشافة. صحيح، كان لدَيهم اجتماعٌ هذا المساء، لذا فاتتْه تمامًا كل الفوضى بالداخل.

أومأ بذقنه نحو هاتفي، وقال:

- مرحى، أيها الزعيم. هل أنت بحاجةٍ إليَّ؟ يُمكنني تقليد جي سي. أستطيع الإمساك بسكينٍ ضخم، والتحديق بغضبٍ إلى الجميع.

قلت:

- لا، شكرًا على أي حال.

- هل أنت متأكد؟ إذا كنَّا نتعقب شخصًا ما، فيمكنني تتبع الأشخاص.

- لن نُغادر حدود المدينة، ومن غير المرجح أن أقع في شرَكٍ في البرية، أو شيء من ذلك القبيل.

قال:

- لا تُوجَد مشكلة، يا زعيم.

ثم ضربني على كتفي، وواصل قائلًا:

- لا تقتصر أساليب النجاة على صنع الأحذية من النباتات المعترشة، وبناء فرنٍ من الطين والأحجار، كما تعلم. أبْقِ عينيك مفتوحتَين يا زعيم، وقامتك مشدودة.

- أنا ... إن الأمر يزداد صعوبة يا لوا. تزداد صعوبته كل يوم. إن عقلي نفسه يُحاربني.

- لا، نحن عقلك يا زعيم، ونقاتل معك.

قبل أن يبتعِد، قبض على ذراعي، ثم عانقني.

وفي الحقيقة، فقد شعرتُ ببعض التحسُّن الطفيف عندما استقرَرْتُ داخل السيارة. قلت لجي سي: «قابِلْنا عند مدينة الملاهي، عند شارع ثلاثين. قد يكون ذلك أسهل».

ردَّ برسالة نصية قائلًا: «أعتقد ذلك. لكن ألا يمكنك الانتظار فحسب؟»

«قابِلْنا هناك فحسب. لا تستقل سيارة أوبر خاصة بشخصٍ آخر. سوف أُرسل لك سيارة أجرة». كان لديَّ بعض السائقين في جميع أرجاء المدينة على استعدادٍ لقبول مبالغ مالية كبيرة مقابل التوجُّه إلى مكانٍ ما، وفتح الباب، ثم إغلاقه والتوجُّه بسيارةٍ خالية إلى مكانٍ آخر. كان يجب أن أفعل ذلك لجي سي منذ البداية، وكنت سأفعل لو أنني كنتُ أفكر بشكلٍ سليم.

أرسل قائلًا: «حسنًا، لكن عليك الْتِزام الحرص. ثمة شيء ما يبدو خاطئًا بشأن كل هذا».

تمتمت قائلًا لبارب الوجهة التي أريد الذهاب إليها، فانطلقت بالسيارة، لكنني واصلتُ التحديق إلى الهاتف.

قال توبياس من مكانه في المقعد المجاور لي:

- عليك أن تُخبر جي سي بما حدث يا ستيفن.

لكنني لم أفعل. ليس بعدُ. يمكن لأحدنا على الأقل الاستمرار في التظاهر لبعض الوقت بأننا لم نفقد أرماندو. أقفلتُ الهاتف، ووضعتُه في جيب سُترتي.

5

حل الغسق عندما وصلنا إلى مدينة الملاهي، التي كانت في مثل هذا الوقت من العام مجرَّد حقلٍ ترابي مدكوك من أثر دهس الأقدام، على الجانب الشرقي من المدينة. تجمَّع حشد كبير من الناس، كما لو كان ذلك من أجل حفلٍ موسيقي- كان من المعتاد عقد الحفلات هنا- لكنهم كانوا يَدورون الآن بين الباعة الجائلين. لم يكن من المفترَض أن يبدأ العرض قبل بضع دقائق أخرى.

أنزلَتْنا بارب عند الرصيف. اشتريتُ تذاكر لنا جميعًا وأنا شارد الذهن- دفعتُ ثمن تذاكر جوانبي من دون تفكير- ثم قدتُ الطريق بين الحشد الذي تجمَّع في المساء. لم تكن الرؤية واضحةً بسبب كثافة الحشد، لكن صوت الإذاعة تعالى من مسرحٍ مُقامٍ على الأرض الترابية أمامنا.

أكره الحشود، ولطالما كرهتُها. من الصعب على جوانبي الحفاظ على الوهم، وسط زحام الناس الذين يتجوَّلون ويتنفَّسون نفس الهواء الفاسد، ويتحدَّثون في نشاز صاخب.

لذا ربما كانت نجوزي مُحقة في خوفها من الجراثيم. ظلت قريبة منِّي، وقد وجهتْ عيناها أمامها، ويدُها على كتفي. شعرتُ أنني فخور بها، إذا أخذنا كل شيء في الاعتبار.

هدأ صوت المذيع أمامنا، وتوهَّجَت على المسرح شعلات براقة من الضوء.

أتى صوت آيفي من خلفنا مباشرة وهي تسأل:

- هل هذه ألعاب نارية؟

مال توبياس جانبًا، وتفادى بالكاد الاصطدام بفتاة صغيرة اندفعتْ بجوارنا حاملة الآيس كريم. قال:

- لا، لقد قرأتُ عن ماهية هذا الشيء.

ثم أشار إلى بقعةٍ خالية أمامنا.

احتمَينا من الحشد تحت أفاريز سقيفة صغيرة للمعدات خاصة بالعاملين في الملاهي، ولمحتُ العرض بوضوح لأول مرة. وقف على المسرح رجال يرتدون ملابس واقية، وألقَوا بالمعدن المنصهر إلى الأعلى، أمام خلفيةٍ سوداء مقاومة للحريق.

كان التأثير مُبهرًا، وبدا أن الحشد قد تلاشى للحظة. حتى قلقي الملحُّ بشأن ساندرا تلاشى. كان المؤدُّون يغمسون مغرفةً في دلوٍ من المعدن المنصهر، ثم يقذفونه إلى الأعلى في دوَّامة مشتعلة. عند اصطدام المعدن بالجدار، كان يتناثر إلى الخارج، منفجرًا على شكل الآلاف والآلاف من الشرارات المتلألئة. سقطتْ هذه الشرارات في موجات، كالمطر المنصهر.

بدت كالألعاب النارية، لكنها بدائية أكثر بطريقةٍ ما. لم يكن هناك بارود ولا دخان، بل مجرد دلاء، وأيدٍ ثابتة، وربما تجاهُل غير صحيٍّ للسلامة الشخصية.

قال توبياس:

- اسمُه دا شوهوا. لطالما كنت أرغب في مشاهدة هذا العرض بنفسي. تقول الحكاية إنه منذ مئات السنين، لم يكن لدى الحدَّادين في

نانشوان بالصين أي أموال للألعاب النارية، لذا توصَّلوا إلى شيء آخر، باستخدام المتاح في متناول يدهم.

ألقى المؤدُّون المعدن المنصهر بطاقةٍ محمومة، مغرفة تلوَ الأخرى، كما لو أنهم يُحاولون استباق الجاذبية، وإطلاق النار كلها في الهواء دفعةً واحدة. خلَقَتِ انفجارات الشرر أشكالًا مُخططة في الهواء، مثل جنيَّاتٍ صغيرة تنبض بالحياة للحظات قصيرة: لحظة واحدة رائعة من الحياة والمجد، قبل الاستسلام للبرودة.

قالت نجوزي:

- لا يمكن أن يكون ذلك آمنًا.

أجابها توبياس:

- عادة ما يكون الإبداع وانعدام المسئولية مُتلازمَين يا نجوزي.

ألقيتُ عليه نظرةً سريعة، وشاهدتُ الشرر منعكسًا في عينَيه. واصل الحديث قائلًا:

- إن ترجمة اسم دا شوهوا تعني «زهور الأشجار» تقريبًا، ويشير الاسم ضمنيًّا إلى أنه يتعين على المرء ضرب الشجرة، كي تظهر الزهور. نأخذ شيئًا عاديًّا، ونجعله استثنائيًّا. كل ما يتطلَّبه الأمر هو ألفا درجةٍ مئوية.

شاهدنا العرض حتى وصل إلى فترة للاستراحة، وبدأت الحشود المحيطة في المناطق القريبة مباشرة تتفرَّق بحثًا عن باعة الطعام، أو ألعاب الملاهي القريبة. تفقدتُ هاتفي، وأريتُه للآخرين. أشارت إحداثيات ساندرا إلى مكانٍ أمامنا بالقُرب من حافة أرض الملاهي.

قالت نجوزي:

- علينا التزام الحذر. ماذا سيقول جي سي؟

قال توبياس:

– على الأرجح سيقول شيئًا ما تشوبُهُ شبهة العنصرية و/أو يُطلِق عبارات التهديد.

– لا، لا، بل سيقول شيئًا مثل ...

تبنَّتْ آيفي صوتًا أجش وقالت:

– تمهلوا، يا رفاق. انظروا بتمعُّن، هل ترونَه؟ هل ترَون ذلك؟ هل ذلك ... كعك؟

ضحكتْ نجوزي، لكنها كانت مُحقة، علينا التزام الحذَر. لحُسن الحظ، كنت مُستعدًا لهذا. درتُ حول أرض الملاهي المتربة، حتى أوقفتْنا في النهاية في مكانٍ قريب، لكن على مسافةٍ آمنة من الإحداثيات. تبعًا لخريطة هاتفي، كان المكان الذي ننشُدُه ممرًّا صغيرًا يمتدُّ بالقرب من بعض العشب الذي دهسَتْه الأقدام. فكرتُ قائلًا لنفسي: «ذلك المقعد هناك». أرسلتُ لبارب رسالةً نصية، ثم استقررْتُ بالقُرب من بعض الشُّجيرات حيث يُمكنني مُراقبة المقعد من دون الاقتراب بدرجةٍ كبيرة.

قلت:

– نجوزي، فلتُلقِ نظرةً على ذلك المكان، وأخبريني ما الذي ترَينه. تظاهري بأنه مسرح جريمة.

أخرجتُ منظارًا يمكن لها استخدامه.

قالت آيفي:

– ما فائدة ذلك؟ لا يُمكنها أن تتظاهر فحسب بأن ثمة دماء متناثرة في المكان.

مدَّت نجوزي يدَها في حقيبتي بمنديلها، ثم أخرجتْ منظارًا آخر، وقالت بشرود:

- لا يهدف الطبُّ الشرعي لدراسة جرائم القتل فقط، بل إن التخصُّصات المختلفة للطب الشرعي هي مجرد دراساتٍ لطريقة تفاعل العِلم مع القانون، أو تطبيق العلم على القانون.

مسحَتِ المنطقة وأكملت قائلة:

- عادةً ما أبدأ بسؤال: ما هو الغريب في المشهد، وفي عين مَن؟

أخرجتُ الكاميرا، ثم حاولتُ تثبيتها على الحامل، وفشلتُ في [illegible] ثابتًا.

سألتني جيني:

- هل هذا لأنك فقدت أرماندو؟ ألم يعُد بمقدورك استخدامه بشكل صحيح حتى، لأنه لم يعُد لديك خبير في التصوير؟

رفعتُ عينيَّ نحوها بحدة. أجل، كان هناك بالفعل [illegible] الذي بحوزته دفتر ملاحظات.

سألتها:

- كيف أتيتِ إلى هنا؟

- أوبر.

بالتأكيد، استطاعت هي التصرف، من دون أن تضلَّ الطريق. تنهدتُ، ثم تخليتُ عن استخدام الحامل. لم أكن بحاجةٍ إليه في الغابة على أي حال.

ضيَّقت جيني عينيها، وسألتني بينما هي منشغلةٌ بتدوين ملاحظات:

- كيف ستستخدِم ذلك؟ أليس الفلاش هو الجزء المهم، الذي يُتيح لك التقاطَ صور من الماضي؟ لقد وقفنا في مكانٍ أبعد من أن ينجح ذلك.

كانت على حق، لكن كان من الصحيح أيضًا أنني سأُسقِط الكاميرا نصيحة عمي لأرجح إذا حاولتُ التقاط صورة. كانت خسارة أحد جوانبي تجعلني فاقدًا لمكافأة على نحوٍ غريب، خاصة بعد رحيلهم مباشرة. لكن بمرور الوقت، يتمكّن الباقون من تعويض الخسارة إلى حدٍّ ما.

[illegible] أعود كما كنتُ من قبل على الإطلاق، لكنني عملت حسابَ [illegible] وصدتُ لحوزي فحصها، وقفتُ وتجاوزتُ جهي بعيني، محاولًا [illegible] نظرًا نحو [illegible] التي كانت تقترب.

قالت وهي تحمل [illegible] السائق تحت ذراعها:

– [illegible] هل رأيت تلك الشرارات المتطايرة؟ كانت رائعة!

[illegible]

– [illegible] العيام [illegible] قد يكون خطيرًا.

[illegible]

[illegible] حماستها الساذجة تثير استيائي. يجب أن أسعد [illegible] بدلًا من الشعور بالانزعاج. لكنني شعرتُ أنها [illegible] الأشخاص العاديّين الذين يعتبرون ما أفعله وكأنه عرض ملاهي [illegible] ما.

[illegible] الكاميرا قائلًا:

– هناك مقعد، بالقرب من عربة النقانق تلك، هل ترينه؟ اتركي قبعتَكِ وشنطتك هنا، فهي لافتة للانتباه بدرجةٍ زائدة عن الحد. اذهبي إلى هناك، وتظاهري بأنك تلتقطين صورًا للمسرح وللحشود، لكن صوّري المقعد في كل لقطة.

قالت:

– رائع.

رفعتُ الكاميرا لأريها القُرص المدرَّج على الفلاش الذي من شأنه تغيير الوقت من اليوم، ليجعلَه في الماضي الذي ستلتقِط صورًا منه، وقلت:

- هذه هي النقطة المهمة. أديري هذا القُرص دورةً واحدة مع كل صورة، حسنًا! هذا مهم للغاية.

أدارت عينَيها في محجريهما، بما لم يُوحِ بكثيرٍ من الثقة، ثم ناولتْني قبعةَ السائق والسُّترة. ابتعدتْ وهي تتفحَّص الكاميرا، التي كانت أسهل استخدامًا مما تبدو عليه. كان أرنو يُفضل الشكل الجمالي العتيق فحسب. من الناحية النظرية، فإن الشيء ... الذي مع ... ممم ... الأشياء الأخرى ... لن يحتاج أن ... يُديره أحد ... أو ...

حسنًا، كنتُ واثقًا إلى حدٍّ كبير أنها ستلتقِط صورًا جيدةً حتى بالنسبة إلى شخصٍ لا يعرف كيفية التصوير.

قالت جيني:

- هذه براعة منك، أن تستغلَّ شخصًا حقيقيًّا ليفعل ما لا تستطيع أنت القيام به.

- أنا شخصٌ حقيقي بالفعل.

دونتْ بعض الملاحظات في دفترها وقالت:

- أنت تعرف ما أعنِيه. لماذا تُصِرُّ دائمًا على القيام بالكثير للغاية بمفردك؟ إذا كان لديك فريق من المساعِدين الحقيقيِّين، وليس مجرد سائق يُضطر إلى تقديم المساعدة على نحوٍ عرَضي، تخيَّل مدى التقدُّم الذي ستتمكن من تحقيقه.

جلس توبياس على صخرةٍ بينما نحن في الانتظار، بينما طلبتْ آيفي أن أُريها هاتفي، كي ترى مكان جي سي، إذ كان التطبيق يتتبَّع مسار

السيارة التي أرسلتُها له. كانت السيارة عند إشارة مرورٍ قريبة، وبدا أنها عالقة في زحام المرور المحيط بالمهرجان.

بدأت جولة أخرى من عرض زهور الأشجار، في حين شرعت بارب تلتقط الصور. حسنًا، من شأن هذا أن يمنحها ستارًا إضافيًا. راقبتْ نجوزي بتمعُّن لترى ما إذا كان هناك أي شخصٍ سيُبدي رد فعلٍ حيال بارب وهي تلتقط الصور، لذا راقبتُ أنا أيضًا بمنظارٍ حقيقي، إذ لم يكن بوسع نجوزي ملاحظة شيءٍ بطبيعة الحال إلا إذا رأيتُه أنا.

راقبتُ الشرارات، وبدت في نظري أكثر ... عنفًا هذه المرة، كما لو أنها غاضبة. بدت لي ومضات كاميرا بارب ومصباحها الفريد حادة وصارخة.

لم أرَ أي أثر لساندرا.

عادت بارب وسلَّمتني الصور، التي بدأت تظهر. تشتَّت انتباهي وأنا أتفحَّص الصور، وقلت:

– عظيم، اذهبي وانتظري في السيارة، وحافظي على تلك الكاميرا.

قالت:

– هل هذا هو كلُّ ما في الأمر؟ هل هذا هو كل ما يتعيَّن عليَّ فعله؟

– بخلاف الانتظار في السيارة؟ نعم.

استعادت قُبعتها وسُترتها ومضت وهي تُهمهم لنفسها. رفعتُ نظري، فوجدتُ جيني تتأمَّلني، وتُدون ملاحظة أخرى. قالت نجوزي بينما جلستُ على الصخرة بجوار توبياس:

– حسنًا، دعونا نرَ ...

على الرغم من أن الظلام أخذ يحل، فإن جميع الصور، باستثناء الصورة الأولى، كانت أثناء النهار. أشارت الطوابع الزمنية في الجزء السفلي من

الصور المتتالية إلى أن كل صورة كانت تسبق الأخرى بمقدار نصف ساعةٍ في الماضي. بإجمالي ثماني صور، باتت لدَينا أربع ساعات من البيانات.

أملتُ أن تتمكَّن نجوزي من استنتاج شيءٍ منهم، وهي تتعامَل مع المنطقة كمسرح جريمة. قلبتُ الصور، الواحدة تلوَ الأخرى، كي أُتيح لنجوزي الفرصة لإلقاء نظرة، وبعد ذلك سنقضي الوقتَ في تحليل كل صورة من أجل ...

كانت ساندرا هناك.

تجمدتُ مُمسكًا بالصورة قبل الأخيرة. كان وجهُها نحيلًا، وملامحها تكاد تكون شاحبة. بدا شعرها أطول، وأملسَ، لكنها كانت هي، جالسة على المقعد وتمدُّ يدَها نحو سلة المهملات الكائنة إلى جانبها.

شهقتْ آيفي، ودوَّنت جيني بعض الملاحظات. أنزلت نجوزي قناع وجهها، ونزعت قفازها الطبي، ثم وضعت أطراف أنامِلها على الصورة، بينما وضع توبياس يدَه على كتفي واعتصره.

لقد كانت هنا. كانت هنا بالفعل، منذ أربع ساعات. لكن أين ذهبت؟

قالت نجوزي:

- لقد أرسلت لك رسالةً نصية، ثم ألقت بشيءٍ ما في سلة المهملات.

قلت وقد صرتُ غير مكترثٍ فجأة بأي مجازفة:

- لنذهب كي نجلبه إذن!

جعلتني نجوزي أتفقد آخِر صورة وهي تقول:

- انتظر لحظة. قلتُ تمهَّل. توبياس، قيِّدْ حركته.

ارتجفتْ وهي ترتدي قفازها مرةً أخرى، بينما حملني توبياس على البقاء ساكنًا. لم تكن قبضتُه قوية، لكن كان بها شيء ما يُجبِر على طاعته.

واصلت نجوزي حديثها:

- انظر هنا، هل ترى هذا الرجل الذي يشتري النقانق من البائع؟ لقد عاد ثانيةً في هذه الصورة، ومرة أخرى في هذه الصورة أيضًا.

جلستُ وحدقتُ إلى الصور. استخدمتُ ضوء هاتفي بناء على طلب آيفي كي نتمكن من رؤيتها على نحوٍ أفضل.

ارتفعت تأوُّهات الإعجاب من الحشد خلفنا بعد أن تطايرَت مجموعة أخرى من الشرَر في الهواء.

قلت:

- إذن ... هل يُحب النقانق؟

رفعت لي نجوزي حاجبها.

قلت:

- إما هذا، أو أن المشتري والبائع كلَيهما متورطان في الأمر.

أشارت نجوزي إلى صورةٍ أخرى قائلة:

- انظر هنا، إنهما يتهامسان. من المؤكَّد أنهما مُتورطان في الموضوع.

شعرتُ بخيبة الأمل، والتفتُّ خلفي. كان نفس البائع الموجود في الصور- وهو شابٌّ أسمر البشرة- يبيع النقانق الآن. قلت:

- إنهما يُراقبان موقع الإسقاط، ربما في انتظار القبض عليَّ!

قالت نجوزي:

- حسنًا، ليس من الصعب العثور عليك. إذا أرادا خطفك، فلن يُقدِما على ذلك هنا في منطقةٍ مزدحمة، بل سيأتيان إلى منزلك أو سينصبان لك كمينًا في الطريق.

شخرَتْ آيفي قائلة:

- إذن ربما يرغبان في رؤية ما ستفعله فحسب؟

قالت نجوزي:

- أو ربما يسعيان وراء ساندرا، وقد لا يعلمان من سيردُّ على رسائلها النصية. أو على الأرجح، قد يكونان مُتورطَين في هذا الموضوع بطريقةٍ لا يُمكننا تخمينها، لأننا نفتقِر إلى المعلومات الصحيحة.

التفتُّ إلى صورة ساندرا مرةً أخرى، ثم نهضتُ وشرعتُ أتقدَّم نحو المقعد.

تدافعت جوانبي للحاق بي. قالت آيفي:

- ستيف، ما الذي تفعله؟ ألا ينبغي علينا التفكير في الأمر؟

لم أرغب في التفكير في الأمر. سئمتُ التفكير والقلق. ربما كنت أزيد من صعوبة هذا الأمر أكثر مما يجِب. أو ربما تعمدتُ الإقدام على فعلٍ في غاية الحماقة، قبل أن يعود جي سي ليمنعني.

أيًّا كان الأمر، تجاهلتُ احتجاجات جوانبي وتقدمتُ مباشرة نحو سلة المهملات. فتَّشتُ بداخلها متجاهلًا بقايا شطائر النقانق التي أُكل نصفُها فحسب، وسمعتُ نجوزي تتقيأ بجواري.

أخرجتُ ذراعي مُمسكًا بجرابٍ صغير أسود، اتَّضح أنه يحوي بداخلِه هاتفًا ذكيًّا. كان الهاتف بحاجة إلى رقم تعريفٍ شخصي لفتحِه، فجربتُ رقم الغرفة من فندق «مكان القدر»، الذي استخدمَتْه أودري لحلِّ الشفرة. نجح الأمر، فانفتح الهاتف على أرشيف الصور، وأظهر صورًا التقطتْها ساندرا لنفسها وهي جالسة على المقعد. كتبتْ تعليقًا على آخر صورة.

«هذه أنا حقًّا، وها هو الدليل. سيصِلُك منِّي المزيد».

قالت آيفي وهي تقف بجواري:

- إن البائع صاحب عربة النقانق هناك، لكن لا يُمكنني العثور على الرجل الآخر الموجود بالصور. نحن بحاجةٍ إلى جي سي، أين هو؟

استدرتُ لأواجِهَ عربة النقانق والبائع.

تنهدتْ آيفي قائلة:

- ها نحن ذا ...

قلت بهدوء:

- نجوزي، حاولي أن تعرفي ما إذا كان بوسعك تحديد من أين أتى هذا الرجل، أو لِحساب من يعمل.

قالت:

- لا تسير الأمور على ذلك النحو! أنا لستُ شيرلوك هولمز.

تجاهلتُ شكواها، بينما أنارت ومضات الضوء مدينة الملاهي خلفنا باللون الأحمر البرتقالي المتلألئ، وتوجهتُ مباشرةً نحو الرجل الواقف عند عربة النقانق، ثم وضعتُ هاتف ساندرا على الطاولة، ونظرتُ في عينَيه مباشرة.

قلت له:

- أنا مرهق، وأشعر بالتقدُّم في السِّن.

انتصب الرجل في وقفتِه، واتسعت عيناه. كان شعره حليقًا بحيث بدا قصيرًا للغاية، كما بدا مَمشوق القامة مفتول العضلات. كان جي سي سيتمكن من إخباري ما إذا كان يحمِل سلاحًا أم لا، لكن حتى أنا لاحظتُ كم أنه لا يُلائم دوره كبائع للنقانق.

قال:

- سيدي، لستُ متأكدًا ما إذا كانت شطيرة نقانق ستفلح في مساعدتك.

بدا أسلوبه رسميًّا بدرجةٍ زائدة عن الحد. ربما تلقى تدريبًا عسكريًّا؟

تنهدتُ ومسحتُ يدي بإحدى فُوَطِهِ الورقية. ثم مددتُ يدي إلى جيبي، فاستجاب على الفور بأن مدَّ يدَه إلى مسدسه، وقلب مِئزرَه كاشفًا عن جراب المسدس.

رفعتُ يدي مباعدًا ما بين أصابعي، وأومأتُ نحو مُسدسه قائلًا:

- يُمكننا التوقُّف عن اللعب. كما أخبرتك، لقد تقدمتُ في السن على كل هذا.

خفض الرجل يده أخيرًا وقال:

- تقدمتَ في السن؟ لا تبدو كبيرًا في السنِّ لهذه الدرجة، يا سيدي.

- ومع ذلك، فهناك أجزاء منِّي مُنهكة، مثل سيارةٍ بمحرك قديم مُستخدَم، بها خلل في الفرامل. تبدو على ما يُرام، وتعمل على نحوٍ جيد، حتى تُخضعها للضغط، وحينها ... حسنًا، يشرع كل شيءٍ في الانهيار. أدرتُ الهاتف على الطاولة، ثم استدرتُ وأخفتُ شخصًا آخَر وقف في الصف لشراء النقانق.

تفحصتْ آيفي بائع النقانق، وخمنتْ قائلة:

- أعتقد أنه أصغر الاثنين سنًّا. هل رأيت كم هو متوتر؟ أوقفوه هنا للمُراقبة، وإبلاغهم إذا ظهرتَ أنت. أعتقد أنه لم يكن من المفترض أن يتعامَل معك في الواقع.

سألته:

- من أرسلك إذن؟ ولماذا لم تأخذ هذا الهاتف بنفسك وتهرب؟

صمت الرجل على الفور، ووقف في وضع الانتباه، رافضًا الإجابة عندما ضغطتُ عليه بمزيدٍ من الأسئلة. أجل، كان عسكريًا بكل تأكيد.

تناولتُ الهاتف قائلًا:

- أعتقد أن عليَّ الرحيل إذن؟

وضع الرجل يدَه على الهاتف. لم يسحبْهُ بعيدًا عني، لكنه منعني من الابتعاد به.

قلت:

- هل تريد الحديث؟ إذن ...

أتى صوت آخر قائلًا:

- يمكنك التوقف عن إزعاجه، يا سيد الفيلق. فهو لا يستطيع الإجابة على أسئلتك.

التفتُّ إلى الجانب الآخر، عندما اقترب الرجل الثاني الذي ظهر في الصور. كان قوقازيًّا، أكبر سنًّا من الآخر، ويتناثر الشَّيْب في لحيتِه.

سألته:

- من يستطيع ذلك إذن؟

أشار الرجل نحو الهاتف الذي تَعالى رنينُه.

تجهمتُ، ثم أجبتُه ورفعتُهُ إلى أُذني.

- مرحبًا؟

أتاني صوت ساندرا من الطرف الآخر.

- مرحبًا، يُسعدني سماع صوتك مرةً أخرى.

6

ساندرا.

ساندرا.

كان صوتها عميقًا ومبحوحًا، مثل صوت آلة تشيلُّو منفردة. ذكرني بالسلام، وانقطاع الكوابيس، وبالمحادثات الهادئة ليلًا وبيننا شمعة مشتعلة، لأن الإضاءة الحديثة لم تكن مُفعمة بالحياة بدرجةٍ كافية بالنسبة إلى ساندرا.

سألتُها:

– لماذا؟ لماذا ألقيتِ هذا الهاتف هنا، وتجشمتِ كل هذا العناء؟ لماذا لم تتَّصِلي بي فحسب؟

– نحن بحاجةٍ إلى خطٍّ آمن، يا رون.

اسمي الأوسط. أغمضتُ عيني، مُتخيلًا الأيام الهادئة قرب النهاية، بعد أن نجحتُ في إسكات الأصوات وتجسيدها في أشكالٍ محددة، تلك الأيام التي كنتُ أستلقي فيها فحسب وساندرا بجواري، تتحدَّث بهدوء. لطالما قالت إن اسم «ستيفن» لا يليق بي، وأنه شائع بدرجة زائدة عن الحد.

قلت لها:

– إن خطِّي آمن بالفعل.

- أعني آمِن منك أنت.

ألقيتُ نظرة خاطفة على الرجلَين الواقفَين بجوار عربة النقانق، وقلت:

- هل تعمَلين مع هذَين الرجلين، إذن؟

- بطريقةٍ ما.

قلت:

- أنا بحاجة إلى اللقاء معك يا ساندرا. أنا ... أنا لستُ قويًّا كما كنتُ عند رحيلك. بدأت الأمور تتداعى.

- أعرف هذا.

- هل كنتِ تُراقبينَني؟

- لا، لقد حدث هذا معي أنا أيضًا.

- جوانبلكِ، جيمي، وأوركا، وميسون ... كيف حالهم؟

- لقد رحلوا.

شعرتُ كما لو أنها وجَّهت لكمةً إلى مَعِدتي.

قالت:

- أُريدك أن تذهب مع هذين الرجُلين، يا رون. أريدك أن تثِق بي. إنهما يعملان على شيءٍ يمكن أن يُساعدك، وقد ساعدَني أنا.

كلما طال حديثها، بدا بدرجةٍ أكبر أن ثمَّة خطبًا ما في الأمر، كما لو أنها مُخدَّرة، أو شيء من هذا القبيل. رفعتُ الهاتف عن أُذني، وأشرتُ إلى جوانبي كي يقتربوا ويسمعوا.

قلت:

- ساندرا، ماذا حدث لجوانبك؟ ما الذي يدور؟

قالت بهدوء:

- لقد تخلَّيتُ عنهم، مقابل التمتُّع بالعقل. تعال لزيارتي يا رون. إن الوضع ... أفضل على هذا النحو.

نظرتُ إلى آيفي، التي أومأت برأسها باقتضاب. ضغطتُ زرَّ كتم الصوت على الهاتف، ونظرتُ نحو الرجُلَين. كان أصغرهما جنديًّا، لكن بعد أن تمعنتُ النظر في أكبرهما الآن، لم يبدُ وكأنه ضابط أمن. كان مُمتلئ الجسم بدرجةٍ زائدة عن الحد بعض الشيء، كما بدا مُسترخيًا أكثر مما يجب في تلك السترة الرياضية، على الرغم من أنني لاحظتُ مُسدسًا يطلُّ من جرابٍ أسفل إبطه. سيفخر بي جي سي.

سألتهما:

- ما الذي تعتمدان بها؟

قال أكبرهما سنًّا:

- بدلًا من ذلك عليك أن تسأل عمَّا اختارت أن تفعله بنفسها.

- ما هذه التي اختارتها؟

قال الرجل:

- لقد وجدتِ السلام، ويُمكننا أن نُحقِّقه لك أيضًا. إنها صفقة عمل بسيطة: دعها تعيش في أمانٍ داخل جمجمتك. لا تنظر إليَّ على هذا النحو- وتقنيتنا. يُمكننا أن نجعل العالم مكانًا أفضل. وعالمك أنت أكثر عقلًا. كل ذلك من خلال قوة الخيال الذي تملك حقوقه الفكرية.

قال توبياس:

- إنه يبدو مثل رجل أعمالٍ يُلقي عرضًا أمام مجلس الإدارة.

ضاقت عينا آيفي وهي تقول:

- إنك تُثير اهتمامه، وربما حتى يجدُك مُسليًا.

رفعتُ الهاتف إلى أذني بعد أن أعلنتُ الصوت.

– ساندرا؟ أريد التحدُّث معك على انفراد، أنا وأنت فقط، من دون هواتف، ولا مُستمِعين.

– وإذا طلبتُ منك المساعدة؟

شعرتُ بالرغبة المفاجئة في ردِّ الجميل إليها. لقد أنقذَتْ حياتي منذ سنواتٍ عديدة، وكنتُ أرغب بشدّة في سداد الدين، لكي نكونَ على قدم المساواة، لأنني كنتُ أشكُّ في أعماقي أنها رحلت نظرًا لكوني مُتطلبّة وبحاجةٍ إليها بدرجة كبيرة، بحيث صارت علاقتنا غير متوازنة.

إنها تتلاعَب بي، فهي تعرف طبيعة مشاعري. إنها تتلاعب بي. «النجدة». إنها كلمة يصعُب تجاهلها.

استدرتُ بعيدًا عن الرجُلَين، وخفضتُ صوتي بدرجة أكبر وأنا أتحدَّث عبر الهاتف.

– هل يحتجزانكِ؟ هل خدَّروكِ؟

– إذا قلتُ أجل، فهل ستأتي؟

– أنا . . .

قالت:

– أتدري أنني كدتُ أعود، منذ عامَين، عندما بدأتِ الأمور تسوء بالنسبة إليَّ؟ أتيتُ لزيارتك، لكنني رحتُ قبل أن أتحدَّث إليك. رون . . . ستزداد الأمور سوءًا بالنسبة إليك. حالتك تُشبهُ حالتي، لكنك مُتخلِّف عني ببضع سنوات فحسب. لا يستطيع الدماغ تحمُّل كل ذلك الضغط. ستبدأ في فقدانهم مرةً أخرى. ما لم تستسلِم.

– أستسلِم لماذا؟

- لعالَمٍ مثالي.

قالت آيفي وهي تقف بجانبي:

- حسنًا، لا يبدو ذلك نذير شؤم.

قلت:

- ساندرا، ليس من المفترض أن تسير الأمور على هذا النحو. لقد تخيلتُ ... أعني، لقد تصورتُ ...

- رون، رون ... من المفترض أن تكون قد عرفتَ هذا الآن. إن كِلينا ماهر للغاية في التخيُّل، لكن متى سارت أحلام يقظتنا على النحو الذي أردناه؟ اذهب مع كايل.

- لكن ...

- سأراك، إذن. تعالَ.

أنهت المكالمة.

أدركتُ حينها أنني أبكي. سقط ذراعي، وكدتُ أُسقط الهاتف وأنا أستدير نحو الرجلَين.

قال أكبرهما، الذي كان هو كايل على الأرجح:

- سيد الفيلق، يمكن توسيع نطاق هذا النموذج الذهني الذي تعيش فيه. رجاءً، اسمح لي أن أُريك طبيعة عملنا، ودعْهُ يعيد تعرُّف رؤيتك لما هو ممكن.

- أنت تحتجزها.

- ستجد أننا لم نفعل أيَّ شيءٍ خارجٍ عن الحدود الأدبية والأخلاقية للعمل التجاري الجيد.

أبديتُ الاستهزاء بكلامه.

توهَّج الضوء خلفنا، وتعالى هتاف الحشود. أمسكَتْ نجوزي بذراعي قائلة:

- ليلز.

قلت لكايل:

- لا أعرف ماذا فعلْتَ بها، لكنني لن أذهب معك. سأذهب للعثور على ساندرا، وسأُحَرِّرُها.

- وإذا كانت لا تريد حُرِيتك هذه؟

زمجرتُ قائلًا:

- لا يُمكنك ...

قال توبياس:

- ستيفن، ربما يجب أن تهدأ. خذ أنفاسًا عميقة، هل تتذكر؟ دعني أُخبرك المزيد عن عروض النار هذه. استمع لصوتي. هذه العروض جميلة للغاية لأنها ...

تنفستُ، شهيقًا وزفيرًا، وهدَّأتُ نفسي على إيقاع كلمات توبياس. تراجَعَ كايل والرجل الآخر، واستدرتُ كي أنظُر عبر الحشد نحو وميض الشَّرَرِ على الجدار. بدَتْ جميلة، كما قال توبياس. استمعتُ إلى صوته، حتى ...

ما هذه البرودة؟

نظرتُ إلى الحشد، وكان معظمهم يُوجهون للعرض، لكنَّ شخصًا قريبًا شرع يتحرَّك باتجاهي. تجهمتُ عندما مرَّ هذا الشخص من خلال شخصَين مباشرة كما لو أنهما ليس لهما وجود بالفعل. كان لهذا الشخص مِحجَران غائران، داخلهما عينان بيضاوان غائمتان من دون حدقتَين.

شحب جلدُه حتى بات بلون الرماد، وبدا شفَّافًا إلى حدٍّ ما، بحيث صار من الممكن رؤية خيال جمجمتِه تحت جلده. لكن مع هذا، تعرفتُ على ذلك الوجه على أي حال. أرماندو.

عوى أرماندو- أو ما تبقى منه- واندفع نحوي ملوحًا بسكينٍ ضخم. قفزتُ مُتراجعًا إلى الوراء، لكنني أدركتُ حينها أنه لا يستهدفني أنا.

بدلًا من ذلك، قاطع توبياس وهو لا يزال في منتصف جُملته.

7

سقط توبياس من دون صوت، تاركًا سكّين أرماندو يقطُر بالدم. اندفع أرماندو نحوي كالشبَح، ملوحًا بالنصل الذي انعكس عليه الضوء الأحمر البرتقالي من شرر المؤدِّين في العرض.

رفعتُ يدي في ذُعر، وتعثرتُ إلى الوراء بعد إصابتي بجرحٍ في ذراعي من أثر الهجوم. آلَمَني وبدا كما لو أنه ينزف حقًّا.

اصطدمتُ بعربة النقانق، ولاحظتُ بالكاد أصغر الرجُلَين وهو يخرج مُسدسه، لكنني لم أكترث، ولم أستطع إبداء أي اهتمام. لقد صار أرماندو كابوسًا. وتوبياس ...

لا، رجاء، ليس توبياس.

صرختْ آيفي، وجثَتْ على ركبتَيها لتُحاول مساعدة توبياس، بينما تراجعَت نجوزي في ذعر.

ترنحتُ.

ليس توبياس!

اندفع أرماندو لمهاجمتي مرة أخرى، وهربتُ. دفعتُ عربة النقانق، وركضتُ مُمسكًا ذِراعي النازفة إلى صدري. أغرَقَ السائل الدافئ قميصي، مُبلِّلًا جلدي. اندفعتُ وسط الحشد، مُطيحًا بالناس في محاولةٍ شرسة كي أسبق أرماندو.

طفا خلفي كما لو أنه شبح، أكثر منه رجل أو جانب من جواني. لم تمنعه أي عوائق، ومرَّ من خلال حشدٍ من الناس مباشرة من دون أن يمنعه شيء. لم يكلِّف نفسه عناء التظاهر مثل الآخرين؛ إذ إنه لم يكن بحاجةٍ إلى المحاولة للحفاظ على سلامة عقلي.

مررتُ مندفعًا بجانب عائلة، ووصلتُ بطريقةٍ ما إلى مُقدمة الحشد، بالقرب من المسرح. كنتُ قد استدرتُ، مرتبكًا خلال فراري.

تناثرت شرارات حمراء على الحائط، ثم أومضت وتلاشت. نظرتُ من فوق كتفي، فرأيتُ ضوءًا متقلِّبًا آخِذًا في التلاشي ينير أرماندو، الذي بدت عيناه بلا حياة، كعَيني جثةٍ غارقة. تبِعَني بلا هوادة، مُلوحًا بالسكين الدامي.

أتاني صوتُهُ هامسًا، لكنه مسموعٌ بطريقةٍ ما فوق صوت الناس الذين يهتفون للعرض أو يصرخون بي، وقال:

- سأقتَطِعُهم جميعًا من داخلك.

اصطدمتُ بشخصٍ ما وسط الحشد، فدفعني نحو الجهة الأخرى. آلمتْني ذراعي عندما اصطدمتُ بمجموعةٍ أخرى، وانقطعَتْ أنفاسي عندما انحشرتُ بينهم. تسرَّب أرماندو خلالَهم، وظهر وجهُه عبر ظهْرِ شخصٍ ما، مثل بُقعة تتسرَّب من خلال جدار.

صرختُ مرةً أخرى، ودفعتُ الناس بعيدًا عنّي، وذراعي تشتعِل ألمًا. اندفعتُ عبر الحشد البشِع الصارخ المتعرِّق الخانق. تلوَّيتُ، وصرختُ، واندفعتُ، وأخيرًا ... خرجتُ من بين مؤخرة الحشد إلى الهواء الطلق.

اصطدم بي أرماندو من الخلف، وضربني بكتفِه، فطرحَني أرضًا. ارتطمتُ بالرصيف الخرساني، وشهقتُ من الألَم.

- سأقتطِعُهم جميعًا من داخلك.

تدحرجتُ، وحدقتُ إلى أرماندو الذي أضاءته من الخلف انفجارات الشرر وسط ظلمةِ الليل. ابتسم ابتسامةً واسعة.

حينها، أصابته رصاصة في جبهتِه.

تعثَّر وهو يهزُّ رأسه. أعقب ذلك مزيدٌ من الطلقات، مثل الألعاب النارية. أصابتْه كلها في وجهه، من دون إصابات في أي مكانٍ آخر تقريبًا. أخيرًا، سقط إلى الوراء على الأرض الترابية، وألقى بالسكين.

سحبتُ نفسي على الرصيف بعيدًا عن الجثة، ثم استدرتُ. لم أشعر بمثل هذا القدْر من السعادة من قبلُ لرؤية جي سي. كان لا يزال مُمسكًا بمسدسه أمامه، ثم تقدَّم منِّي وجلس القرفصاء. قال:

- أجل، كان هناك جزءٌ منِّي يعرف أنني سوف أُضطر إلى إطلاق النار على ذلك الرجل يومًا ما.

التفتُّ ثانيةً إلى أرماندو الراقد وسط بركةٍ ممتدَّةٍ من دمائه. أومأ لي جي سي كي أمدَّ له ذراعي حتى يتمكن من تفحُّص الجرح. فعلتُ ذلك، شاعرًا بالخدَر.

أخرج جي سي ضمَّادة من جيبه قائلًا:

- هل ستُخبرني إذن لماذا كنتَ حريصًا إلى هذا الحدِّ على إبقائي بعيدًا؟

- ما ... ماذا؟

- تركتني وسط حيٍ فقير، وهربتَ من القصر قبل أن أتمكَّن من العودة إليك. حتى السيارة التي استقللْتُها إلى هنا علقت في الزحام.

- كان ذلك حقيقيًّا.

- ما زلتُ أشعر أنك تتعمَّد التصرُّف على نحوٍ متهور.

لا، لَم أفعل. أنا فقط ... أردتُ فقط الوصول إلى ساندرا. حاولتُ أن أشرح له، لكنّني شعرتُ حينها بإحساسٍ يشقُّني، على نحوٍ مألوف بدرجةٍ تُثير الغثيان، كما حدث لي في وقتٍ سابق اليوم مع أرماندو. الشعور بالخسارة، وبالمعلومات وهي تُغادرني إلى الأبد.

بدا إحساسي هذا أسوأ كثيراً هذه المرة، مثل صاعقة مقارنةً بانكسار غصنٍ فحسب.

تأوهتُ وأنا أتكوَّر على نفسي، بينما هي تتركني إلى الأبد: كل تلك المعلومات العشوائية التي لا تنتمي إلى مجال خبرة أي جانبٍ آخر من جوانبي.

المعلومات العامة التي لمستْ كل ما فعلتُه وكل ما تعلمتُه، وقد اجتمعت في رجلٍ واحد رائع.

توبياس.

لقد رحل توبياس.

سألني جي سي:

– ما الخطب؟ ما هذا التعبير المرتسِم على وجهك يا سكيني؟ ماذا حدث؟

قلت بصوت أجش:

– لقد قُتل توبياس.

سألني جي سي:

– أين؟

أشرتُ إلى الطريق من بين الحشد.

انطلق جي سي راكضًا، بينما ترنحتُ أنا واقفًا على قدمي، وتبعتُه، تاركًا جثة أرماندو. لم أكن أعتقد أن بوسعه القيام لمطاردتنا مرةً أخرى ... لكن لم يكن هناك ضمان. لم تكن الكوابيس تتبع أي قواعد.

شرع الأشخاص الحقيقيون يُفسحون لي المكان الآن، ويتراجعون إلى الوراء عندما أتحرك. يألف المرء مثل هذا السلوك في المدن الكبيرة، حتى لو لم يبدُ مظهري كالسِّكير المشرد التقليدي. سألني بعض فاعلي الخير ما إذا كنتُ بحاجةٍ إلى المساعدة، لكنني تمكنتُ من التخلُّص منهم، والعودة إلى عربة النقانق.

كان الرجلان الموجودان هناك في وقتٍ سابق قد رحلا. جثَتْ نجوزي على ركبتَيها بجوار توبياس، وقد تلطَّخت ذراعاها بالدماء. حاولتْ تضميد جُرحِه، ليُباركها الرب.

لم يكن ذلك كافيًا. ركع جي سي على ركبةٍ واحدة بجوار توبياس، وتدلَّى مُسدسه من يده. وقفت آيفي في مكانٍ قريب وقد أحاطت نفسها بإحدى ذراعَيها، بينما أخذت تُدخِّن سيجارة باليد الأخرى. تبًّا. كانت قد أقلعت عن التدخين منذ سنوات. نهض جي سي وتقدَّم منها، فعانقَتْه وهي تبكي على كتفِه بهدوء.

أنا فقط ...

حدقتُ إلى الجثة.

كان توبياس هو الأول: صوت هادئ ومتفائل، خرج من بين الظلال والكوابيس. تذكرتُ جلوسي على مقعدٍ ليلًا، والأنوار مطفأة، وأنا مُحاط بالهمسات، حينما سمعتُه لأول مرة.

كان بمثابة حبلِ النجاة بالنسبة إليَّ، للحفاظ على سلامتي العقلية.

قالت نجوزي:

- ما الذي سنفعله الآن؟

لم أكن أعرف.

كان جي سي لا يزال يُعانق آيفي؛ إذ كان بحاجةٍ إلى المواساة مثلها تمامًا، وقال:

- علينا الاستمرار في التحرك. لقد لفتنا الانتباه، انظروا.

على الرغم من انتهاء عرض الشرر المتطاير- شرع شخص ما في رشِّ المياه على المسرح- إلا أن رجال الأمن أخذوا يشقُّون طريقَهم عبر الحشود المتفرقة. التفتَ بعض الأشخاص نحوِي، وهم يلوِّحون بانفعال.

قالت آيفي:

- لا يُمكننا أن ... نتركه فحسب.

همستُ قائلًا:

- هناك مخرج، ووسيلة لإصلاح كل هذا. ساندرا تعرف كيف.

تعثرتُ في طريقي إلى عربة النقانق. كانت هناك رسالة على الطاولة، والجراب الذي يَحوي الهاتف المحمول. نصَّت الرسالة ببساطةٍ على العبارة التالية: «سنكون على اتصال».

التقطتُ الجراب والرسالة، وعلى الرغم من أن ذلك آلَمَني، إلا أنني خلفتُ رفات توبياس ورائي. شعرتُ أن ذلك أمر خاطئ، ومُروِّع، لكنني سأعود من أجلِه، وسأدفنُهُ بشكلٍ لائق.

فكرتُ أنه سيظلُّ ممددًا هناك، وسيسير الناس من خلاله، من دون أن يُدركوا أبدًا طبيعة ما يدهسونه: الرجل العظيم الذي لن يتمكنوا من رؤيته ولن يستطيعوا معرفته على الإطلاق.

كان عليَّ الاستمرار في التحرك.

ابتعدتُ وأنا أعرج في الخطو، مُحتضنًا ذراعي المصابة، بينما حراس الأمن يُنادونَني. أسرعوا للحاق بي، لكنني اقتربتُ حينها من سيارتي الليموزين، التي كانت لا تزال متوقفةً عند الرصيف.

فتحت بارب الباب، فتراجع الحارسان. انتقلتُ فجأة من مرتبة «سكير مشرد عشوائي»، إلى مرتبة «لا أتلقَّى راتبًا كافيًا للتعامُل مع أمثاله».

ركبتُ السيارة، ثم استخدمتُ قدمي لدفع الباب كي أفتَحَه مرةً أخرى عندما حاولَتْ بارب إغلاقَه ورائي. دخلت آيفي، وجي سي، ثم نجوزي، وغاصوا في مقاعدهم.

أطلَّت بارب قائلة:

- ممم، هل ركب الجميع؟

همستُ قائلًا:

- لا، لكن يُمكننا الرحيل على أي حال.

قالت بنبرة مُبتهجة:

- بالتأكيد! هل يُمكنني أن أجلب لك أي شيء؟ بعض الماء، أو ...

- يمكنكِ أن تخرسي.

لذا أغلقتِ الباب، بقوةٍ زائدة عن الحدِّ نوعًا ما. شعرتُ أنني أفتقد ويلسون، و ...

أوه، تبًّا، لقد مات توبياس.

استلقيتُ على المقعد، بينما جثا جي سي بجواري ليُتابع العناية بالضمَّادة.

أخذتْ آيفي نفسًا عميقًا، وقالت:

- حسنًا. حسنًا، نحن بحاجة إلى خطة. لا أُصدق كم أنَّ هذا مؤلم ... لكننا بحاجة إلى خطة. ستيف، لا يمكن أن نسمح بحدوث هذا مرةً أخرى.

دارت السيارة، وفتحت بارب الاتصال الداخلي، ثم قالت:

- هل سنذهب إلى أي مكانٍ مُحدد؟

قلت:

- لا، قودي السيارة فحسب، رجاء.

أي مكان غير هذا المكان.

- هل هناك أي أخبار؟

أخذت آيفي نفسًا عميقًا، وقالت:

- لقد ... لقد فقدنا توبياس.

ساد الصمت.

أخيرًا، قالت كالياني:

- فقدتموه ... بمعني أنه هرب؟

قال جي سي:

- لقد مات. رحل.

شهقت كالياني.

قالت آيفي:

- نحن بحاجةٍ إلى منع حدوث مثل ذلك الشيء مرةً أخرى. أريدكِ أن تجمعي كل الجوانب في الغرفة البيضاء، وأخبرينا ما إذا كان هناك أيٌّ منهم مفقودًا.

قالت كالياني:

- أجل، أجل، حسنًا. لكن ... بخصوص توبياس، هل أنتم متأكدون؟

- نعم، للأسف.

- كيف حال السيد ستيف؟

نظرتْ إليَّ آيفي، وقالت:

- ليس على ما يُرام. عاوِدي الاتصال بنا مرةً أخرى عندما يجتمع الجميع.

ثم أنهت المكالمة.

8

لم أكن أعرف ما نوع هذا الهاتف.

قلَّبتُه في يدي بينما انطلقتِ السيارة على الطريق السريع. بجواري، ساعدتْ آيفي نجوزي في تنظيف الدم من يدَيها باستخدام زجاجات المياه وجفنة للاغتسال.

لماذا كان نوع الهاتف مُهمًّا؟ لأن توبياس كان يعرف كل شيء بخصوص الهواتف. ليس فقط فيما يتعلق بالأجهزة نفسها، بل أيضًا كل شيء عن الشركات التي صنعتها. كان تاريخ التكنولوجيا واحدًا من اهتماماته العديدة الغريبة. اعتدتُ وجود هذه المعرفة في ركنٍ خفي من عقلي، من دون أن تكون لها أهمية حقًّا، لكنها مع ذلك كانت موجودة.

حاولتُ إرسال رسالةٍ نصية لساندرا عدة مرات، لكنها لم ترد. في النهاية، بناء على اقتراح جي سي، أرسلتُ رسالةً نصية ذكرتُ فيها أنني سأُعيد تشغيل الهاتف في غضون ساعة، ثم أخرجتُ البطارية كي لا يتمكن أحدٌ من تتبُّعي باستخدام الهاتف، على سبيل الاحتياط فحسب.

قالت آيفي:

– جي سي، اتَّصِل بالقصر.

فعل ذلك، واتَّصل بكالياني، ثم فتح مُكبر الصوت.

سألتْ على الفور:

حدقتُ أمامي مباشرة، شاعرًا بالخدَر، ولم أُحسَّ سوى بحركة السيارة على الطريق.

عليَّ الوصول إلى ساندرا.

لكن هل ستتمكن من فعل أيِّ شيء؟ لم يبدُ صوتها عبر الهاتف، وطريقة حديثها وكأنها لشخصٍ لدَيه الإجابات، أو على الأقل ليست الإجابات الصحيحة.

بدا ذلك موضوعًا آخر يُمكنني الانشغال بالتفكير فيه بدلًا من توبياس. رفعتُ عيني، وفوجئتُ لرؤية جميع جوانبي وقد تجمَّدوا كالتماثيل، من دون أي حركةٍ أو نفس. عندما أدركتُ ذلك، شرعوا يتحركون مرةً أخرى. جففتْ نجوزي يدَيها وهي تحكي لجي سي عن الرجلَين اللذَين كانا عند عربة النقانق.

تفقدتُ هاتفي، ورأيتُ أن نصف ساعة قد انقضت بينما أنا جالس هناك، شارد في التفكير في ساندرا وتوبياس.

رن الهاتف، وكانت كالياني هي المتصلة.

فتحتُ مُكبر الصوت قائلًا:

- مرحبًا.

قالت كالياني:

- الجميع موجودون يا سيد ستيف، لم يختفِ أحد. كلُّنا هنا، حتى ليروي، الذي عاد للتو.

هذا يعني عدم وجود مزيدٍ من الكوابيس، في الوقت الراهن.

سألتني كالياني:

- ما الذي تُريدنا أن نفعله؟

نظرتُ إلى هاتف ساندرا. هل علينا الانتظار فحسب، حتى تتصل هي أو ذلك الرجل المدعو كايل؟ أم هل عليَّ فعل المزيد؟

نظرتُ إلى فريقي قائلًا:

- ما هي خياراتنا؟

قالت آيفي:

- بدا الرجل الأكبر سنًّا، كايل، كما لو أنه رجل أعمال، وليس رجل أمن، لذا ...

أومأتُ برأسي قائلًا:

- لذا ربما يكون هناك سِجلٌّ له، ولمكان عمله. لكننا سنحتاج إلى طريقةٍ للبحث عنه. نجوزي، كيف حال صورتك الذهنية عنه؟

قالت:

- ممتازة.

- رائع. كاليانى، هل ما زلتِ هناك؟

- أجل.

- اجلبي تركواز.

كان تركواز أحد جوانبي القديمة. أتى إلى الهاتف، مُتحدثًا بمزيجٍ غريب ما بين لهجة تكساس، ولكنة شخص واقع تحت تأثير المخدرات ويُطيل نُطق أحرف كلماته، قال:

- مرحى، يا رجل. لقد كان هذا الأمر جنونيًّا، أليس كذلك؟

قلت:

- لا تستخدم كلمة الجنون باستخفافٍ أمامي يا تركواز. سوف تصِف لك نجوزي شخصًا ما، هل تستطيع رسمه؟

- بالتأكيد، كما يفعل أولئك الأشخاص في البرامج التلفزيونية.

- بالضبط.

- رائع.

أومأتْ لنجوزي، التي شرعت تصف كايل، بوجهٍ مُستدير، وساعِدَين ضخمَين، كما لو أنه يمارس التمارين الرياضية، إلا أنَّ بنيتَهُ لم تكن رياضية في الواقع، كما كان له أنف كبير.

حولتْ كالياني الهاتف إلى وضع الفيديو، وأظهرتْ ما يرسُمه تركواز. أرشدَتْهُ نجوزي لإجراء تعديلات، ومع بعض التدخُّلات من آيفي، قام بعمل رائع. كان عقلي يستطيع حفظ التفاصيل المعقدة بسرعة. كنا فقط بحاجةٍ إلى طريقةٍ لنشر المعلومات.

عندما انتهَينا، قال تركواز:

- رائع. يبدو نوعًا ما وكأنه ثمرةٌ من البطاطس تتظاهر بكونها رجلًا، وتخشى أن يكشف أحدٌ خُدعتها.

قلت:

- أنت رجل غريب الأطوار يا تركواز.

- أجل، شكرًا.

سألتُ:

- مرحى يا تشين، هل تستمع إلينا؟

انحنى خبيري في الكمبيوتر مُلوحًا نحو الكاميرا، وقال:

- أنا هنا.

سألته:

- هل يمكنك فحص ذلك الرسم من خلال إحدى برامج التعرُّف على الوجه؟

- لا، لكن يُمكنني إخبارك من هو على أي حال.

- ماذا؟ حقًّا؟

قال تشين:

- بالتأكيد، لقد قرأتُ مقالًا عنه مؤخرًا. إنه كايل والترز، رجل أعمال محلي. لقد أحدث بعض الضجة في دوائر التكنولوجيا المحلية.

تجهمتُ، وبحثتُ في جوجل عن الاسم. «كايل والترز، رئيس مؤسسة والترز وأوستمان للاعتقال».

سألتني نجوزي:

- مؤسسة للاعتقال؟ مثل السجون؟

قال تشين بينما هو يقرأ:

- سجون هادفة للربح. لقد جذب الانتباه بعد شرائه إحدى شركات ألعاب الفيديو. كانت صفقةً كبيرة إلى حدٍّ ما في بعض الدوائر.

أومأتُ برأسي ببطء. كل ما يعرفه تشين كان مصدره في الأساس مِنّي أنا. لا بد وأنني قرأتُ عن كايل خلال واحدةٍ من فترات نهمي إلى المعلومات، حيث كنتُ أحاول استيعاب أكبر قدرٍ ممكن من القصص الإخبارية والمقالات للرجوع إليها في المستقبل.

قالت آيفي:

- ألعاب الفيديو والسجون؟ هذا مزيج غريب.

مررتُ المقال على الشاشة، وقلت:

- أجل، إنه رئيس الشركة، فلماذا تجشَّم عناء الحضور لمقابلتي بنفسه؟

قال تشين:

- إن مقابلتك أمر جدير بالتجربة. يُقال إنه من النوع العملي، لذا أعتقد أنه أراد أن يراك بنفسه فحسب.

تجهمتُ وأنا أتفحص المقال.

قالت آيفي:

- ما الخطب؟

قلت:

- لا شيء، أنا فقط ... أعتقد أنني كنتُ أعرف شيئًا ما عن ذلك الهيكل الذي يقف أمامه.

ألقيتُ نظرةً سريعة على التعليق المكتوب أسفل الصورة. تابعتُ الحديث:

- برج إيفل؟ يبدو كما لو أنه نوع من التركيبات الفنية.

هزَّت آيفي رأسها قائلة:

- أجل، إنه ضخم للغاية. هذا غريب.

قال جي سي:

- هل هذا «فن»؟ يبدو أن شخصًا ما نسِيَ إكمال هذا الشيء.

جلستُ في انتظار أن يشرح لنا توبياس الأمر، ثم شعرتُ مرة أخرى كما لو أنني تلقيتُ لكمة. لقد رحل. أخذتُ نفسًا عميقًا، وأجريتُ بعض البحث الإضافي عن رجلنا، كايل والترز. وجدتُ بعض المقاطع له وهو يتحدَّث في مؤتمرات التكنولوجيا، مُلقيًا خطابات مليئة بالكلمات الرنانة.

لكنه كان يمتلك السجون، فما الذي يفعله في هذه المؤتمرات؟ لم تكن حتى مؤتمرات متعلقةً بالأمن. قرأتُ: «مؤتمر قمة الواقع الافتراضي التطبيقي». ها!

سألتُ:

- هل له مقر محلي هنا؟ أين؟

أرتْني آيفي هاتفها الذي ظهر عنوان على شاشته، وقالت:

- هنا، إنه يمتلك مبنًى بالكامل في مجمع أعمال بالضواحي.

كان ظهور العنوان على هاتفها يعني أنه مُخزَّنٌ لديَّ في مكانٍ ما بداخل عقلي، منذ أن حفظتُ قوائم الأعمال المحلية. لم أفقد كل شيء إذن، مع فقدان توبياس.

قالت جيني:

- يبو أنك تتعامل مع الأمر بصورةٍ جيدة الآن، بعد أن تلاشت الصدمة الأولية. هل يمكنك توضيح كيف تساعدك جوانبك على التعافي؟

رفعتُ عينيَّ إليها بدهشة، فوجدتها هناك، جالسة قبالتي في الليموزين. سحب جي سي مُسدسه، بحضوره الذهني الرائع، وصوَّبه نحو رأسها مباشرة.

قالت:

- هل هذا ضروري؟

قال جي سي:

- لقد جُنَّ أحد الجوانب للتو، وقتَل واحدًا من أعز أصدقائي. سأفجر مؤخرة رأسكِ عبر ذلك المقعد، إذا اعتقدتُ أن ذلك سيُنقِذ شخصًا آخر.

قلت لها:

- أنت لا تتَّبِعين القواعد. تَظهَرِين وتختَفِين؟ هذا أمر خطير. إن الكوابيس لا تتبع القواعد.

زمَّت شفتَيها، وبدت كما لو أنها أدركت تلك الفكرة لأول مرة. أومأتْ برأسها، ونظر إليَّ جي سي.

قلت له:

- يمكنك أن تُنحِّي مسدسك جانبًا. من الواضح أنها ليست كابوسًا.
ليس بعد.

أطاعني ووضع المسدس في جرابه بتأنٍّ، وهو يستند إلى الوراء في مقعده، بينما لا يزال يراقبها. اعتدنا السخرية من جي سي، لكن عليَّ الاعتراف بأنه يستطيع أن يكون مُخيفًا حينما يرغب في ذلك بالفعل. استقرت آيفي بجواره، وقد وضعت ساقًا فوق الأخرى، وهي تنظر شذرًا إلى جيني. فات نجوزي ذلك الحديث برمَّته، لأن تركيزها بات مُنصبًّا فجأة على مدى قذارة حامل الأكواب من الداخل.

قالت جيني:

- يبدو لي أنكم جميعًا تتسرَّعون في تصويب المسدسات، لكنكم بطيئون للغاية في طرح الأسئلة المهمة.

سألتها:

- مثل ماذا؟

قالت جيني:

- مثل سبب حدوث هذا. لماذا تفقد جوانبك؟ ما الذي يدفع هلاوسك إلى التصرُّف بهذه الطريقة؟

- إن عقلي مُرهق، فلديَّ كثير من الجوانب، وهناك أمور كثيرة تجري معهم. إما هذا، أو أنني غير قادر عاطفيًّا على التعامُل مع حدوث التغيير في حياتي.

قالت جيني:

- هذا تقسيم خاطئ، إذ يمكن أن يكون ثمة خيار ثالث.

- مثل ماذا؟

- فلتُخبرني أنت. أنا هنا كي أستمع فحسب.

قلت لجيني وأنا أُومئ نحو آيفي:

- أنتِ تُدركين أن لديَّ بالفعل بين جوانبي أخصائية نفسية. إنها تتحدَّث إليَّ بوقاحة، لكنها بارعة في عملها، لذا لستُ بحاجةٍ إلى غيرها.

قالت جيني:

- أنا لستُ أخصائية نفسية، بل كاتبة سيرة.

دونتْ شيئًا ما في دفتر ملاحظاتها، كما لو أنها تُثبت صحة هذه النقطة.

نظرتُ من النافذة، وشاهدتُ أضواء أعمدة الإنارة وهي تمرُّ على جانبَي الطريق. كنا قد خرجنا من الطريق السريع، متوجِّهين عبر شارعٍ مُعتم في أحد الأحياء السكنية. بدت البُقع الواقعة بين الأضواء حالكةَ الظلمة، كما لو أنه لا وجود لأي شيءٍ تقريبًا، باستثناء تلك البقَع التي خلقَت فيها أضواء أعمدة الإنارة وجودًا للعالَم.

ضغطتُ زرَّ الاتصال الداخلي، قائلًا:

- بارب، ابحثي على جهاز جي بي إس عن موقع مبنًى إداري اسمه «مؤسسة والترز وأوستمان للاعتقال». من المفترض أنه يقع في شارع 206، خُذينا إلى هناك.

قالت:

- عُلم يا سيدي.

قالت جيني:

- أخبرني، يا سيد ليدز، هل تريد أن تتعافى؟

لم أُحر جوابًا.

واصلَت جيني حديثها:

- لنفترض أنك ستفقدنا جميعًا، ولن يعود هناك وجود لأي جوانب، ولا أي معرفة، كما أنك لن تعود مميزًا. لكن إذا كان بوسعك أن تُصبح طبيعيًّا، فهل ستقبل تلك المقايضة؟

عندما لم أُجب على الفور، أرسلت لي آيفي نظرة تنمُّ عن شعورها بالخيانة. لكن ماذا عساي أن أقول؟ أنْ أُصبح معافي.

أن أصبح طبيعيًّا.

فعلتُ كل ما بوسعي كي أبقى عاقلًا، وكي أدفَعَ باضطرابي العقلي إلى بقيةِ جوانبي. تعمدتُ أن أكون أكثرَ الجميع إثارةً للضجر، وبهذا يُمكنني التظاهر. لكن هل يعني هذا ... هل يعني أنني أُرحِّب بفقدان جوانبي؟

هل يُمكنني حقًّا العيش من دونهم؟

قال جي سي بهدوء:

- أنا أفتقد توبياس بالفعل. كان سيكسِر هذا الصمت، ويقول شيئًا ليجعلني أبتسِم.

قالت جيني:

- أخبِرني عنه، فلم تسنح ليَ الفرصة لمقابلته تقريبًا.

شعرتُ كما لو أنها تُحاول التسلُّل، واستخراج المعلومات من ذهني.

قالت آيفي:

- كان رائعًا، وهادئًا مع الجميع، ويُبدي الاهتمام بالجميع.

أضافت نجوزي:

- كان يُحب الألغاز، ويُحب الأسئلة. كان هو الجزء الذي ظلّ راغبًا في التعلُّم.

قلت:

- أُقسِم أن نصف جوانبي موجودة لأنه كان مُهتمًّا بما يكفي لحثّي على البحث في إحدى الموضوعات الغريبة.

قال جي سي:

- كان يكرَهُ تقاضي أجرٍ مقابل عمَلِنا، ودومًا ما كان يريد تقديم صفقاتٍ مجانية للجميع. كان رجُلَ أعمالٍ سيئًا، لكنه مع ذلك إنسان طيب.

قالت آيفي:

- كان مجنونًا بطريقتِه الخاصة الرائعة. أتذكر كيف كان ردُّ فعل الناس حينما كانوا يكتشفون أن إحدى هلاوسك لدَيها هلاوس خاصة بها؟

ابتسمتُ. ربما ... ربما يُمكنني تخيُّل ستان، صديق توبياس رائد الفضاء. عادة لم تكن لديَّ مثل هذه الدرجة من التحكُّم في الأمر.

استمرَّ الآخرون في اجترار الذكريات، ورَوَوا حكاياتٍ عن توبياس، بينما جلست جيني تُدوِّن كلَّ شيء. جعلني الحديث عن الأمر واستعادة الذكريات أشعر ببعض التحسُّن بالفعل. ربما تكون جيني قد نجحت لمرةٍ في تقديم العون حقًّا.

في النهاية، وصلنا إلى مبنًى إداري صغير، ارتفاعُه أربعة طوابق تقريبًا. لم أكن أعرف ما إذا كانت ساندرا بالداخل، لكن أملتُ أن يكون لدَيهم على الأقل معلومات عن مكان احتجازها.

كان عليَّ اقتحام المكان فحسب، وسرقة المعلومات.

9

أطلت نجوزي من خلال المنظار من نافذة الليموزين، وقالت:

- إنها نفس السيارة التي كانت متوقفةً في الشارع بالقرب من عربة النقانق: سيارة رياضية متعددة الأغراض كبيرة الحجم، ذات لون فضي. يُمكنني بالكاد تمييز لوحة السيارة في ضوء أعمدة الإنارة.

تردَّدتْ قبل أن تُواصل قائلة:

- هل سمع أحدكم عن طراز سيارة اسمه «ليكزس»؟

هز باقي جوانبي رءوسهم. كم عدد الجوانب التي يُمكنني أن أفقدها حتى ... أختفي فحسب؟ وأصير أبلهَ يسيل لعابُه؟

لوَّح جي سي بيده طلبًا للمنظار، فمسحتْهُ نجوزي بمنديلٍ مُطهر ثم ناولته إياه. نظر إلى المبنى وقال:

- لا تُوجَد طريقة لتخمين مستوى الأمن لديهم. إليكم ما سنفعله: سنعود إلى المنزل، وسوف أجمع فريقًا من الجوانب المتخصصين: تشين، ولوا، ومارسي.

سنتواصَل مع بعض مصادرنا، ونحصل على الرسوم الهندسية للمبنى، وإذا أسعدَنا الحظ سنكتشف مَن قام بتركيب نظام الأمان في هذا المبنى. قد نستطيع اكتشاف من هو المالك السابق للمبنى قبل أن يشترِيَهُ هذا

الرجل المدعو كايل، وإذا تمكنّا من رشوته، ستصبح لدينا فكرة أفضل عما نحن بصدد التعامل معه. ثم نعود بعد يومين، في الثالثة صباحًا، عندما ...

فتحتُ الباب، ونزلتُ وسط ظلمةِ الليل.

قال جي سي بتنهيدةٍ عالية:

- أو لا ...

طرقتُ على نافذةِ السائق، فأنزلتْ بارب الزجاج. قلت لها:

- اذهبي وأوقفي السيارة في مكانٍ ما بعيدًا عن الأنظار.

ثم توجَّهتُ نحو المبنى الإداري.

تبِعَني جي سي، وآيفي، ونجوزي، وجيني. عبرْنا العشب وسط الظلام ونحن نركض بقاماتٍ محنية. كان المبنى مضاءً من معظم الاتجاهات، لكن الضوء من الجانب الشرقي كان يرتعش، وقد غلب الظلام على ذلك الجانب، لذا اقتربتُ من تلك الجهة.

تخلفَت جيني عن الباقين، وقد بدا عليها الارتباك وهي تحاول الاختباء وراء شجرة. على الأقل باتت تتصرَّف وفقًا للقواعد الآن. سبق وأن تصرفت آيفي على هذا النحو من قبل، وتسلَّلت بجواري أنا وجي سي وهي تُمسك في يدها بحذائها الذي لم يكن أنسبَ حذاءٍ لذلك من الناحية العملية. كانت نجوزي هي أكثر من أثار قلقي، لكنها ابتسمت وهي تستقرُّ بجانبي بالقرب من بعض الشجيرت.

همستْ بينما نحنِ نجلس القرفصاء في ظلال الشجيرات المظلمة:

- لقد مرت فترة طويلة من الوقت منذ أنِ خرجتُ في مهمة. أشعر ... أشعر أنني على ما يرام. كما لو أنني أستطيع القيام بهذا. ها! أوه! لا تحتكَّ بأوراق الشجر تلك! هل تعرف نوع الكيماويات

التي يرشُّونها على هذه الشجيرات، للحفاظ على مظهرها بمثل هذه الخضرة؟

مسح جي سي جانب المبنى، قائلًا:

- هل أنت مُصمم على القيام بهذا الآن؟

- إذا كانت ساندرا هناك، أريد أن أعرف. لا يمكننا الانتظار ليومَين، بينما يمكنهم نقلها.

تبادل النظر مع آيفي، التي هزت كتفَيها، ثم أومأتْ.

أطلَق زفيرًا، وقال:

- جميعكم مَجانين.

قالت آيفي:

- انتبه! أنا الخبيرة النفسية هنا، وأنا التي أُحدد من المجنون، وهناك أربعة منَّا فقط مُصابون بالجنون.

أحصى جي سي عددنا البالغ خمسة أشخاص، ثم أشار إلى نفسه بتردد.

قالت آيفي بحسم:

- جي سي، أنت مجنون تمامًا. كم اشتراكًا لديك في المجلات المتخصِّصة عن الأسلحة؟

أقر قائلًا:

- لديَّ اشتراك فيها جميعًا.

- بكم لغة؟

- بجميع اللغات.

- وكم لغة يمكنك القراءة بها، خلاف اللغة الإنجليزية؟

أطلّ من بين الشجيرات باستخدام منظاره، وقال:

- ولا لغة، لكن يمكنني فهم الصور، فهي ليست باللغة الكندية أو ما شابهَ.

سألتُ آيفي:

- مَن العاقل إذن؟ أنا؟

- لا، بحق السماء، إنها نجوزي. هل شاهدت الكيماويات التي يرشُّونها على هذه الشجيرات؟ عليك حقًّا الاستماع إليها.

أومأت نجوزي موافقة، لكن جي سي ضحك فحسب. أما أنا ... فقد ابتسمتُ بعض الشيء. كان من الصعب الشعور بأي مرحٍ بعدَ ما حدث، لكنني أدركت أنني ما زلت بحاجة إلى ذلك.

شكرًا لكِ يا آيفي. سألتُ:

- كيف سندخل إذن؟

قالت نجوزي:

- من خلال مجاري الهواء؟

أدار جي سي عينَيه في مِحجريهما وقال:

- هل سبق لكِ وأن رأيتِ بالفعل مجاري هواء يمكن لأي شخص التسلُّق من خلالها؟ أعني واحدة كبيرة بما يكفي وتتحمَّل أيضًا وزن إنسانٍ بداخلها من دون أن تنهار؟

قالت:

- بالتأكيد، شاهدتُ الكثير على شاشة التلفزيون.

- أجل، حسنًا، ما رأيك لو أنني شرعت أصيح في المرة القادمة التي نُحلل فيها مسرح جريمة، قائلًا: «عزِّز الصورة» حوالي مليار مرة؟

- فهمتُ مقصدك.

رفع جي سي منظاره مرة أخرى قائلًا:

- لحُسن الحظ، لا يبدو هذا المكان مؤمَّنًا بدرجةٍ كبيرة. لا أرى أي كاميرات خارجية- مع الأخذ في الاعتبار أنه يمكن إخفاؤها بسهولة- كما أن غياب الضوء في النوافذ يُشير إلى أنهم إذا كانوا يقومون بدوريَّات على الأقدام، فهي ليست منتظمة. لكن هذه المباني الحديثة لا تحتاج بالطبع إلى أي دوريَّات على الأقدام، إذ إن كل شيء موصول بحيث ينطلق الإنذار على الفور في حال ما إذا تنفَّس شخص ما عند الباب الخاطئ.

أفضل طريقة للدخول هي أن نفعل ما تقوله أودري على الدوام: «ابحث عن الخطأ البشري، بدلًا من محاولة اختراق الآلات».

أشار بيده، فلمحتُ نافذة في الطابق الأول تركها شخصٌ ما مفتوحةً باستخدام كتاب، ربما لإدخال الهواء.

قال جي سي:

- سنذهب جميعًا دفعة واحدة. إذا كانوا يراقبون المنطقة من خلال الكاميرات، فسيكون التسلُّل واحدًا تلوَ الآخر أسوأ. بهذه الطريقة، لدَينا فرصة على الأقل أن يكون حارس الأمن مُلتفتًا نحو الجانب الآخر في اللحظة التي نركض خلالها. مستعدون؟

أومأنا جميعًا.

أشار جي سي وراء كتفِه باتجاه جيني، التي ظلَّت تُراقبنا عن بُعد، ربما لافتقارها لما يكفي من الثقة للاقتراب، وقال:

- وماذا عنها؟

قلت:

- تجاهلْها. إنها ... لن تظهر على شاشاتهم. لدَيها ... ممم، لديها نظام للتخفِّي.

أدار جي سي عينَيه في مِحجريهما، وأشار ثانيةً وهو يقول:

- لا أقصد تلك الكاتبة، بل أقصدها هي.

نظرتُ ثانية، فرأيتُ بارب تعدو عبر العشب. وصلتْ وقد تقطَّعَت أنفاسها، ثم جثمت بجواري قائلة:

- حسنًا! هل سنتسلَّل إلى الداخل؟ يعجبني ذلك. ما الذي تريدني أن أفعله؟

- عودي إلى السيارة.

- لكن ...

- عودي إلى السيارة، وانطلِقي بها واذهبي إلى حفل عيد ميلاد عمك. إنه الليلة، أليس كذلك؟ تناولي بعض الكعك يا بارب.

- سوف تحتاج إلى ...

- سأستقل سيارة أجرة، اذهبي.

بدا على وجهها خيبة الأمل، ثم أومأتْ وابتعدت. إذا كشفتني أمام حراس الأمن هناك ... هززتُ رأسي، والتفتُّ نحو الفريق مرة أخرى، فقابلَتْني من الجميع نظرات الاستهجان.

قلت:

- ما الخطب؟ نحن لسنا بحاجة إلى أشخاصٍ حقيقيين.

قالت نجوزي:

- هناك أشياء يُمكنها فعلها، لا نستطيع نحن القيام بها.

قال جي سي:

- أنا لا أُبعِد شخصًا على استعداد للعمل على الإطلاق.

ضغطت آيفي على ذراعي قائلة:

- ماذا لو كانت هذه هي المشكلة، يا ستيف؟ ماذا لو لم يكن بوسعك الاكتفاء بالعيش معنا فحسب؟ ماذا لو كان انكفاؤك على ذاتك هو السبب وراء كل هذا؟

- ماذا؟ هل تشعرون بالاستياء إلى هذا الحد لأنني صرفت سائقة سيارتي؟

بدَوا جميعًا مُصابين بالجنون بالفعل.

علاوة على ذلك، ربما لم أكن أريد وجود شخصٍ يُراقبني أثناء مروري ... بأيِّ شيءٍ، مهما كان الذي يحدُث لي. أليس من حق المرء أن يُعاني من الانهيار على انفراد؟

قلت:

- هيا بنا.

ولم أمنحهم فرصة للاعتراض إذ ركضتُ نحو المبنى مباشرة. تبِعَني الآخرون، حتى جيني. وصلتُ إلى جانب المبنى لاهثًا، ثم اقتربتُ من النافذة المفتوحة. كانت من ذلك الطراز الذي ينزلِق إلى الأعلى والأسفل، ورأيتُ من خلال الزجاج ما يُشبِهُ خزانة لأدوات التنظيف. كانت هناك دِلاءٌ على الأرض، وعبق المكان برائحةٍ خافتة من سوائل التنظيف. ربما كانوا يعملون على تهويتها.

رفعتُ النافذة، ثم انزلقتُ من خلالِها. تمكنتُ من القيام بذلك من دون إحداث أي جلبةٍ أو قلب الدِّلاءِ الكائنة على الأرض، لكنني صدمتُ رأسي بإحدى الأرفُف في الظلام بمجرد وقوفي. شعرتُ بالدوار، وتشوَّش بصري، لكنني تمكنتُ من منع نفسي من الصياح.

فتحتُ النافذة للآخرين، ورفع لي جي سي إبهامه أثناء دخوله. لم يرَني على الأرجح وأنا أصدم رأسي، لكنني اعتقدتُ أن أدائي أصبح أفضل مما كان عليه في السابق، وأثبتَتْ دوراتُنا التدريبية جدواها.

قلبت آيفي إحدى الدلاء، لكن لحُسن الحظ، لن يكون الضجيج الناتج مسموعًا لأي شخصٍ سواي، على الرغم من أنها نظرت إليَّ بانزعاج بعدها. ساعد جي سي نجوزي على الدخول، ثم جاءت جيني أخيرًا.

أعدتُ الكتاب مكانه، وأسندتُ عليه النافذة، ثم توجهتُ نحو الباب. أخذتُ نفسًا عميقًا، وفتحتُه بمقدار شَق. إذا كانت الأبواب لدَيهم مُوصَّلة بنظام للإنذار، فسوف يكشفني هذا.

كان الضوء وراء الباب أشدَّ سطوعًا مما توقعتُ. طرفتُ بعيني في مواجهة الوهَج الصارخ المباشر. بدت الردهة خالية، على الرغم من أن جي سي أشار إلى الأعلى، نحو نتوءٍ صغير في السقف، عبارة عن شكلٍ نصف كُروي من الزجاج الأسود العاكس. كانت كاميرا أمنية.

تراجعتُ داخل الغرفة، وأغلقتُ الباب فأصدر تكَّة. بعد التفكير للحظة، اتصلتُ بكالياني على الهاتف. قلت بهدوء:

- نادِ تشين.

بعد لحظة، أتى إلى الهاتف وقال:

- أجل يا زعيم؟

قلت:

- سوف نتسلَّل إلى مبنى مؤسسة الاعتقال. لقد اخترقنا مُحيط المكان، لكن الممرَّات بها بعض كاميرات المراقبة.

ضحك تشين بهدوء، وقال:

- هل تشعر بالدهشة من أن مؤسَّسة مُتخصِّصة في إدارة السجون تتمتع بمستوًى أساسي من الأمن؟

قال جي سي:

- لقد أصبح مُتهورًا مؤخرًا، أكثر من المعتاد.

- حسنًا، ألقِ نظرةً على هاتفك يا زعيم. هل ترى تطبيقًا اسمه SAPE؟ هذا هو مُعزِّز إشارة هاتفك. جرِّبْه، واضبطه لينقل البيانات إلى جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بي.

ضغطتُ بعض الأزرار، وشاهدتُ البيانات تظهر على شاشتي، وقلت:

- لقد فعلتُ.

قال تشين:

- همم ... شبكة واي فاي مرئية للضيوف ... والإشارات الداخلية مَخفية من دون هوية ظاهرة. حسنًا، رائع. إنهم يستخدمون كاميرات لا سلكية من طراز AJ141.

- هل هذا شيء جيد؟

قال تشين:

- نوعًا ما. إن تلك الكاميرات الصغيرة هناك تبثُّ الإشارات إلى محطَّة مراقبة مركزية، واضح؟ ويتنقَّل حارس الأمن الليليُّ هناك بين الكاميرات.

- هل يمكنك اختراقها؟

قال تشين:

- لا، ليس هناك أدنى احتمال لذلك. سنحتاج إلى توصيل هاتفك بالكاميرا مباشرة، مما سيتطلَّب منك- إذا لم تكن قد خمَّنت ذلك

بالفعل- الظهور في مجال رؤيتها. لكن مع ذلك، راقب الإشارة على هاتفك. هل ترى ذلك الضوء الصغير؟

- أجل، ما هذا؟

- إنه اختبار بينج للبيانات، وهو يتسبَّب في إعادة تشغيل الكاميرا لفترةٍ وجيزة، قبل أن تبدأ في استئناف البثِّ مرةً أخرى. هذا غريب. لقد أعدُّوا كاميرات جديدة على الأرجح للعمل مع نظامِهم الأمني القديم. وهذا يعني أنه بينما لا نستطيع اختراق النظام ...

قلت مبتسمًا:

- إلا أنه يُمكننا رؤية متى تقوم الكاميرات بالإرسال. عمل جيد يا تشين.

- أجل، حسنًا، حاول ألا تجعلهم يقبضون عليك، اتفقنا؟ لقد تلقَّينا ما يكفي من الأخبار السيئة اليوم.

وقفت كالياني بالقرب من تشين، وقالت بنبرةٍ مترددة:

- بمناسبة الحديث عن ذلك ... سيد ستيف؟

سرَتْ فيَّ البرودة وقلت:

- ما الخطب؟

- لقد اختفى لوا.

- ظننتُ أنكِ قلتِ إنَّ الجميع موجودون!

- لقد ظننَّا ذلك، لكنه هُرِع كي يجلب شيئًا من كوخه الصغير بالخارج، ولم يعد! لقد أرسلْنا أربعة أشخاصٍ معًا للبحث عنه، لكنه اختفى.

استندتُ إلى الحائط، وشعرتُ بالغثيان. لا، ليس ثانية ...

انحنى جي سي نحو الهاتف، وقال لكالياني:

- مرحبًا يا أحمد.

- من فضلك لا تُناديني بهذا الاسم.

- أجل، آسف، كنتُ أحاول أن أكون مضحكًا، كما تعلمين ...

أخذ نفسًا عميقًا، ثم واصل الحديث:

- هناك مفتاح مَخفي داخل صندوق أسفل ثالث طوبةٍ في الممر الخلفي. اذهبي واجلبيه.

سألته كالياني:

- لماذا؟

- إنه يفتح خزانةَ بنادقي الموجودة في المدخل الرئيسي، حيث أحتفظ ببنادق الطوارئ في حالة حدوث اقتحامٍ للمنزل. وزِّعيهم على الآخرين، ولتبقَوا مُختبئين بالداخل يا رفاق، اتفقنا؟ ابقَوا في غرفة واحدة، وحصِّنوا الباب ... وتوخَّوا الحرص. إذا تحول لوا إلى كابوس، فقد يتجاهل أشياء مثل الأقفال والمتاريس، لكن مع ذلك فمِن المفترَض أن يكون للبنادق تأثير.

ارتجف صوتها وهي تقول:

- أنا ... حسنًا. حسنًا، سنفعل ذلك.

- جيد، توخَّي الحرص.

ثم نظر إليَّ وبدا مُتحفظًا على نحوٍ غير معهود، وأخرج مُسدسه من جرابه وهو يقول:

- أعتقد أنك كنت مُحقًّا، يا سكيني. لم يكن الانتظار لمدة يومين قبل الدخول إلى هنا خيارًا متاحًا.

وقفت جيني بجانبي مباشرة، وقالت:

- هل تُريد أن تُخبرني كيف تشعر بالضبط حيال هذا الأمر؟

قفزتُ شاعرًا فجأةً بغضبٍ غير منطقي تجاهها. وقفتْ هناك تدون ملاحظاتها كما لو أنها لا تكترث على الإطلاق بما يحدث للآخرين.

قلت:

- إما أن تخرسي، أو أننا سنتشاجر.

قالت:

- هذا تقسيم خاطئ. هناك أكثر من خيارين. يمكننا أن ...

أشرتُ نحو النافذة قائلًا:

- فلتذهبي.

خفضتْ دفتر ملاحظاتها، وقالت:

- ماذا؟

- اذهبي، الآن. وإلا أُقسم أن جي سي سيُطلق عليك النار. اكسري القواعد، واذهبي أو اختفي، لا يُهمني كيف، لكن اذهبي بعيدًا!

اختفت في لحظة.

ارتعدتُ بداخلي، ثم شعرتُ بالغثيان. وقف بقيةُ جوانبي في صمت.

زمجرتُ قائلًا:

- لا تُظهروا الشعور بالخيانة إلى هذا الحد، فأنا لم أطلب وجودها، ولم أرغب فيها. لا أعرِف حتى ما هو التخصُّص الذي يُفترض أن تُمثِّله.

انتظرتُ أن تتم الكاميرا بالخارج دورتها، وأحصيتُ المدة بين كل مرةٍ والتالية لها، فوجدتُها دقيقة ونصف. كانت مدة تكفي وتفيض. قاد جي سي الطريق إلى الممر بالخارج.

10

توزَّعت الكاميرات على مسافاتٍ متساوية عبر الممرَّات، لكن باستخدام هاتفي، تمكنتُ من التقاط أقرب الإشارات. تحركتُ بإيقاع جيد، وبِتُّ أنتظر تحت إحدى الكاميرات بينما هي لا تزال متوقفةً عن العمل، ثم أتحرك سريعًا متجهًا إلى التي تلِيها عندما تتوقَّف عن البثِّ هي الأخرى. جربتُ فتح مقابض الأبواب أثناء مروري، آملًا العثور على بابٍ مفتوح يُتيح لي الوصول إلى جهاز كمبيوتر.

لم يُحالفني الحظ في ذلك، لكن نجوزي لمحت شيئًا ما من خلال نافذة باب أحد المكاتب: خريطة للمنشأة مُعلقة على الجدار الخلفي. التقطتُ صورة، ثم توجهتُ نحوَ مكانٍ بالقرب من زاويةٍ عند بسطة السُّلَّم، حيث اعتقدْنا أننا سنظلُّ بعيدًا عن أنظار أقرب كاميرتَين. توقفتُ هنا لأخذ استراحة، في حين تجمَّعَت جوانبي حول الهاتف لتفقُّد الخريطة. تسارعت نبضات قلبي، وتبلَّل قميصي من العرق بفعل التوتر، لكن لم يعْلُ صوت أي إنذار حتى الآن. ذكرتُ نفسي أن هذا لا يعني شيئًا، وأن أيَّ إنذارٍ سيكون صامتًا، لتنبيهِ الأمن فقط. ومع ذلك، بدا المكان بأكملِه هادئًا على نحوٍ مُخيف. كان خاليًا، لكن تُنيرُه إضاءة بيضاء ساطعة.

أشار جي سي نحو صورة الخريطة المقسمة إلى أربعة طوابق، وقال:

– هناك.

بدا نصٌّ بخطٍّ أكبر بعض الشيء: «زنازين احتجاز واختبار الأفراد».

سألني جي سي:

- هل تريد أن تُراهن على وجودها هناك؟

أومأتُ برأسي. صعدنا السُّلم، وتفادَينا كاميرا في منتصف المجموعة التالية من الدرجات، حتى انتهى بنا المطاف في الطابق العلوي بالقُرب من زنازين الاحتجاز تلك. لسوء الحظ، التقينا هنا بأول حارسَين. اختلستُ النظر من وراء زاوية جدار، ووجدتُهما في الردهة مباشرة. استندا إلى الحائط وقد تدلَّت مُسدسات الصعق الكهربائي من خصرَيْهما، بينما يتبادلان الحديث بهدوءٍ حول كرة القدم.

تراجعتُ، ونظرتُ إلى الممرِّ من خلفي، لكن الخريطة دلَّت على أن ذلك الاتجاه يؤدي إلى طريقٍ مسدود فحسب، عند مكانٍ يُسمَّى مركز التصوير.

تراجعتُ إلى قمة الدرَج، في مكانٍ بعيد عن أنظار الكاميرات. همستُ قائلًا لجوانبي:

- هل لديكم أي أفكار؟

قال جي سي:

- يمكنك التغلُّب على حارسَين.

لا تُوجَد أدنى فرصة لذلك.

قالت آيفي:

- أشكُّ أننا سنتمكَّن من خداعهما بالحديث وتجاوزهما، بالنظر إلى الظروف.

قالت نجوزي:

- حسنًا، يُوجَد مجرًى للهواء هناك، في نهاية ذلك الممر جهة اليسار.

- ضيَّق جي سي عينَيه وقال:

– ليس ذلك الاقتراح مرة ثانية. لن يتَّسع لدخولنا.

– لم أكن أفكر في أن ندخل بأنفسنا ...

***

انتظرتُ وأنا أشعر بالتوتُّر، مُختبئًا على الدرَج، وبالكاد أجرؤ على التنفُّس بينما تردَّد صدى مواء قطة صغيرة في الردهة بالأعلى.

لم يستغرِق الأمر سوى بضع دقائق حتى اقترب الرجُلان، تاركَيْن موقعهما. غلبت عليهما الحيرة، ومرَّا بجوار الدرَج الذي أقف عنده، ثم واصلا الطريق عبر الممر، قبل أن ينعطِفا يسارًا. لم يكن يتعيَّن عليهما مُغادرة موقعهما على الأرجح، لكن ذلك كان طبيعيًّا تمامًا. فمَن عساه لا يهتمُّ بصوت قطةٍ صغيرة ضلَّت الطريق؟

سيجدان الأصوات قادمةً من مجرى الهواء حيث أخفَينا هاتف ساندرا، عند زاويةٍ بعيدًا عن الأنظار، وشغَّلْنا على الهاتف فيديو القطة التي تموء الذي كانت أودري تُشاهده في وقتٍ سابق. كان من الخطير تشغيل هاتف ساندرا، لكننا جعلناه في وضع الطيران، واستخدمنا اتصالَ بلوتوث مباشرًا بينه وبين هاتفي لتحميل فيديو القطة.

سمعتُ الرجُلَين في الممر المجاور، يُناديان القطة داخل مجرى الهواء. تسللتُ خلفهما ودرتُ حول الزاوية. تعالت دقَّات قلبي، ومررتُ أسفلَ لافتةٍ كُتب عليها «منطقة آمنة — احتجاز الأفراد». كنت بحاجةٍ إلى التقدُّم لمسافةٍ أبعدَ قليلًا فحسب. ساندرا. سمعتُ ... سمعتُ صوتها أمامي. تلك الأغنية القديمة التي كانت دومًا ...

أومَضَ كلُّ شيء باللون الأبيض.

ذابت الدهشة في الضوء. تعثرتُ، وصاح جي سي رافعًا مُسدسه وهو يدور حول نفسه. للحظة، أصابنا العمى، ثم اختفى الضوء ووجدتُ نفسي في مكانٍ مختلف تمامًا. بدلًا من الدهشة، كنتُ مُستلقيًا على الأرض في غرفةٍ غير مألوفة. كانت غرفةً كبيرة مفتوحة لها جدران خرسانية، وسقف مرتفع، وإضاءة قوية.

ماذا حدث؟ هل ... هل تمَّ نقلي عن بُعدٍ بطريقة ما؟

وقف أمامي كايل والترز، الرجل الأصلع الرياضي إلى حدٍّ ما، الذي كان يرتدي سترةً رياضية في مدينة الملاهي في وقتٍ سابق. رمشتُ بعيني ونظرت إليه، ثم إلى مجموعةٍ صغيرة من الخبراء الفنيّين الواقفين خلفَه. من أين أتوا؟ وما الذي يحدث؟

قال:

- مرحبًا بك يا سيد ليدز، في مستقبل الجنس البشري.

11

مد كايل يدَه إليَّ لمساعدتي على الوقوف. كان يُحيطه جوٌّ من الود الزائف، ولدَيه ابتسامة رجل سيكون أفضل صديقٍ لديك، خلال الفترة التي يحتاجها حتى يبيعك سيارةً مستعملة لطيفة للغاية.

تحول مُحيطي من ردهةٍ نظيفة، ليصير مستودعًا قديمًا. لم يكن قذرًا، لكن بدَتْ عليه آثار الاستخدام فحسب. كانت الأرضيات خرسانية، وبها بُقَع مغطاة بالسجاد حيث أقيمت محطات العمل. لم يَعُد الجو يعبق برائحة سوائل التنظيف، بل برائحة نشارة الخشب، وعشاء الميكروويف الخاص بشخصٍ ما. لم يبدُ المكان فوضويًّا، بل كان فقط ... حقيقيًّا؟

كان حقيقيًّا، أما ذلك المبنى الآخر، فقد بدا مِثاليًّا على نحوٍ زائد، وربما حتى بدت صورتُه عامةً بدرجة تفوق الحد، مثل ذلك النوع من الشركات التكنولوجية الذي تشاهد الناس يتسلَّلون إليها في الأفلام. عالَم مصطنع مثالي بدرجة زائدة عن الحد. ألم يقُل تشين إن هذا الرجل اشترى شركة ألعاب فيديو؟

لكن كيف جعلني أشعر أنني موجود هناك؟ لم أكن أرتدي أي معدات. سألته:

– ماذا فعلتَ بي؟

– لقد أخذتُك إلى المستقبل يا ستيف!

بدا من الواضح أن كايل لم يكن من ذلك النوع من الأشخاص الذي يسألك أولًا قبل أن يُناديك باسمك الأول مجردًا. واصل حديثه قائلًا:

- لقد أبليتَ بلاءً حسنًا.

قالت واحدةٌ من الخبراء الفنيين الواقفين خلفَه، وهي امرأة صفَّفَت شعرها على هيئة ذيل حصان:

- لم يسبق أن رأينا من قبلُ تلك الحِيلة باستخدام صوت القطة، إنها مبتكرة.

قال آخر:

- كما أنك عثرت أيضًا على الثغرة المتعلقة بعمل الكاميرات. لم ينجح في ذلك حتى الآن سوى المتخصِّصين في مجال الأمن. أما جميع الآخرين، فيُقدِمون على فعل شيءٍ مبتذل، مثل لصق صورة للردهة أمام عدسة الكاميرا.

سألته:

- لكن كيف تمكَّنْتَ من ذلك؟ أنا لا أرتدي سماعةً على رأسي، ولا شيئًا من هذا القبيل. كيف وضعْتَني في ذلك العالم الافتراضي؟

قال أحد الخبراء الفنيين:

- نحن نُفضِّل مصطلح «هولوديك».

قال كايل بسرعة:

- لا، نحن لا نُفضِّله. عليك أن تتجاهلهم. بل نُفضل مصطلحَ مِلكيةٍ لا يحمِل أيَّ أعباءٍ قانونيةٍ أو انتهاك لحقوق الملكية الفكرية.

ضرَبَني على كتفي، ثم أحاطني بذراعِه.

بجانبي، أشار جي سي نحو رَجُلَين يقفان عند جدار، أحدهما ذلك الآخر الذي كان عند عربة النقانق، وكان كلٌّ من الرجُلَين يحمل مسدسًا عيار تسعة مليمتر.

قالت آيفي:

- لا يُعجبني هذا الأمر على الإطلاق. كل ما فعلناه إذن ... التسلُّل، ومراوغة الكاميرات ... لم يكن حقيقيًّا؟

فكرتُ قائلًا: «ولا أنتِ حقيقية، ولا معظم حياتي».

سألتُ كايل:

- هل تُحوِّل الواقع الافتراضي إلى ... سجون؟

قادني كايل وهو يمشي، وقال:

- هذه هي الاستجابة الطبيعية لحوافز السوق حاليًّا. هاك، دعني أُفصِّل لك الأمر. هل تعرف تكلفة إيواء نزيلٍ في السجن لمدة عامٍ في الولايات المتحدة؟

قلت:

- إنها تكلفة مرتفعة، حوالي عشرين أو ثلاثين ...

قال كايل:

- يتكلف الأمر في المتوسط حوالي ثلاثين ألف دولار! كما يمكن أن تصِل إلى ستِّين ألفًا في بعض الولايات، في العام الواحد، لنزيلٍ واحد! وما الذي نستفيده نحن، دافعي الضرائب، من كل ذلك؟ هل يلقى نزلاء السجن على الأقل رعايةً جيدة؟ لا! يتفشَّى العنف بين المجرمين ضد بعضهم، والظروف المعيشية بشعة. كما أن السجون مكتظة بالنزلاء، وتُعاني من نقص الموظفين ونقص

التمويل. باختصار، نحن نُنفِق الكثير على منتجٍ سيئ. ما مدى الذكاء في ذلك؟

- يبدو أن الحل هو التأكُّد من دخول عددٍ أقل من الأشخاص إلى السجون.

- هذه مثاليات رائعة يا ستيف! أنا سعيد لأن لدَينا أشخاصًا مثلك، يغوصون بعُمق في أخلاقيات المواقف المختلفة. لكن بالنسبة إلى العالَم الواقعي، فنحن بحاجة أيضًا إلى أشخاصٍ مِثلي، علاوة على قليلٍ من التطبيق العملي.

- ما زلتَ لم تُخبرني بعدُ كيف غمرتني في ذلك الواقع الافتراضي من دون عِلمي.

قادَني كايل نحو نافذةٍ تطلُّ داخل غرفةٍ صغيرة حيث يرقد رجل في فراش، نائمًا بسلام. تزاحمَت آيفي ونجوزي من حولي، بينما تمسَّك جي سي بالهدوء، وظلَّ واقفًا في الخلف يُحدق إلى حراس الأمن.

أشار كايل إلى الأعلى قائلًا:

- هناك بواعث إلكترونية مُثبتة في السقف، تُمكننا من التفاعل مع الشخص من دون أن يُدرك أنه ينتقِل إلى عالم افتراضي. هذا هو المفتاح: إذا اعتقدوا أنه حقيقي، تصير كل الاحتمالات مفتوحة. هذا هو المستقبل يا ستيف، وهو يُغير النموذج المتعارَف عليه، وينقل اللعبة إلى مستوًى جديدٍ تمامًا.

نظرتُ من النافذة مرةً أخرى، وشعرتُ بالغثيان.

قال كايل:

- في الوقت الحالي، يعمل هذا الرجل على خطةٍ مفصلة للهروب من السجن الذي يعتقِد أنه فيه. لقد قدَّمْنا له أهدافًا محسوبةً بعناية،

وخطواتٍ يمكن التحكُّم فيها، ويُمكنه استغلالها لتُقرِّبَه أكثر وأكثر من الهرب، وهو مُنشغِل بالأمر ويشعر بالإثارة. إنه يعتقد أنه سيفعل، وفي غضون ذلك، فنحن ندفع ما يُعادل أقلَّ من عشرة آلاف دولار سنويًّا لإبقائه هناك.

قلت:

- أهداف محسوبة مثل ماذا؟

قال أحد الخبراء الفنيين:

- ستُوفر خُطتنا الأساسية للسجن عددًا من طُرق الهروب المحتملة. فنحن نعمل على خطٍّ خاص بمهمة تتعلق بحفر نفق، وخطٍّ آخَر لمهمة تتضمَّن إنشاء علاقة صداقة مع الحراس، وثالثٍ يتضمَّن الهرب باستخدام حاويات الغسيل. أو إذا كان السجين يُفضِّل هذا، فسوف يصير قادرًا على أن يصير زعيم السجناء، حيث يُسيطر على الفصائل المختلفة، وينتقل في النهاية إلى جناحٍ داخل المؤسَّسة ليحيا كالملك.

سألتُ آيفي:

- وماذا عن ضمور العضلات؟ وقُرَح الفراش؟ يُمكنني التفكير في عشرات المشاكل المتعلقة بهذا الموضوع.

كررتُ اعتراضاتها، فابتسم كايل ابتسامةً عريضة، وقال:

- أنت ذكي للغاية يا ستيف. نحن نعمَل على هذه الأمور، ولدَينا بواعث إلكترونية تسمح للجسم بالتحرُّك بينما يعتقد الدماغ أنه موجود في العالَم الحقيقي. من الناحية المثالية، سنتمكَّن من استخدام مزيجٍ من التفاعُل الخامل والبدَني، لخلق حلٍّ قابل للتطبيق لسجنٍ مُستدام وصديقٍ للبيئة ويُراعي الجوانب الصحية.

- لعبة فيديو للنزلاء.

- هذا، وأكثر من هذا بكثير! في برامج المحاكاة التي نُجريها، يشعر السجناء بالرضا بزيادة قدرِها عشرة أضعاف. أجل، كانت شركات الألعاب رائدةً في هذه التكنولوجيا، لكن لم يطرح أحدٌ أهمَّ سؤالٍ على الإطلاق.

- وما هو هذا السؤال؟

- كيف يُمكننا أن نجعل الحكومة تستثمِر الكثير من المال في هذا المجال؟

ابتسمَ كايل ابتسامتَهُ الواسعة، التي بدا أنه يرسُمها على وجهه كثيرًا، وواصل قائلًا:

- إن السجن موضوع بغيض بالنسبة إلى عامَّة الجماهير، ولا يريدون التفكير فيه أو التعامُل معه. لا أحدَ يريد سجنًا بالقُرب من منزله، لكن الجميع يريدون أن يتولَّى أحد أمر «أولئك الأشخاص». حسنًا، يُمكننا أن نتولَّى أمرَهم.

قرَع كايل النافذة بمؤخرة يدِه، وتابع الحديث:

- في الوقت الحالي، لا يُمكننا سوى محاكاة سجنٍ بسيط، لكن لدَينا خُطط. ماذا لو تمكن سجين من الهروب إلى العالَم الافتراضي، من دون أن يعرِف أنه في محاكاة؟ يُمكننا مُراقبته لنرى ما إذا كان سيعود إلى حياة الجريمة. إذا فعل ... حسنًا، سندَعُه يعيش في عالَمه الخاص من الرذيلة، من دون أن يتمكَّن من إيذاء أحد، لكن إذا اتضح أنه أُعيد تأهيله، أو ربما كان بريئًا منذ البداية، فيُمكننا إطلاق سراحِهِ فحسب. إنه نظام مثالي.

همستُ قائلًا:

- إنه زائف.

- أيهما تفضل العيش فيه؟ السجن الزائف الذي تعتقِد أنك حُر فيه، أم السجن الحقيقي حيث تقضي كلَّ يومٍ في كدٍّ؟ بصراحة، عندما يتمُّ تشغيل هذا المشروع، سيتوسَّل الناس إلينا للسماح لهم بالدخول.

ضيقَّت آيفي عينَيها وهي تقرأ كايل، ثم قالت:

- ومع ذلك، فهناك مشكلة ما، أليس كذلك؟ اسأله عن سبب احتياجه إليك.

- إذا كان الأمر رائعًا إلى هذا الحد، فلماذا اختطفْتَ ساندرا؟

- اختطفتُها؟ إن ساندي هي التي أتت إلينا يا ستيف، واقترحتْ علينا التواصُل معك.

- كان بمقدورك أن تُرسِل إليَّ رسالة.

- لقد أرسلنا سبعًا.

ترددتُ قائلًا:

- سبعًا؟

قال جي سي:

- ربما يَجب علينا الردُّ على رسائل بريدنا الإلكتروني بين حينٍ وآخر، ولو حتى من أجل الأيام الخوالي.

تنحنح كايل وقال:

- حاوَلْنا التواصُل من خلال بعض الأشخاص الذين تعرفهم للَفْتِ انتباهك، كما حاولنا الاتصال بك، حتى أننا أرسلنا جيري ليطرق بابك.

قال الخبير الفني:

- لم تكن على استعدادٍ لاستقبال عملاء جدد، ولم أتمكن من تجاوز البوابة.

انقضت فترةٌ طويلة منذ أن توليتُ قضية، وكان لدى العاملين بالمنزل تعليمات بالتخلُّص من الملتمسين.

اقتربتُ من النافذة، ونظرتُ إلى السجين. كان مُستلقيًا بعينَين مُغمَضَتَين وهو نائم، إلا أنه كان مُستيقظًا في مكانٍ آخر. سألته:

- هل ساندرا في إحدى هذه الغرف؟

- أجل، لكن دعْنا لا نتطرَّق إلى ذلك الآن. لقد سألت ما هي المشكلة في نظامنا، حسنًا، هناك بعض الأخطاء. لقد اتضح أن العقل البشري بارع للغاية في الانتباه إلى التفاصيل الخاطئة، وهناك الكثير جدًّا من التفاصيل التي يجِب أن نُوليها العناية لتكون صحيحة، في حين أنَّ قوة المعالجة اللازمة لمحاكاة الواقع هائلة، لذا نؤدِّي المهمة على نحوٍ سيء، وتتراكم العيوب. يستمر الأشخاص العاديون لبضع ساعات تقريبًا في المحاكاة، تبعًا لكيمياء دماغهم.

قالت الخبيرة الفنية:

- يرفض الدماغ الواقع الافتراضي في نهاية المطاف، بنفس الطريقة التي قد يرفض بها الجسد عضوًا مزروعًا.

قال كايل:

- ينهارُ كلُّ شيء، ويخرجون من ذلك الواقع الافتراضي، ولا يُمكننا إعادتهم إلى الاندماج في المحاكاة قبل مُضيِّ يومَين أو ثلاثة.

توقَّفَ عن الحديث لحظة، ثم تابع قائلًا:

- إن الرقمَ القياسيَّ الذي حققَتْه ساندي في المحاكاة حتى الآن هو سبعة وثمانون يومًا مُتتاليًا.

أطلق جي سي صفيرًا بصوتٍ مُنخفض.

قال أحد الخبراء الفنيين:

- لقد خرجتْ منه ثانيةً صباح اليوم، وذهبتْ في رحلة قصيرة إلى أرض الملاهي للاتصال بك. أرادت القيام بذلك بنفسها. بمجرد انتهائها من الحديث إليك في وقتٍ سابق، طلبتِ العودة مرةً أخرى. وقد اندمجتْ مع المحاكاة على الفور، كما تفعل دومًا.

قال كايل:

- إن عقلَها يُعوض الفجوات الكائنة في برامجنا، بطريقةٍ ما. يُمكننا نقل الأفكار العامَّة إلى ساندي، فتُشكِّل هي الباقي وتُضيف التفاصيل. نحن بحاجةٍ إلى اكتشاف كيفية قيامها بهذا، لأن ذلك قد يكون المفتاح. إذا تَمكنَّا من جعْل أدمغة الأشخاص لدَينا تبني واقعها الخاص، فلن نحتاج إلى محاكاة الأشياء بالتفصيل، بل سنتمكن من توجيهِهم فقط إلى الاتجاه الذي نُريده، ونترك عقولهم تتكفَّل بالعمل الشاق.

قال أحد الفنيين:

- أنت مثلها تمامًا. لقد شغَّلنا برنامج المحاكاة في اللحظة التي تسلَّقَت فيها عبر النافذة، فدمج دماغك الواقع الحقيقي مع واقعِنا المزيف، وتولَّى ملء التفاصيل التي أخطأناها أو التي كانت بجودةٍ منخفضة للغاية. بصراحة، فإن عقلك مذهل للغاية.

فركتُ رأسي، وتذكرتُ عندما اصطدمتُ بذلك الرفِّ خلالَ دخولي عبر النافذة. كنت قد شاهدتُ وميضًا أبيض. هل كانت تلك هي اللحظة؟

توجَّهَتْ نجوزي نحو أقرب محطة من محطات العمل، وأخذت تتفحَّص المعدَّات، لكنني لم أكن متأكدًا مما سيُمكننا اكتشافه من دون وجود تشين هنا؛ بل قد يفوق هذا نطاق خبرته حتى. إسقاط الهلاوس الشاملة لاسلكيًّا في الدماغ مباشرة؟ بدا هذا مُلائمًا لمستوى علوم أرنو في الفيزياء النظرية.

نظرتُ جانبي، لمعرفة رأي توبياس في الموقف، لكن لم يكن توبياس هناك. لم يعُد له وجود.

قالت آيفي:

- إنهم بحاجةٍ إلى عقولنا إذن. بوسعك خلق واقعك الخاص يا ستيف، وهم يرغبون في معرفة كيفية ذلك.

قلت:

- لكن لدَيهم ساندرا بالفعل، فلماذا يحتاجونني؟

قال كايل:

- فلتُحاول فَهم مرضٍ ما من خلال مريضٍ واحد فقط، أو إجراء اختبارٍ لأحد العقاقير على شخصٍ واحد فحسب. أنت اكتشاف نادر للغاية يا ستيف، وعقلك يُساوي الملايين. كل ما أريده هو أن تقضي بعض الوقت في المحاكاة. بضع سنوات، على الأكثر.

بضع سنوات؟

قلت:

- هذا مُستحيل. أنا ثري بالفعل. ما الذي يمكنك تقديمه لي كي أعيش داخل صندوقك؟

قال كايل:

- لقد تحرَّرَتْ ساندرا من جوانبها.

نظرتْ إليَّ آيفي بحدَّة.

ابتسم كايل قائلًا:

- أرى أنك مُهتم. أجل، لقد سألْتَنا ما إذا كان بوسعِنا إيقاف الهلاوس، وإنشاء واقع تتحرَّر فيه منهم.

بدا عليه التردُّد، ولمحتُ ما ظننتُ أنه دليل على الانزعاج من جانبه، قبل أن يواصل حديثه:

- لم ... لم تسِرِ الأمور على النحو الذي توقعناه.

قال أحد الفنيِّين:

- عندما وضعناها داخل المحاكاة، أضافت إلى البرمجة، وجعلت جوانبها تظهر، وتتفاعل مع العالَم الذي خلَقْناه. أضافت ساندرا واقعًا آخر، إلى جانب واقعنا الافتراضي، وعدَّلَت شفرة البرنامج. لكنها أرادت التخلُّص من جوانبها ... وقد اتَّضح أنه يُمكننا المساعدة في ذلك.

جعلني شيء ما، في نبرة صوتِه، أرتجِف.

قال كايل:

- على أي حال، لقد أفادتنا ساندي للغاية، فهي تُرينا كيف يُغير الدماغ واقِعَه. لسْنا متأكِّدين تمامًا من سبب أو كيفية تفاعُل برامجنا مع جوانبها، لكنها تفعل، ولقد حصلنا على أشكالٍ كثيرة من التفاعُلات الشَّيِّقة بين تقنياتنا ودماغها. هناك شيءٌ واحد مؤكَّد، وهو أننا نستطيع مساعدتك على التحرُّر منهم، مثلما أصبحَتْ هي. لا مزيدَ من الجوانب، ولا مزيد من الكوابيس، ولا مزيدَ من الأصوات.

بدا الذعر على آيفي، لكنَّ عينَي جي سي التقتا بعينَيَّ وأومأ برأسه، إذ إنه لم يُرِد على الإطلاق أن يكون أحد جوانبي، وكان بوسعه فَهم كيف يتمنَّى جزءٌ منِّي أن تكون الأمور ... طبيعية.

قلت:

– دعني أتحدَّث إلى ساندرا.

جفل كايل، وقال:

– انظر، ها هي المشكلة الآن، فهي البطاقة الرابحة الوحيدة التي أمتلِكها في هذا الرهان بالتحديد، وبالتأكيد يُمكنك أن تتفهَّم أنني لا أستطيع التخلِّي عنها من دون شيءٍ في المقابل؟ انظر، لنعقِدَ صفقةً سريعة، ولنتصافح. امنحني بضعةَ أيامٍ لجمع البيانات، ودعْني أُثبت لك أنني أستطيع خلقَ واقعٍ لا تكون لدَيك فيه أي جوانب. في المقابل، سأتركك تتحدَّث إلى ساندرا.

قالت آيفي:

– إنه ثعبان يا ستيف. لا أُصدِّق أنك تفكر حتى في هذا الموضوع. لماذا نستمع إليه؟

أغمضتُ عينيَّ، لكن الأمر بدا مُغريًا على نحوٍ غريب. في المرة الأخيرة التي حاولتُ الابتعاد فيها، أتت جويس تشكو أنني لا أصطحِبها أبدًا في أي مهمَّات، واتَّصل بي أرماندو سبعَ عشرةَ مرة، كما وجدتُ إيفانز في الخزانة يشرب زجاجة نبيذ الفندق، وعلاوة على كل ذلك، ظهر جي سي «على سبيل الاحتياط».

اكتظَّت حياتي بالأشخاص المزيَّفِين، حتى لم يعُد لديَّ مكانٌ لأي شيءٍ أو أي شخصٍ آخر. لكن تلك النظرة في عينَي آيفي، وهذا العرض

... لن يمنحَني سوى طبقةٍ أخرى من الزيف. لن أكون طبيعيًّا، لأن لا شيءَ من ذلك سيكون حقيقيًّا.

استدرتُ مُبتعدًا، وقلت:

- لا يُوجَد أي اتفاقٍ بيننا.

انضمَّت إليَّ جوانيي الثلاثة وأنا أتوجَّه نحو الباب الأمامي للغرفة الكبيرة الخالية.

تنهَّد كايل وقال:

- حسنًا، جيري، جرِّب عليه برنامج العزل.

استدرتُ قائلًا:

- لا يمكنك ...

- ستيف، لقد اقتحمتَ شركتي. أنت الذي تعدَّيْتَ على أملاك الغير. لديَّ كل الحقِّ في احتجازك لبعض الوقت، للتأكُّد من أنك لا تُمثِّل أيَّ خطر، حتى وصول السلطات.

ابتسم وهو يتابع قائلًا:

- في المرة القادمة، ربما يتعين عليك ألا تعبث مع الرجل الذي يمتلك السجن، حرفيًّا.

اندفعتُ نحوَه، لكن الغرفة أومضت باللون الأبيض.

تعثرتُ فوق صخرة، وارتطمتُ بالأرض. كنَّا على شاطئ رملي، والأمواج تتمايل بهدوء على يميني، بينما تقع على يساري غابة. تعثَّرَت جوانيي حولي، وقد أمسك جي سي بمُسدسه في يده، بينما أخذَتْ نجوزي تلهث في رُعب لوجودها فجأة في مكانٍ مفتوحٍ وحشيٍّ إلى هذا الحد.

كنا على جزيرة مهجورة.

12

صرخ جي سي:

- ذلك الحقير! ذلك الوغد! إنه يتسلّى بدراستنا!

ساعدَتْني آيفي للوقوف على قدَمي، لكنني واجهتُ صعوبةً في أن تلتقي عينيَّ بعينَيها. جلستُ على صخرةٍ بجوار الماء، وقد غمرني الإرهاق. كنت مُتعبًا للغاية. تعبتُ من كوني موضوعًا للاختبار، وتعبتُ من تخيُّل عالَم حيث يعيش الجميع ولدَيهم أصدقاء ويقعون في الحُب ويزورون أُسَرَهم، ما عدا أنا.

تعبتُ من كوني مديرًا وسيطًا لإدارة وجودي ذاته.

صاح جي سي:

- لا أُصدق هذا! لا أستطيع ... هل أنتِ بخير يا نجوزي؟

هزَّت رأسها قائلة:

- لا، هذا مُروِّع. أين قفازاتي؟

شرعت تبحث في جيوبها.

قال جي سي:

- أجل، لكن، لا يُوجَد أي أشخاصٍ هنا، أليس كذلك؟ لذا لا تُوجَد جراثيم.

قالت:

- باستثناء حقيقة أننا لسْنا على شاطئٍ بالفعل! إننا في ذلك المستودَع الكريه الرائحة، بجوار طاولةٍ يعلوها ستُّ عبواتٍ قديمة من الطعام الصيني، وسوف ينتهي بي المطاف بلمس واحدةٍ منها بطريق الصدفة.

نظرَت آيفي نحو جي سي وقالت:

- ماذا نفعل إذن؟

قال:

- لا تنظري نحوي أنا، كل ما أعرفه هو كيفية إطلاق النار على الناس، وإطلاق النكات البارعة.

قالت آيفي:

- دعك من هذا، إنَّ نكاتك ليست بارعة على الإطلاق.

أسندتُ رأسي بين كفَّيَّ، ونظرتُ إلى موجةٍ قادمة وشعرتُ ببوادر صداعٍ شديد قادم.

قالت آيفي:

- أعتقد أن ستيف سيشعر بالتوعُّك لبعض الوقت. قد نحتاج إلى حلِّ هذه المشكلة بأنفسنا. نجوزي، هل لدَيكِ أي أفكار؟

قالت:

- حسنًا، ثمة آثار أقدام على الرمال هناك. قد تكون واحدةً من «خطوط المهام» التي تحدَّث عنها الخبراء الفنيون.

راقبتُ الموجةَ وهي تتدحرج وتودِع بعضَ الرمال على الشاطئ، ثم تتلاشى. ستُسحَب كل تلك الرمال بعيدًا مرةً أخرى عندما يتغيَّر المد، ثم تعود ثانية. ألف نسخة مصغرة من سيزيف، تتكرَّر حتى تؤول الرمال إلى العدم.

اقتربَتْ منِّي آيفي قائلة:

- ستيف، سوف نتتبَّع آثار الأقدام تلك، وسنعود خلال دقائق. هل ستكون بخير؟

لم أُحِر جوابًا.

- فلتبقَ هنا فحسْب، اتفقنا؟

ساروا مُبتعدين، ولاحظ جزء منِّي أنهم يتصرفون بغرابةٍ بعض الشيء. لم يسبق وأن تركوني تقريبًا من قبل، لكنهم قرَّروا الذهاب للاستكشاف الآن؟

فكرتُ أنهم قد يكونون مُتحمِّسين لقُدرتهم على التفاعل مع هذا العالم. كل شيء مُزيف هنا، لذا ربما يكون ذلك أفضل بالنسبة إليهم.

أم ... هل كان كايل سيفعل بهم شيئًا ما؟ كي يثبت أنه يستطيع أن يتركني هنا بمفردي؟ إلى متى سيَحتجزني هنا؟ وإلى متى يُمكنه ذلك؟

قبضتْ يدٌ قوية على كتفي، فقفزتُ واستدرتُ لأجد لوا واقفًا خلفي. لوا! كان قد اختفى من القصر، وتحوَّل ليُصبح كابوسًا.

صرختُ واندفعتُ من فوق الصخرة، مُبتعدًا عن قبضته، وسقطتُ وسط الأمواج المندفعة. خضتُ في الماء، ووقفتُ على قدمي وأنا غارق تمامًا، وقد أمسكتُ بهاتفي- لسببٍ ما لم أكن لأستطيع التعبير عنه على الإطلاق- كما لو أنه سلاح. حينها فقط، أدركتُ أن هناك شيئًا ما خطأ. لم يكن لوا يبدو وكأنه كابوس، إذ لم تكن لدَيه تلك العينان الميِّتتان ولا الملامح الغائرة، بل بدا على نفس صورته الطبيعية.

عقد الرجل الضخم القادم من ساموا ذراعَيه وقال:

- معذرة يا زعيم، لم أقصد التسلُّل ومفاجأتك.

كان يرتدي سروالًا من الجينز، وقميصًا من قماش الفلانيل شمَّر أكمامه. تفقَّد السماء، ثم الغابة، ثم الصخرة التي كنتُ أجلس عليها. قال:

- جزيرة مهجورة، دونًا عن كل الأماكن التي كان يمكن أن ينتهي بك المطاف فيها.

- إنها ... إنها ليست حقيقية.

ضحك قائلًا:

- وما هو الحقيقي؟

لم يسبق وأن ضحك بصوتٍ مرتفع أبدًا، لكن لم يسبق أيضًا وأن رأيتُه غاضبًا على الإطلاق. في الواقع، كان من الصعب بالنسبة إليَّ أن أتخيَّله على أنه كابوس، مثلما أصبح أرماندو.

قال لوا:

- لقد حافظوا على كل الصور المبتذلة، على الأقل. هذا الخليج مُستوحًى مباشرة من أحد أفلام ديزني اللعينة، كما أنه يتضمَّن- أجل- ساريةَ سفينةٍ غارقة. هناك دقَّات طبول قبلية في الخلفية، وآثار أقدام غامضة. هل تُراهن أننا إذا بدأنا في الحفر، سنعثر على صندوق كنزٍ في مكانٍ ما على هذا الشاطئ؟

توجَّهَ نحو الغابة وهو يواصل الحديث:

- حسنًا، لنُخرجك من هنا.

اندفعتُ خلفَه عبر الشاطئ قائلًا:

- أخرج؟ كيف؟

قال:

- لقد ألمحوا في وقتٍ سابق إلى أنهم لا يستطيعون أن يخلقوا سوى مساحةٍ صغيرة فحسب، مثل بنايةٍ على الأكثر. لذا أعتقد أننا إذا أخرجناك إلى الماء، بعيدًا عن الجزيرة نفسها، فسوف يتداعى كل شيء.

شرع يجذب بعض النباتات المعترشة المتدلِّية من إحدى الأشجار.

قلت:

- لوا، كيف عرفتَ ما قالوه لي في وقتٍ سابق؟ لم تكن موجودًا هناك.

- أنا أعرف ما تعرفه أنت يا زعيم، كما أنك تعرف ما أعرفه أنا.

- لا تسير الأمور على هذا النحو.

- لماذا؟

قلت:

- لأن هذه هي الطريقة التي أُحافظ بها على عقلي، وهذه هي الطريقة التي رتَّبَتْ بها ساندرا الأمور.

شخر لوا قائلًا:

- وهل نجح ذلك معها؟

جثا على رُكبتَيه ولوى النباتات المعترشة ليزيد من قوَّتها، ثم لفَّها حول طرف قطعة حطبٍ صغيرة سقطت أرضًا.

- لوا، أنت تخرق القواعد، ولم أجلبك معي في هذه المهمة.

استمرَّ في لفِّ النباتات المعترشة حول قطعة الحطب، ثم ثبَّتها في قطعة حطبٍ أخرى جذبها من بين الأدغال. قال بهدوء:

- عليك أن ترى ما هو حقيقي يا زعيم.

تراجعتُ إلى الخلف. كان هذا هو ما قاله أرماندو. مددتُ يدي نحو عصا، لأستخدمها كسلاح، وجذبتُها، لكنها كانت عالقةً وسط الأدغال.

أصبح لوا شفَّافًا بعض الشيء، كما لو أنه ليس موجودًا بالكامل. قال بينما هو يواصِل العمل:

- لدَينا أساليب مختلفة لمحاولة جعلك تواجِهُ الحقيقة. لطالما كان أرماندو مجنونًا بعض الشيء، لذا كان لدَيه أسلوب مجنون.

ألقيتُ نظرةً خاطفة على الاتجاه الذي ذهب فيه الآخرون. لم أرغب حقًّا في الوجود بمُفردي برفقة كابوس مُحتمَل.

قال لوا:

- لا تُلقِ لهم بالًا. لقد أخذوا يندمجون مع المحاكاة، أتدري؟ ويُحاولون مُسايرَتَها.

جذَبَ قطعة الحطب، وانتزع من بين الأدغال قاربَ كاتاماران مُكتمِلَ البناء، مُشيَّدًا من الحطب والنباتات المعترشة، وقال:

- إنها ليست أفضل ما صنعته على الإطلاق، لكن لا بأس بها، بالنظر إلى ما توفَّر لديَّ للعمل به.

فغرتُ فمي؛ إذ كان هذا خرقًا خطيرًا للقواعد.

واصل قائلًا:

- أنت من تصنع القواعد هنا يا زعيم.

كان لا يزال بوسعي الرؤية من خلاله، وبات لديَّ انطباع واضح أنني أستطيع رؤيةَ أرضيةٍ خرسانية وبعض المكاتب وأجهزة الكمبيوتر من خلال هيئته، كما لو أنه نافذة.

كانت هناك أصوات.

- لقد نهض وشرع يسير. توقف الدماغ عن قمْع حركته، حتى عندما نأمُره بذلك. هذا أمر جديد.

- كيف تبدو القراءات؟

- إنها مُثيرة للاهتمام. تبدو مختلفةً تمامًا عن ساندرا، ومختلفة تمامًا عمَّا كانت تبدو عليه حينما اقتحم المكان. لكن هذه القراءات تعني أنه يُضيف جوانب إلى المحاكاة. من المفترَض أن يكون البرنامج قادرًا على التفاعُل معهم، مثلما تفاعَلْنا مع جوانب ساندرا.

قلت للوا:

- أستطيع العيش هنا. يُمكنني السماح لهم بخلق واقعي، وبوسعي ... مسايرتُه فحسب.

ابتسم قائلًا:

- أليس هذا هو ما تفعله على أي حال؟

ثم التفت ولوَّح إلى الثلاثة الآخرين الذين يسيرون عائدين عبر الشاطئ. أشار نحو القارب، وبدا عليه الفخر الشديد.

قلت:

- لوا، ما الذي يَعنيه كلُّ هذا؟ لماذا يحدث لي هذا؟ وكيف أمنعه؟

- هل تعتقد أنني أعرف الجواب؟ أنا ما خلَقْتَنِي لأكونه: الرجل الذي يستطيع إخراجك من جزيرة، وفي النهاية، فنحن جميعًا نحاول مساعدتك فحسب.

وقف خلف القارب، ومال عليه بثقلِه، ثم دفعه فوق الرمال باتجاه الماء.

وصل جي سي وآيفي، وساعَدَاه على دفع القارب، بينما تذمَّرت نجوزي من أنَّ مياه البحر «مليئة بالحيوانات». في النهاية، صعدتْ على

متن القارب، ثم انضمَّ إليها جي سي وآيفي، واستعدَّ لوا لدفع القارب لباقي المسافة نحو الماء. لوَّح لي مشيرًا إلى المقعد الأخير على متن القارب.

خطوتُ وسط الماء الدافئ، وقلت:

- يُمكنهم وضعي داخل عالَمٍ افتراضي آخر فحسب، إذا هربتُ من هذا العالم.

قال لوا:

- لا، سوف يمكنك أن ترى من خلاله.

قلت:

- هذا جنون، فلا يُمكنني حتى رؤية ما هو حقيقي في غرفة نومي.

- فلتُخبرني، من هو الأقوى، يا زعيم؟ الرجل الذي لا يذهب إلى صالة الألعاب الرياضية على الإطلاق، أم الرجل الذي حاول التمرُّن بأفضل ما في وسعه بالأمس، وفشل في ذلك؟

دفعني نحو القارب، وبدا أكثر شفافيةً من ذي قبل.

جلستُ، ثم أدركتُ أن هناك أربعة مقاعد فقط، وقلت:

- ألن تأتي؟

دفع القارب دفعةً قوية، وقال:

- عليَّ البقاء هنا الآن، إذ إنني خرقتُ الكثير من القواعد. لكن لا تقلق بشأني، فلديَّ وظيفة يومية.

غمز بعينِه وهو يُتابع الحديث:

- أعمل في مركز الاتصال التابع لإحدى شركات التأمين. إنها وظيفة مُملَّة عادية.

دفعنا إلى الماء، ثم لوَّح لنا بينما تناولنا المجاديف وشرعنا نجدف. راقبتُه وهو يختفي، وأعددتُ نفسي لذلك الشعور بالتمزُّق، وخسارة المعلومات

والمعرفة. لكن الأمر بدا هذه المرة أشبَهَ بـ ... خفوت تدريجي، مثل الخلود إلى النوم.

لم تستمرَّ المحاكاة سوى لعشرين قدمًا بالكاد، وراء الخليج الصغير. ظللْنا نُجدِّف للحظة، ثم عُدْنا في اللحظة التالية لنقِف نحن الأربعة داخل المستودع. رفعتُ يدي كي أمسح الدموع من عيني.

تذمَّر جيري، الخبير الفني، من مكانه عند أجهزة الكمبيوتر، وقال:

- كان ذلك مُروعًا. لم يتَّبع أيًّا من مسارات البحث، بل حطَّم كل شيء فحسب.

تذمَّرَت الخبيرة الفنية قائلة:

- كل ذلك القدْر من العمل الشاق، ضاع هدرًا.

قال كايل:

- إن جوانبه تُساعده على الغش، لذا سنُضطرُّ إلى التخلُّص منهم. سيُصبِح عاجزًا من دونهم.

قلت:

- لا، اسمع، أنا ...

قال كايل:

- لا تقلق يا ستيف. إنهم ليسوا أشخاصًا حقيقيين، فلا تُوجَد خسارة فعلية. شغِّل سيناريو العصابة يا جيري.

أومضت الغرفة باللون الأبيض، فبِتنا نقِف في صالة قمارٍ من الطراز العتيق، بجوار عجلة روليت دوَّارة.

اقتحم رجل الباب صائحًا:

- لقد وصل سالامندر الكبير! من الحكمة أن ...

اخترق الرصاص الباب، ومزّق جسد الرجل. تهاوى على الأرض، فيما اندفع رجالٌ إلى الغرفة وبدءوا في إطلاق النار على الناس بصورةٍ عشوائية.

13

سقطتْ آيفي أولًا. تشبثتْ بذراعي وهي تنظر إلى جرح الرصاصة في بطنِها، ثم أخذتْ تنزلِق إلى الأسفل.

جثوتُ على رُكبتي إلى جوارها صارخًا:

- لا، لا، لا!

دمَّرت الطلقات النارية الغرفة، واندفعت نجوزي للاحتماء، لكن رصاصةً أصابت جَبهتها، فتهاوت. ركل جي سي طاولةً وقلبها، ثم قبض على آيفي وسحبَها خلف الطاولة.

هرعتُ نحوَهما، بينما تناثرت شظايا الخشب من الطاولات المجاورة بفعل الرصاص. تعالت صرخات الناس، لكن جي سي لم يُبادر بإطلاق النار هذه المرة. ضغط بيدِه على جرحِ آيفي وقال:

- اسمعي، مَهلًا، ابقَيْ معنا يا آيفي.

همستْ قائلة:

- ستيف! ستيف!

جثوتُ بجوار الطاولة المقلوبة.

قالت لي:

- عليك أن تَعِدني بأنك لن تتخلَّى عن البقية، وأنك لن تدعنا ننتهي على هذا النحو.

همستُ:

- أعدكِ بذلك.

ابتسمتْ وقد تلطَّخت شفتاها بالدماء، وقالت:

- كانت تلك كذبة.

أومأتْ برأسها نحو جي سي، وحاولتْ الجلوس، فساعدها على ذلك، ثم قبَّلتْه، قبلةً أخيرة حميمية، وسط وابلٍ من النيران. لم تُفِدْ طاولتنا كثيرًا، حيث اخترقت رصاصةٌ الخشبَ مباشرة، وأصابت كتِف جي سي، لكنه استمرَّ في القبلة حتى رحلت آيفي.

أنزل جسدَها على الأرض بوقار، ثم نظر إليَّ وذراعُه تنزف، وقال:

- سيتعين عليك التعامُل مع هذا بمفردك يا سكيني.

- لا أستطيع يا جي سي، لا يُمكنني ذلك.

- بالطبع يُمكنك ذلك، فقد كان لدَيك مُعلم رائع.

- لا ...

- لماذا تظنُّ أنني عملتُ على تدريبك طوال هذا الوقت؟ كنت أعرف.

نقر رأسه بإصبعه وواصل قائلًا:

- انظر إلى ما هو حقيقي. يمكنك القيام بذلك.

- جي سي ...

رفع قبضته نحوي وقال:

- لجلْب حُسن الطالع.

رفعتُ قبضتي، وضربتُ بها قبضته. ابتسم ابتسامةً عريضة، ثم سحب مُسدسًا من جرابٍ أسفل ذراعه، ومُسدسًا آخر من جرابٍ خفيٍّ مربوط إلى كاحلِهِ الأيمن، ونهض واقفًا.

أصابتْهُ حوالي مائة طلقة دفعةً واحدة، وانهار على الأرض من قبل أن يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة.

صرختُ قائلًا:

- لا! لا!

أطلقتُ صراخًا خشِنًا مؤلِمًا، وأنينًا مليئًا بالألم والإحباط، والغضب. تأرجحتُ على قدمَيَّ إلى الأمام والخلف، فيما دمَّر الرصاص الغرفة، لكنه لم يؤذِني، إذ إنه لم يكن حقيقيًّا.

ليس ... حقيقيًّا.

أصبح الأشخاص الذين يُطلقون النار شفَّافين إلى حدٍّ ما. الشظايا المتطايرة من الطاولة، ورقائق القمار المنسكبة، والجثث المتساقطة ... كلها تلاشت. أصبح هدير طلقات النار أزيزًا، وسمعتُ مكانَه أصواتًا.

- نحن بحاجةٍ إلى معرفة السبب وراء كونِهِ لا يزال واقفًا ومُستمرًّا في التحرك.

- ربما يُمكننا تقييدُه.

كان بإمكاني رؤيتهم وقد تجمَّعوا لمراقبتي. بدَوا كظلال تلُوح في الأفق، باستثناء رجلٍ واحد عند المكتب الذي تعلوه أجهزة الكمبيوتر. فكرتُ قائلًا: «تشين، أنا بحاجةٍ إليك».

نهضْتُ واقفًا، ثم تظاهرتُ وانحنيتُ راكضًا عبر صالة القمار، كما لو أنني أُحاول تفادي طلقات الرصاص. جعلني هذا قريبًا من مكتب الكمبيوتر في العالم الواقعي.

تلاشت صالة القمار الافتراضية أمام عينيَّ بدرجةٍ أكبر، وبات بوسعي رؤية تفاصيل العالَم الحقيقي. ارتسمَتْ على شفتَيّ كايل ابتسامةٌ واسعة،

وكأنه مُستمتِع برؤية مدى عجزي. اقترب حارسا الأمن، وقد أحسَّا بالقلق ربما من أن أتسبَّب في الأذى لنفسي، أو أُتلِفَ شيئًا ما أثناء حركتي.

وصلتُ إلى شاشة الكمبيوتر.

سمعتُ تشين يقول في أذني:

- أجل، هذا سهل. إنها ليست واجهةَ مُستخدِم سيئة، بالنسبة إلى ما يبدو وكأنه موديل قديم.

قال أرنو:

- هناك بواعث إلكترونية مُمتدَّة بطول سقف هذا المستودع، في الغرفة بأكملها.

قال تشين:

- انقُر زرَّ الإرسال ذاك، وغيِّر الهدف من «هدف واحد» إلى «الغرفة بأكملها». هل ترى ذلك الصندوق الذي به علامة أسفل الشاشة، المكتوب عليه «وضع التصحيح»؟ أقترح إيقافَه، فقد يَمنعهم ذلك من استغلال أيِّ منافذَ خلفية صنعوها لإخراج أنفسهم من المحاكاة. أتمنَّى لك حظًّا موفقًا.

اندفعتُ نحو الكمبيوتر، ودفعتُ جيري جانبًا، ونقرتُ الأزرار التي أرشدني إليها تشين.

انقضَّ نحوي الحارس الذي كان عند عربة النقانق، لكنه كان أبطأ من أن يتمكَّن من منعي. صِرنا جميعًا هناك على الفور، كايل، والحارسان، وجيري، وباقي الخبراء الفنيِّين. وقفْنا في صالة القمار تلك، مُحاطين بالأموات. كان رجال العصابة قد توقَّفوا عن إطلاق النار، وشرعوا يُفتِّشون الحطام.

قال جيري:

- يا إلهي!

هرول بحثًا عن أجهزة الكمبيوتر التي اختفت الآن، لكنه لوَّح بيدَيه في الفراغ فحسب.

- يا إلهي!

قبض حارس عربة النقانق على ذراعي، وقال:

- لن ينجح هذا في تحقيق أي شيء، فأنت ما تزال في سجننا.

انحنيتُ وأنا في قبضته، وألقيتُ نظرةً نحو جي سي، الملقى ميتًا على الأرض. غمغمتُ بشيءٍ بهدوء.

هزَّ الحارس ذراعي قائلًا:

- ما هذا؟ ماذا قلت؟

تمتمتُ بصوتٍ أعلى:

- هذا ليس سجنكم، بل هو ملكي أنا.

اندفعتُ مُنتصبًا، وضربتُ أنف الحارس بمؤخرة رأسي. وبينما كان يصرخ متألمًا، استدرتُ وأمسكتُهُ من ذراعه، وقلبتُه ثم ألقيتُه أرضًا. وقفتُ مرةً أخرى وبحوزتي مُسدسه، ومددتُ يدي مُمسكًا به بعد أن حررتُ زرَّ الأمان، تمامًا كما علَّمني جي سي.

شكرًا.

ضغطتُ الزناد، وأطلقتُ ثلاث طلقاتٍ سريعة، فأسقطتُ رجال العصابة الافتراضيين الذين كانوا يتجوَّلون في الغرفة. لم أكن قلقًا بشأنهم بالفعل، لكنَّني أردتُ أن أدفع الآخرين إلى إطلاق النار. وبالفعل، رفع باقي رجال العصابة أسلحتهم، وبدءوا في إطلاق النار مرة أخرى.

صرخ بقية الناس- حارس آخر، وكايل، والخبراء الفنيون الأربعة- واختبئوا خلف الطاولات المقلوبة. صرخ كايل قائلًا:

- هذا ليس حقيقيًّا! تذكَّروا أنه ليس حقيقيًّا!

لم يكن لهذا أي أهمية. لقد مَررتُ بذلك مراتٍ عديدة: إن ما يبدو حقيقيًّا بالنسبة إلى سمعك وبصرك، يَصير حقيقيًّا بالفعل بالنسبة إليك، حتى لو كنتَ تُدرك خلاف ذلك بالمنطق. حتى أن كايل ركض نحو باب حمَّام، حيث يُمكنه الاختباء من الطلقات النارية.

عبرتُ الغرفة، وانفجرتْ كومةٌ من رقاقات القمار بجواري عندما أصابتها طلقةٌ نارية. مرَّتِ الطلقاتُ من خلالي مباشرة، ومددتُ يدي إلى ذراعي، حيث جرَحَني أرماندو، فلم أجد سوى بشرةٍ ناعمة سليمة. متى بدأتُ أتجاهل ذلك الجرح؟

صوَّب حارس- من الأشخاص الحقيقيِّين- مُسدسه نحوي، فاضطررتُ إلى إطلاق النار على كتفِه. صرخ، وتقدمتُ نحوَهُ بهدوء وركلتُ مُسدسه بعيدًا عنه، ثم أطحتُ به أرضًا، وتناولتُ مسدسًا ثانيًا من جرابٍ مربوط إلى ساقه.

شكرًا مرةً أخرى، يا جي سي.

وقفتُ وأطلقتُ النار في اتجاهَين في وقتٍ واحد، فقتلتُ اثنين من رجال العصابة في نفس الوقت. كان الخبراء الفنيُّون يصرخون في مكانٍ ما بالقرب منِّي، لكنَّ الشخص الوحيد الذي كنتُ مهتمًّا به حقًّا كان مختبئًا داخل الحمَّام. اقتربتُ من الجدار المجاور، واندفعتُ عبره. لم أقتحِمِ الجدار، بل مررتُ من خلالِه فحسب، وحينما فعلتُ، بدا العالَمُ الافتراضيُّ واهيًا في عيني بدرجة أكبر.

في الحمَّام، حاول كايل مُهاجمتي، لكنني أسقطتُه بسهولة، ودُستُ على مِعصمه، مُجبِرًا إيَّاه على إسقاط مُسدسه، قبل أن أركُله بعيدًا. ثم انحنيتُ بحركةٍ سلسة، وضغطتُ مُسدَّسَين على جانبي رأسه.

همستُ قائلًا:

- مُسدَّسان يا كايل. أحدهما حقيقي، والآخر زائف. هل يمكنك التمييز بينهما؟ هل يمكنك الشعور ببرودتِهما على جلدك؟

حدَّق إلى وجهي، وهو يتصبَّب عرقًا.

همستُ له:

- الموت في يدٍ، وفي اليد الأخرى لعبة. أيٌّ منهما يتعيَّن عليَّ إطلاقه؟ اليمين، أم اليسار؟ هل تودُّ الاختيار؟

حاول التلعثُم ببعض الكلمات، لكنه لم يستطِع حتى تكوين ولو جملة واحدة. ظلَّ مُستلقيًا هناك وهو يرتعِد، حتى وقفتُ، ثم أطلقتُ النار على جنبِهِ على نحوٍ عرَضي.

صرخ كايل وتكوَّر على نفسه، والدمُ ينسال بين أصابعه.

ألقيتُ المسدس بعيدًا، وقلت:

- لقد كذبتُ يا كايل. كِلا المسدَّسين زائفان. لقد حصلتُ عليهما من هذه المحاكاة، لكنك لم تستطعْ تمييز ذلك، أليس كذلك؟

واصل الأنينَ من الألم.

قلت:

- لا تقلق، هذا الجُرح ليس حقيقيًّا، لذا ليست هناك خسارة فعلية، أليس كذلك؟

خرجتُ من المحاكاة، ورقَدَ الستةُ أشخاص على الأرض فاقِدين الوعيَ، وهم لا يزالون مُحاصرين داخل المحاكاة. لم يكن هناك أي أثر لجواني: جي سي، وآيفي، ونجوزي، لكنني شعرتُ بهاتفي يُصدر أزيزًا. كان اتصالًا من كالياني.

لم أرُدَّ. بعد لحظة، وصلتْني رسالة نصية:

«الوداع يا سيد ستيف».

بطريقةٍ ما، كنت أعرف ما حدث: انقلب بعضهم على الآخرين، وتحوَّلوا إلى كوابيس. عندما أمرتُهم جميعًا بالتجمُّع، سهلتُ وقوع المذبحة. وضعتُ الهاتف في جيبي، واخترتُ ألا أعرف مَن منهم اختار أن يسلك ذلك الطريق.

كنتُ أعلم فقط أنه لن يتبقَّى أيُّ شيءٍ عند عودتي. انتهى كل شيء.

غلَبَني الإرهاق، وسرتُ بطول الجدار ناظرًا عبر النوافذ هناك. كانت كلُّ غرفةٍ منها عبارة عن زنزانةٍ لاختبار المحتجزين.

وجدتُ ساندرا في الغرفة الأخيرة، جالسةً على مقعدٍ منخفض وقد أغمضتْ عينَيها. تفقَّدْتُ شاشةً على الجدار، وعدلتُ بعض الإعدادات، ثم فتحتُ الباب.

ولجتُ عالَمَ ساندرا.

14

اتخذتْ هلوستُها الأخيرة صورةَ رصيف ميناء طويل في الليل، يمتدُّ وسط بحرٍ هادئ. كانت هناك قوارب ورقية صغيرة بها شموع في المنتصَف تطفو على سطحه، وتتأرجَّح وتصطدم ببعضها.

لم يكن لها تأثير كبير في إضاءة البحر، لكنها بدت مُتباينة معه: النار فوق المياه. أضواء واهنة على بُعد خطوةٍ واحدة من الانطفاء.

مشيتُ بطول الرصيف، مُستمعًا إلى الأمواج الهادئة وهي ترتطم بالأعمدة بالأسفل، وتفوح منها رائحة الملح والأعشاب البحرية. بدت ساندرا كظلٍّ يجلس عند نهاية الرصيف. لم تلتفِت حينما جلستُ بجوارها.

كانت أكبر سنًّا مما أتذكَّر بالطبع. كلما تقدمتُ في السن، بات الأمر أكثر إثارةً للصدمة عند رؤية آثار الزمن على وجوه الناس الذين كنتُ أعرفهم. لكنها كانت لا تزال ساندرا، بنفس الوجهِ الطويل، ونفس العينَين اللَّتَين بدَتا حالمتَين على الدَّوام، ويُحيطهما إحساسٌ جميل بالسيطرة والصفاء.

سألتني:

– هل تعرفت عليه؟

قلت:

- ذلك المكان الذي ذهبنا إليه على الساحل، بعازفي الموسيقى عند مرسى السفن.

كان بوسعي سماع موسيقى الجاز بصوتٍ خافت قادم من بعيد.

واصلتُ قائلًا:

- لقد اشتريتِ قلادة.

- سلسلة صغيرة، اشتريتَها أنتَ من أجلي.

وضعَتْ يدَها على عُنقها، لكنها لم تكن ترتديها.

- ساندرا ...

واصلتِ التحديقَ عبر المحيط، وقالت:

- إن كلَّ شيءٍ يتداعى، أليس كذلك؟ هل تفقد السيطرة عليهم أنت أيضًا؟

- أجل.

- لقد كنتُ مخطئة، حينما علمتُك منذُ كل تلك السنوات الماضية. اعتقدتُ أنه بوسعِنا احتواء الأمر، لكن لا يُمكننا ذلك. أظن ... أظن أنه لا أهميةَ لذلك. كل هذا في عقلنا فحسب.

- ومَن عساه يكترث إذا كان كلُّ هذا في عقلنا فحسب؟

أخيرًا، نظرتْ إليَّ عابسة.

قلت:

- من عساه يكترِث لذلك؟ أجل، كلُّ هذا داخل عقلي فحسب، لكن الألم «كلُّه داخل عقلي» أيضًا، والحُب «كلُّه داخل عقلي». كل الأشياء المهمَّة في الحياة هي تلك التي لا يمكنك قياسها! الأشياء التي تختلِقُها أدمغتنا! كونُها مُختلَقةً لا يعني أنها غير ذات أهمية.

- وماذا لو باتت تُسيطر على حياتك؟ وتتحكَّم فيها؟ وتُبعدك عن أي شيءٍ يمكن أن يكون حقيقيًّا أو دائمًا؟

لوحتُ نحوَ عالَمها المصطنع، وقلت:

- وهل هذا أفضل؟

- أشعر بالسلام هنا، للمرة الأولى في حياتي.

بدا عليها التردُّد، ثم التقت عيناها بعينيَّ وقالت:

- للمرة الثانية.

- لقد أخبرتِني أنه يجب أن يكون لديَّ هدف يا ساندرا. هل هذا هدف؟ جلوسك هنا؟ بمفردك؟

قالت:

- ليس لديَّ خيار.

ثم عانقَتْني وأكملت قائلة:

- أوه يا رون. لقد حاولتُ الرحيل مرةً أخرى اليوم. ذهبتُ إلى مدينة الملاهي للاتصال بك. عادوا إليَّ في صورة همسات، وسيحدث ذلك لك أنت أيضًا. سوف يَسلُبون عقلك، ما لم تفعل ... شيئًا ما ... لاحتوائهم.

ارتجفتِ الأضواء الصغيرةُ المحمولة على قواربَ ورقيةٍ في عرض المحيط، وفي لحظة، سنحت لي لمحة خاطفة للمياه الضحلة بالأسفل ... والعيون الميِّتة التي تُحدق من خلال الماء.

عانقتني ساندرا بقوةٍ أشد. ضممتُها إليَّ أكثر، ورأيتُ العشرات والعشرات من الجُثث في المياه، دفينة في الأعماق. كانت كلها جوانب ساندرا.

همستُ قائلًا:

- أوه يا ساندرا.

- هذا هو السلام. إنه السلام الوحيد الذي سأتمتَّع به على الإطلاق.

أغمضتُ عيني كي لا أرى هذا الرُّعب. يا لها من خسارة ... عذاب الشعور بأجزاءٍ منك وهي تُنتزَع. كنتُ أعرف بالضبط ما مرَّت به، وعلى الأرجح كنتُ أنا الشخص الوحيد الذي يستطيع التماهي التام مع مشاعرها.

همستُ قائلًا:

- لقد ماتت جوانبي أنا أيضًا.

- يُمكنك الهروب إذن.

- وماذا لو لم أكن أرغب في ذلك؟ ماذا لو كنتُ أريد استعادتَهم؟

- لا تسير الأمور على هذا النحو. إنهم يَختفون إلى الأبد بمجرد موتهم. وحتى إذا خلقتَ جوانب جديدة، فلن تعود الجوانب التي كانت لدَيك من قبل أبدًا.

ظللْنا مُتعانقَين ... لا أدري لِكَم مِن الوقت. ربما ظللنا لساعات. أخيرًا، ابتعدتُ عنها، ونظرتُ في عينَيها، وعرفتُ أنها لا تمتلك أي إجاباتٍ يُمكنها أن تمنحها لي. أو على الأقل ليست الإجابات التي أريدها.

كان هناك خواءٌ لا يُوصَف وراء عينَيها، سبق وأن سمعتُه من قبل في صوتها عبر الهاتف. لقد فقدتِ الكثير للغاية، وشاهدتِ الكثير جدًّا من الكوابيس. بدا عليها الشعور بخدَرٍ رهيب، كما لو أن ذلك هو النسخة الواقعية من التحوُّل إلى كابوس.

للحظةٍ وجيزة، رأيتُ ما يقع وراء الوهم والهلاوس. كنتُ في غرفة صغيرة، وجلستْ ساندرا على مقعدٍ صغير بجواري على الأرض. كانت هي بنفسها، حقيقية، وعلى قيد الحياة. وعلى الرغم من أن مُحيطنا كان

وليد الخيال، إلا أنها هي نفسها كانت حقيقية. لطالما كانت حقيقية. كنتُ أعرف هذا يقينًا.

قالت لي ساندرا:

- فلتبقَ هنا.

قلت بهدوء:

- منذ سنواتٍ بعيدة، عندما تركتِني ... عذبتُ نفسي، يا ساندرا. ومع ذلك، لم تتمكن جوانبي قَطُّ من حلِّ هذا اللغز الأكثر أهمية: أين ذهبتِ؟ ولماذا ذهبتِ؟

قالت:

- رون ... لا أهميةَ لذلك الآن. فلتبقَ هنا. إذا كان يتعين علينا الوحدة، فلنبقَ وحيدَين معًا.

قلتُ متجاهلًا مُناشدتَها:

- هل تعلَمين أن هناك جزءًا مِنّي لطالَما اشتبَهَ في سبب رحيلك؟ أصبحتُ عبئًا عليك بمُتطلَّباتي، وكان ذلك هو السبب، أليس كذلك؟ لم يعُد بوسعك الاستمرار في التعامُل مع كلٍّ من جوانبك ومشكلاتي في الوقت نفسه.

نهضتُ كي أرحل، لكنني أبقيتُ يدَها في يدي.

واصلتُ الحديث:

- أعتقِد أنني فهمتُ قرارَكِ الآن. ليس سببَ رحيلك، لكن لماذا اضطررتِ للرحيل. هل هذا منطقي؟

همستْ قائلة:

- سيحدُث الأمر بصورةٍ أسرع في المرة القادمة يا رون. إذا عدتَ إلى الخارج، وإذا شققتَ طريقك بين الهمسات والكوابيس مرةً أخرى،

فإن مجموعةَ الجوانب التالية سوف تنهار بسرعة، وسيموتون في غضونِ بضعة أشهر. لقد حدث لي ذلك.

جفلتُ، وأشَحْتُ بنظري، بينما لا أزال مُمسكًا بيدِها.

قالت ساندرا:

- إما أن تبقى هنا في سلام، أو تخرُج لتُعاني هناك.

هذا تقسيم خاطئ.

- أليس هناك خيار ثالث؟ طريق بين هذَين الاثنَين؟

- نعم.

- أنتِ مخطئة.

تركتُ يدَها واستدرتُ كي أرحل.

قالت:

- لم أرحل نظرًا لكونك عبئًا عليَّ بمتطلباتك. رون؟ ستيفن؟ لم أعتقد أنك كثير المتطلبات أو أي شيءٍ من ذلك القبيل، بل رحلتُ لأنني بدأتُ في الانهيار، وشعرتُ بالقلق من أنَّ بقائي قد يتسبَّب في إصابتِك بطريقةٍ ما.

التفتُّ نحوها ثانية، امرأة تجلس على طرف لوحٍ خشبي مُمتد وسط المحيط اللامتناهي، بينما الجثث تطفو بهدوءٍ تحت أصابع قدَمَيها.

بعد ذلك، تقدمتُ منها مرةً أخرى، وانحنيتُ نحوها ... ثم قبَّلتني. تلك اللمسة القديمة المألوفة من الشفاه، تلِيها العاطفة المتَّقدة ويدُها على عُنقي، وهي تُقرِّب وجهي منها. تركتُ المشاعر التي كنتُ أعمل على كبحِها تعود، وتسري بداخلي: العاطفة، وحتى الألم أيضًا. ضغطتُ بشفتيَّ على شفتَيها، وتركتُ بشرتي تلامِس بشرَتَها، كما لامست روحي روحَها، للحظة وجيزة.

كنتُ لا أزال أُحِبُّها. كان هذا أيضًا حقيقيًّا.

أنهتِ القبلة أخيرًا، وأبعدتْ رأسَها إلى الخلف مسافةَ بوصةٍ واحدةٍ وهي تُحدِّق إلى عينيَّ.

قلت:

– لقد علَّمتِني أنه يجب أن يكون لديَّ هدف في الحياة. حاولتُ حلَّ القضايا، لكن كان هناك جزءٌ منِّي يعلم، طول الوقت، أن ذلك لن يكون كافيًا.

أمسكتُ يدَها وواصلت قائلًا:

– لكن الآن، في هذه اللحظة، لديَّ هدف حقيقي، وغاية.

– ما هو؟

– سوف أجد طريقة يا ساندرا. وعندما أفعل، أعِدك أنَّني سأعود. سأفعل لكِ ما قمتِ أنتِ به من أجلي. سأجلب لكِ الإجابات.

هزَّت رأسها قائلة:

– رون ...

ضغطتُ على يدِها، ثم نهضتُ وتركتُها، ومشيتُ عائدًا عبر المسافة الطويلة بطول رصيف الميناء. بدا من الغريب للغاية ألا أكون مُحاطًا بمجموعةٍ من الجوانب حولي، لكنني شعرتُ بالأصوات تبدأ ثانيةً بالفعل. أخذتِ الألفة المعتادة لتلك الأصوات تتلاشى، وتتحول إلى همساتٍ ورعب.

عدتُ إلى المستودع مرة أخرى، وشعرتُ بالإحباط والهلع يتزايدان بداخلي. كيف فكرتُ أن بوسعي مساعدتها؟ لم أكن قادرًا حتى على مساعدة نفسي.

أغلقتُ الباب، وفحيح الهمسات يتعالى. تجاهلتُها في الوقت الحالي، عائدًا إلى كايل وموظَّفِيه الذين تساقطوا جميعًا. قمتُ بتأمين مُسدساتهم، وأفرغتُها من الطلقات، ثم تركتُها في دُرج أحد المكاتب. بعد ذلك، أوقفتُ جهاز الهلوسة.

جلس كايل في مكانه على الفور، وأمسك بجنبه وهو يَكزُّهُ برفق، ثم ألقى نحوي بنظرةٍ غاضبة.

قلت له:

- سوف تتركُني وشأني. لا تتَّصِل بي، ولا تُراقبني.

توجهتُ نحو الباب وتابعتُ قائلًا:

- لكنني أنوي العودة لزيارة صديقة. عندما أفعل، يمكنك دراسة عقلي، خلال الوقت الذي أكون فيه داخل الغرفة معها فقط. وإذا حاولتَ الإيقاع بي مرةً أخرى، ستكون هناك عواقب وخيمة.

أومأ كايل برأسه قائلًا:

- يُسعدني أنك رأيتَ المزايا التي يُوفرها مشروعنا الثوري الجديد ...

- أوه، اخرس.

خرجتُ وسط ظلمة الليل ويدي في جيبي، شاعرًا بالإنهاك التام. مات مُعظمي الليلة، ولم تكن لديَّ أدنى فكرة عمَّا أفعلُه بالأجزاء المتبقية.

صرتُ وحدي، بمفردي بالفعل.

وجدتُ أن ذلك لا يُعجبني. مشيتُ نحو ساحة انتظار السيارات المظلمة، ثم ترددتُ حينما رأيتُ شيئًا يتحرك في الجوار، مختبئًا خلف إحدى الشجيرات. بدا وكأنه ... شخصٌ ما.

قلت وقد غمرني الشعور بالصدمة:

- جيني؟

اختفت بمجرد أن رأيتها.

تنهدتُ، لكنني فوجئتُ بعض الشيءِ أنَّ أحدهم بقِيَ بالفعل. ظللتُ واقفًا هناك، حتى توقفتْ بجانبي سيارتي الليموزين على غير توقُّع. أنزلَتْ بارب زجاج النافذة، وأطلَّت منها قائلة:

– هل انتهينا هنا يا سيدي؟

– لقد أمرتُك بالرحيل.

– حذَّرَني عمي ويلسون من أنك قد تكون ... صعب المراس في بعض الأحيان. فكرتُ أنني لا أستطيع التخلِّي عنك، حتى لو كُنتَ مُزعجًا.

رفعتْ قارورةً وواصلت قائلة:

– هل ترغب في عصير الليمون؟

أحطتُ نفسي بذراعي وقلت:

– أنا ... شكرًا لك.

ترجَّلَتْ من السيارة وفتحتْ ليَ الباب، لكنَّ الجزء الخلفي من الليموزين بدا أجوفَ كالكهف، ومُخيفًا وباردًا من دون جوانبي.

سألتها:

– هل يُمكنني الجلوس في الأمام؟

فتحتْ باب الراكب وقالت:

– أوه! بالتأكيد، أعتقد هذا، لكن ماذا عن كل الـ ...

قلتُ وأنا أستقرُّ في مقعدي:

– لا تقلقي بشأنهم. أوصليني إلى ... أوصليني إلى الناصية عند تقاطُع شارع ثلاثة وخمسين مع شارع آدامز.

– أليس ذلك هو حيث ...

- بلى.

تناولتُ كوب عصير الليمون الذي صبتّه، وبدا طعمُه مُشابهًا بالفعل لذلك الذي يُعِدُّه ويلسون. خرجتْ بالليموزين إلى الشارع، وقُدْنا السيارة عبر المدينة التي لفَّها الظلام؛ إذ كانت الساعة قد تخطَّت الحادية عشرة، وتقترب من منتصف الليل. لكن لم يمضِ وقتٌ طويل حتى توقّفنا عند المبنى القديم الذي قابلتُ فيه جيني المراسلة الصحفية لأول مرة. رأيتُ المكان على حقيقته الآن: مبنى قديم مهجور، ربما كان مبنًى إداريًّا فيما سبق.

أشرتُ إلى الناصية قائلًا:

- أوقفي السيارة هنا. إلى الأمام قليلًا بعض الشيء.

ترجلتُ وركبتُ في مؤخرة السيارة الخالية، ثم فتشتُ داخل حقيبةٍ على الأرض، حتى أخرجتُ الكاميرا أخيرًا. لنرى ... كم كانت الساعة؟

تطلَّب الأمر بعض التعديلات الطفيفة لضبطها. اضطرت بارب إلى التقدُّم للأمام قليلًا بالسيارة، وتعيَّن عليَّ ضبط قُرص توقيت الكاميرا في الوضع الملائم تمامًا. لكن في النهاية، التقطتُ الصورة، وظهرتْ لقطة داخل هذه السيارة نفسها، في وقتٍ سابق من هذا اليوم.

ظهر لي توبياس، وجي سي، وآيفي وهم يضحكون على شيءٍ أخرق تفوَّه به جي سي، وآيفي تُمسك ذراعَه، بينما توبياس يبتسِم ابتسامة واسعة. شعرتُ بالدموع في عيني.

اختلست بارب النظر من فوق كتفي.

سألتها:

- ماذا ترين؟

- أنت، بمفردك.

وضعتُ أناملي على الصورة قائلًا:

- ما زلتُ أستطيع تخيُّلَهم، في الظروف المناسبة. إنهم داخل عقلي، في مكانٍ ما. كيف أصل إليهم؟

قالت:

- هل تُوجِّهُ سؤالك لي أنا؟

ثم ابتهجتْ قائلة:

- أوه! لقد نسيتُ تمامًا. هاك، هذا لك. طلب مني أن أُعطِيَه لك عندما تنتهي من عملك الليلة.

مدَّت يدَها إلى جَيبِها، وأخرجتْ مظروفًا صغيرًا.

كان بداخله دعوة صغيرة الحجم لحفل عيد ميلاد وتقاعُد ويلسون، كُتب عليها بالأسفل: «هذه الدعوة تسمح باستقبال اثنَين وخمسين فردًا»، وبجوار هذه العبارة وجهٌ صغير مبتسِم.

قالت:

- قال إنه ليس ثمة ما يُلزمك بالحضور، لكنه أراد أن تعرف أنك محلُّ ترحيب.

لمستُ الدموع التي انسالت على وجنتي، ثم تفقدتُ الوقت.

- الحادية عشرة: وخمس وأربعون دقيقة؟ هل سيكون الحفل مستمرًّا حتى الآن؟

قالت:

- أراهن أنه لا يزال مستمرًّا. أنت تعرف ويلسون وولَعَه بتناول الشراب قبل الخلود إلى النوم. سيكون جالسًا مع الأسرة حول المدفأة وهو يروي الحكايات.

نظرتْ إليَّ وتابعتِ الحديث:

- والقليل من هذه الحكايات فقط تدور حولك أنت.

أنت تعرف ويلسون. هل أعرفه بالفعل؟ لطالما كان موجودًا فحسب، ومعه عصير الليمون. قلت:

- لا يُمكنني الذهاب. أنا فقط ...

ماتت كلمات الاعتراض على شفتي. لا بد وأنها شعرت أنني لا أعني ذلك بالفعل، لأنها توجَّهَت إلى مقدمة السيارة، ثم قادتها إلى منزل ويلسون. كان قد أمضى لياليَ كثيرةً في القصر لديَّ، إلا أنه كان لدَيه منزله الخاص، أو على الأقل غرفة في منزل شقيقه، حيث كان يبيت أحيانًا. لم أكن متأكدًا مَن الذي يمتلك المكان بالفعل.

قادتنا بارب إلى الممر الخاص بالمنزل، الذي استوعب حجم الليموزين بالكاد، ثم قادتني عبر مرآب المنزل المتواضع. دخلتِ المنزل، وصحَّ كلامها بالفعل، إذ سمعتُ ضحكاتٍ تتردَّد بالداخل. شاهدتُ الضوء الدافئ المنبعِث عن المدفأة المشتعلة، حيث جلس الناس حولَها يتجاذبون أطراف الحديث ويتناولون عصير التفاح والليمون، الذي كانوا هم أيضًا يُفضلونه، على ما يبدو.

تريثتُ عند عتبة الباب، فيما جلبت بارب بعض الكعك من على طاولة المطبخ، ثم ألقت بقُبعة السائق الخاصةِ بها على الطاولة وتوجَّهتْ نحو المدفأة. انحنت بجوار مقعدٍ هناك، وسرعان ما ظهرت هيئة نحيلة مألوفة، قائمة من على المقعد.

بدا ويلسون سعيدًا حقًّا برؤيتي. هُرع نحوي قائلًا:

- سيدي؟ سيدي، رجاء، تفضَّل بالدخول! هل تذكُر دوريس وستانلي؟ وبايلي الصغير؟ حسنًا، لم يعُد صغيرًا إلى هذا الحد، لكننا ما زلنا نُطلق عليه ذلك. و ...

قلت وأنا أستدير كي أرحل:

- أنا آسف، لا يجب أن أكون هنا، لمقاطعة وقتك مع أُسرتك.

أمسك ويلسون ذراعي قائلًا:

- سيدي. ستيفن؟ لكنك من أفراد الأسرة.

- أنا ...

أشار نحو ما لا بدَّ وأنه تخَيَّل أنهم جوانبي، وقال:

- لا تقلق بشأن الآخرين! لدَينا الكثير من المقاعد! دعْني أعرف عددهم فحسب. أرجوك، لقد كنتَ كريمًا للغاية معي عبر السنوات. سيكون من دواعي سروري أن أستضيفك.

تحسَّستُ جيبي حيث وضعتُ الصورة، وهمستُ قائلًا:

- أنا بمفردي الليلة، لا يُوجَد سواي.

سألني ويلسون:

- بمفردك؟ سيدي، ماذا حدث؟

- هل يُمكننا الحديث عن ذلك في وقتٍ لاحق؟ أعتقد ... أعتقد أنني أرغب في تناول بعض الكعك فحسب.

ابتسم ويلسون، وسرعان ما جلستُ مع أشقائه وشقيقاته وأولادهم بجوار المدفأة. استمعتُ إليه وهو يقصُّ عليهم قضيةَ القطِّ المتنقِّل عن بُعد، من منظوره هو، والتي كان عليَّ الاعتراف بأنها واحدة من أفضل القضايا. لم أتناولِ الكثير من الكعك، لكنني استمتعتُ بالدفء، والضحك، و ... حسنًا، بواقعية كل ذلك.

كل الأشياء المهمة في الحياة هي تلك التي لا يمكنك قياسها ...

اكتشفتُ أنني كذبتُ على ويلسون من دون قصد، لأنني لم أكن بمفردي. وجدتُ جيني وهي تحوم في المطبخ. كانت أحدث وآخِر جوانبي. أخرجتْ دفتر ملاحظاتها مرةً أخرى، وشرعت تكتب بنشاط.

٥

الخاتمة

لم أعُد إلى القصر في تلك الليلة.

لم أستطع الذهاب إلى هناك، ومواجهة كل ذلك الفراغ، أو ... ما هو أسوأ حتى: الجنون، والظلال التي تنبعث إلى الحياة كي تُعذبني. كنت بحاجةٍ إلى بضع ساعات أخرى للتعافِي.

لحُسن الحظ، كان لدى عائلة ويلسون غرفة للضيوف، سمحوا لي باستخدامها تلك الليلة. انسحبتُ إليها ما أن انتهت الحكايات، وفتحتُ جهاز الكمبيوتر الموجود بالغرفة. أجريتُ بعض البحث، وألقيتُ نظرةً سريعة على بعض صفحات ويكيبيديا المتعلقة ببعض الموضوعات الأساسية التي كنتُ أعرفها من قبل، لأرى ما إذا تبقَّى منها أي شيءٍ في ذهني.

وجدتُ الثقوب في ذاكرتي عشوائية. بدا كما لو أن معظم المعلومات قد اختفت، لكن بعد ذلك عند استعراض شيءٍ ما على الإنترنت، وجدتُ أصابعي تكتب سلسلةً من الكلمات من قبلِ أن أُدرك ذلك حتى. وعند دراسة تلك الكلمات، لم أتمكَّن من العثور على المعلومات في ذهني، لكنني كتبتُها بوضوح، لذا كانت لديَّ بالفعل بطريقةٍ ما.

كان هذا هو الحال بالنسبة إليَّ حينما كنتُ أصغَرَ سنًّا، قبل ساندرا، وقبل ظهور جوانبي. كان عقلي يُخزِّن كل هذه المعلومات، من دون معرفة كيفية استغلالها.

غُصْتُ في المقعد، شاعرًا بالهزيمة، والإرهاق، والإحباط، والغضب. وجهتُ حديثي إلى غرفة النوم الصغيرة الخالية قائلًا:

- هل هي على حق؟ لقد وعدتُ بالعثور على حل، لكن أي أمل لديَّ في هذا؟ ساندرا تعرف أكثر بكثيرٍ ممَّا أعرفه أنا عن هذا الموضوع، ولم تتمكن من العثور على حل.

لم يأتني أي رد.

تناولتُ الصورة من جيبي، وأسندتُها على لوحة مفاتيح الكمبيوتر.

- هل هذه هي النهاية حقًّا؟ هل فقدتُهم إلى الأبد؟ آيفي، وجي سي، وتوبياس؟ هل اختفَوا لأن عقلي لا يشعر أنه قادر على بذل كل ذلك الجهد؟

قالت جيني:

- لم يختفوا.

أدرتُ مقعدي، ووجدتُها واقفةً في الظلال بجوار الباب. رفعتْ دفتر ملاحظاتها قائلة:

- إنهم لديَّ هنا.

قلت:

- كيف لا تزالين على قيد الحياة؟

قالت:

- لقد أمرتَني بالرحيل. طلبتَ منِّي الانصراف، وكسر القواعد، لذا فعلتُ. لقد حافظتَ عليَّ.

قلت:

- أنت لستِ جانبًا حقيقيًّا، فأنا لم أقُم باستدعائك.

- بالطبع فعلت، والسؤال هو لماذا؟

تقدمتْ منّي، ومدَّت يدَها بدفتر ملاحظاتها قائلة:

- ما الذي أردْتَني أن أفعله؟ ما هو مجال خبرتي يا ستيفن ليدز؟

أشحْتُ بنظري عن دفتر الملاحظات.

- سينتهي بي المطاف بتكرار الدورة مرةً أُخرى فحسب. إما ذلك، أو الجنون.

همستْ قائلة:

- هذا تقسيم خاطئ.

كنتُ أتظاهر بوجود خيارَين فقط، بينما قد يكون هناك خيار ثالث، أو أكثر. نظرتُ إلى الدفتر، الذي امتلأ بالملاحظات المكتوبة. في أعلى الصفحة، دُوِّن اسم توبياس.

لم تنشغل بتدوين الملاحظات عنّي أنا، بل عن جوانبي.

طريقٌ ثالث للخروج من كل هذا. طريقة أستوعب بها كل هذه الجوانب، ومع ذلك أدَعُها تستمر. طريقة أنعم معها بالسلام في وجود تلك الأصوات، وأخلق لها مُتنفَّسًا غير الصراخ فيَّ بينما أتجاهلها.

قالت جيني بهدوء:

- أنا خبيرة فيهم، وفيك أنت. خلاصة خبرة عقدٍ من العيش معهم، ومع عقلك المجنون والمذهل هذا.

قدمتْ لي دفتر الملاحظات مرةً أخرى قائلة:

- دعهم يعيشون مرةً أخرى.

تناولتُ الدفتر بتردُّدٍ قائلًا:

- لن يكون الأمر كما كان من قبل.

- فلتجعَلْه كما كان من قبل.

- لن يكون حقيقيًّا.

- فلتجعلْه حقيقيًّا.

تلاشت تاركةً الدفتر في يدي، مليئًا بالملاحظات، والحكايات، والحيوات. لم يَغمُرني إحساس بالخسارة الفادحة. كانت المعلومات لا تزال موجودة في عقلي. معلوماتها، ومعلوماتي.

نظرتُ إلى شاشة الكمبيوتر المتوهِّجة. فكرتُ أنَّ هذا لن يُفلح. لا يمكنه أن يفلح.

... هل يمكنه ذلك؟

جلستُ ودفتر الملاحظات تحت يدي، لكنني لم أكن بحاجةٍ إليه. كنتُ بحاجةٍ إلى أن أعرف أنه موجود فحسب. لذا، شرعتُ في الكتابة.

كتبت:

اسمي ستيفن ليدز، وأنا عاقل تمامًا. لكنَّ هلاوسي كُلَّها في غاية الجنون.

كتبتُ لساعاتٍ طويلة، كلمةً تلوَ الأخرى. في وقتٍ ما بالقُرب من الفجر، رأيتُ ظلًّا مُنعكسًا على شاشة الكمبيوتر. عندما استدرتُ، لم يكن هناك أحد، لكن عندما عاودتُ النظر إلى الشاشة، بدا الأمر كما لو أنني أستطيع رؤيتَهُ خلفي. كدتُ أشعر- لكن ليس تمامًا- بيدٍ على كتفي. لم أُبعِد نظري عن الكمبيوتر، لكنني رفعتُ يدي ولمستُ تلك اليد الأخرى، يدَ رجلٍ ظهرت عليها آثار الزمن.

تردَّد في ذهني صوتٌ مألوف- غير حقيقيٍّ تمامًا- قائلًا: «أحسنت يا ستيفن، أحسنت! لماذا لا تكتب عن ذهاب آيفي وجي سي إلى باريس معًا؟ لطالما أرادت هي الذهاب. سيقع خطبٌ ما، بالطبع. ربما سَرِقة الماس؟ إن ماسة ريجنت هناك، معروضة في متحف اللوفر. يُقال إنها أشدُّ ماسةٍ صفاءً في العالم بأكمله ...»

ارتسمت على شفتي ابتسامة. كانت ساندرا مُخطئة. لم يكن الأمر يتعلَّق باحتوائهم، بل يتعلق بإطلاق سراحِهِم.

واصلتُ الكتابة على عجل، وقد انتهتْ مُغامراتي أخيرًا، حمدًا للرب.

أما هلاوسي ... حسنًا، دومًا ما يتورَّطون في المشاكل.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

جميع الحقوق محفوظة ©

مكتبة ضـــاد الإلكترونية

t.me twinkling4

أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد

https://t.me/twinkling4

الفيلق

الحيوات المتعددة لستيفن ليدز

ستيفن ليدز عبقري يتمتّع بموهبة لا نظير لها؛ إذ إنه يستطيع تعلُّم أي مهارة جديدة أو مهنة أو فن جديد في غضون ساعات فحسب، لكن كي يتمكن عقله من احتواء كل ذلك، فهو يلجأ إلى خلق هلاوس في صورة أشخاص مُتخيَّلين، يسمّيهم ستيفن «جوانبه» المختلفة، للاحتفاظ بكل تلك المعلومات وإظهارها وقت اللزوم، وأينما ذهب ستيفن، يتبعه حشد من الخبراء الخياليين، كي يُسدوا إليه النصح والمشورة، ويقدموا له التفسير والشرح الذي يحتاج إليه منهم، وهو يستعين بفريقه هذا في حل القضايا المختلفة، نظير الحصول على أجر.

«اسمي ستيفن ليدز، وأنا عاقل تمامًا، لكنّ هلاوسي كلها في غاية الجنون ...

أنا لست ما يتوقّعه الناس أبدًا، يتخيلني البعض كما لو كنت عالمًا غريب الأطوار من نوع ما، بينما يتخيلني البعض الآخر كنجم من نجوم أفلام الحركة، لكن ما يجدونه بدلًا من ذلك هو رجل هادئ إلى حد ما في الثلاثينيات من عمره، طبيعي تمامًا. أحيانًا ما أشعر كأنني أشبه غرفتي البيضاء، بطريقة ما سجل فارغ تمامًا، تنفرد جوانبي المختلفة بكل الخصائص المميزة، بينما أحاول أنا جاهدًا ألا أكون بارزا للعيان؛ لأنني لست مجنونا ...

براندون ساندرسون (بالإنجليزية: Brandon Sanderson) (ولد في 19 ديسمبر عام 1975) هو كاتب فانتازيا وخيال علمي أمريكي، اشتهر بتخيّله لعالم أو مجموعة أو كون يدعى كوزمير، دارت أحداث أغلب رواياته الخيالية فيه (أبرزها سلسلة «ميستبورن» و«أرشيف ضوء العاصفة»). واشتهر أيضًا بختمه لسلسلة مؤلفات فانتازيا عليا تسمى «عجلة الزمن» لكاتبها روبرت جوردان. وضع براندون «قوانين ساندرسون في السحر» وعمّم مصطلحي نظام السحر القاسي واللين. في عام 2008.

9 789778 201727